

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط المغرب الأقصى



العدد السابع
السنة السادسة
ذو القعدة 1382
أبريل 1963
ثمن العدد: 1,50 د

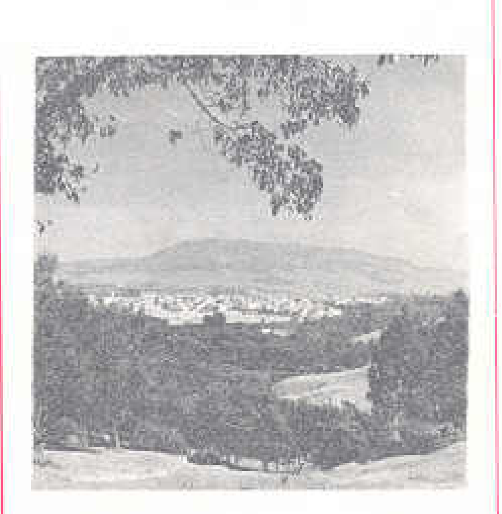
مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف

دعوة الحق

العدد السابع
السنة السادسة
ذو القعدة 1382
أبريل 1963
ثمن العدد : 50 ف. د

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط . المغرب

صورة الغلاف



منظر عام لمدينة فـاس ـ المغرب

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة ((دعوة الحق)) ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عـن سنـة 15 درهما ، والشرفي 30 درهمـا فـاكثـر .

السنة عشرة أعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حســاب :
مجلة ((دعوة الحق)) رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة ((دعوة الحق)) ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغــرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
((دعوة الحق)) ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفــون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

دور الشعارات

في تزييف حقائق الإسلام .

للأستاذ محمد سعيد رمضان البوطي

ليس خافيا ان اسلام المسلمين هو اشد ما يثري المستعمرين بحربهم والائتمار بهم ، ولم يعد خافيا ايضا ان هؤلاء المستعمرين قد انهوا منذ عصر بعيد حرب الحديد والنار ، وبداوا حرب الفكر والعقيدة والخلق .

ولقد كانت عبر الحروب الصليبية وءاثارها اول منبه لهم الى ضرورة تبديل السلاح ، وتغيير الطريق .. ولقد بدا اول مظهر للسلاح والطريق الجديدين حينما ظهر اول مستشرق ومبشر ، يدلف بخطى متلصصة الى العالم الاسلامي ، وهو (ريمون لوك)

اجل .. ان هذا ليس يخاف على اي مثقف ناله قسط من الوعي .

ولكن الامر الذي لا يزال خافيا – ويا للاسف – عن فكر كثير من المسلمين ، هو الكشف عن احابيل الغزو الفكري الخطير ، وتعرية المكائد التي يبعث بها لتسعى حول اذهان المسلمين وقد ارتدت رداء العلم والفكر والبحث ..

ولقد كان من نتيجة خفاء هذا على كثير من المسلمين ان تسلل هذا الغزو الى افكارهم ، ثم ولد الشكوك والوساوس في عقولهم ، ثم طبعهم بطابع التبعية الفكرية لاولئك الغزاة المجرمين .

وانني لن اتحدث هنا عن تفصيل هذه الاحابيل الفكرية ، وكيفية دفعها الى اذهان الغافلين لتبيض فيها وتفرخ ، فلذلك حديث طويل ، ولكني استطيع ان اتناول منها نموذجا صغيرا يكشف للقاريء عن حقيقة الصور والنماذج الاخرى ، ويزيح اللثام عن جملة الحرب الفكرية الخطيرة التي تقودها ضد الاسلام مجموع دول الاستعمار على اختلافها في العقيدة والسياسة والراي .

ولنسم هذا النموذج ب (دس الشعارات) .

اي اختلاق شعار ما ، لم يعرفه الاسلام ولا شيئا من مصادره ، ثم الصقه خفية بجملة من حقائق الدين ، ثم تناوله بالتكرار والترداد في المقالات والبحوث ومختلف المناسبات ، حتى اذا صقلته الاذان وغدا وكانه شعار صادق لبعض حقائق الاسلام جاء به القرءان او نادى به الرسول (تبناه اجماع المسلمين – كر هؤلاء الذين صنعوا هذا الشعار وانطلقوا يحاربون الاسلام من منفذه ، ويتخذون منه دليلا على تهافته او ضعفه او خطئه ، وكانهم ليسوا هم الذين اقبلوا فشوهوا به وجه الاسلام ليمكنهم ان يقولوا في حقه ما يشاؤون ..

وليس ثمة اكثر من الامثلة على هذا النوع من التسميات والشعارات . ولكن فلنتناول منها نموذجا واحدا ايضا : من هذه التسميات والشعارات اطلاق كلمة (التقاليد الاسلامية) على معظم الاحكام الاجتماعية للاسلام ، فلقد سرت هذه التسمية في بحوثنا سريانا شاملا حتى اصبحت تستعمل من قبل كثير من دعاة الاسلام انفسهم ، دون ان يتهيا لها من يستوقفها في اول الطريق عن التسلل والتوغل حتى يكشف عن هويتها ويستطلع ما وراءها ويعلم القوة الدافعة لها ..

ولكن لا باس .. فلنحاول ان نكشف عن هويتها وحقيقتها بعد فوات الاوان ، فربما كان في ذلك عبرة

لنا وعظة ، وايقاظا لمن يريد ان يتصانع الغطيط فى النـوم .

ان كلمة (التقاليد) انما تعني فى وضـع اللغـة العربية وما تواضع عليه عـرف علماء الاجتمـاع مجموعة العادات التي يرثها الابناء عن الاباء والاجداد او تسري – بعامل الاحتكاك – فى أهـل حـي من الاحياء او بلدة من البلدان ، بشرط ان يكون دافـع التقليد المجرد هو التعصب الرئيسي الذي يمد فى تلك العادات من اجل الحياة والبقـاء .

فجميع ما اعتاد الناس عليه من انماط الحيـاة فى مجتمعاتهم ، ومن مظاهر اللهو فى افراحهم واعراسهم ، ومن اشكال الحداد فى مآسيهم واحزانهم ، مما حاكتـه عوامل التوارث القديم او الاقتباس التلقائي عن طريق التأثر والاحتكاك – جميع ذلك يسمى فى عرف اللغـة والاجتماع : (تقاليـد) .

ولا ريب ان امة ما ، كلما كـان ارتباطها بقيـود هذه التقاليد احكم واوثق ، كانت قدرتها على التحرر والابداع اقل واضعف ، ذلك ان كلا من عاملي التأثـر والتأثير متقابلان متعارضان ، فلابد ان تكـون قـوة احدهما مظهـرا للضعـف فى الثانـي ، واذا علمنـا ان معظم شعارات العصر الحديث من تحرر ، وتقدمية ، وانطلاق ، انما تعني اول ما تعني الانعتاق عن قيـود هذه التقاليد – ادركنا مدى ما تنقذف الـى هـذه الكلمة من السهـام والحراب .

غير ان كـل هذه السهـام والحراب تضيـع فى غير جدوى – فى حساب اولئك الذين وقفوا عمرهـم وافكارهم لحرب الاسلام – ان لم تكن تصيب كبـد الاسلام ومبادئـه .

ولكن كيف السبيـل ؟

السبيل هو ان يؤتى بمعظم مبادىء الاسـلام واحكامه ، وتقام من خلف ستار (التقاليد) التي تنفذ فى نحوها سهام المدنية الجديدة ، اذ لا شك ان السهام ستخترق الستار لتستقر فى كبد ما وراءها ..

❋

وهكذا يستفيق المسلمون ليجدوا معظم مبادىء الاسلام واحكامه : كشؤون الزواج والطلاق ، وحجاب المراة وصيانتها ، وعامة قضايا السلوك والاخلاق – قد أسبل من فوقها رداء (التقاليد) واصبح العنوان الدال عليها على صفحات الكتب والجرائد والمجـلات ، وفى ندوات الباحثين والمثقفين ، وفى راي الكتاب والمفكرين هو : (التقاليـد الاسلامية) ..

وربما دخل فى غمار هؤلاء كثير ممن لا يريـدون بالاسلام سوءا ولا يضمرون له كيدا ، ولكنهم وجـدوا تسمية راجت على السنة بعـض الباحثين ، ولمعت فى صدر بعض الصحف والمجلات ، فانساقوا الى تأييدها ومشايعتها بدافع (التقليد) الحقيقي ، ودون ان يكلفوا انفسهم لذلك اي تفكير او بحث .

غير ان هذا ايضا ليـس هو محل الشاهد. فما الذي حدث بعد ذلك ؟

حدث ان اخذ هذا الدس الخطير يشمر حناظلـه السامة فى ميدان التربية والتوجيه الاسلامـي ، لقـد أصبح الشاب الذي ينشا فى اسرة محافظة او يعهـد به الى مربين ومرشدين ، لا يتلقى المبادىء والاخـلاق الاسلامية الا على انها قيود مؤسفة ، فهو لا ينفذها الا كما ينفذ المسجون اعماله منتظرا اول فرصة للانفلات والخلاص ، اذ ان كلمة (تقاليد) توحي اليه ان قيمـة السلوك والخلق الاسلامي ليست بسبب انه مبـدا الهي يكمن فيه سر سعادة البشر ، وانما بسبب ان كلا من السلوك والخلق الاسلامي ليـس الا عادات قديمة موروثة من الاباء والاجداد .. ولا ريب فى ان النتيجة القطعية لهذا الايحاء والفهم الخاطئين هي ان يضيق هذا الشاب وامثاله ذرعا بهذا الميراث القديم الـذي فرض نفسـه على المجتمع فى عصر كل مـا فيـه متطور ومتقدم وجديد .

❋

لقد اخذت هذه الكارثة التربوية فى صفوف جيلنا المسلم تعظم وتستفحل منذ ان سمح لمثـل هـذا الشعار الزائف المدسوس ان يتسلل الى البحـوث والاصطلاحات الاسلامية ، دون تعرف على هويته ودون تامل فيما قد يثمره من مثل هذا الزيف والتضليل .

ومع هذا فليس اسهل علـى اي مسلم من ان يدرك ان الاسلام الذي جاء يهدم التقاليد ويقضي على كـل امتيازاتها من مظاهر القداسة الموهومة لم يكن ليتبنى

فى الوقت ذاته الدعوة الى التقاليد ، ولا ليخط صراطه على ركام من الطقوس والعادات التقليدية البائدة .

وليس اسهل على اي مسلم عاقل من ان يدرك الفرق العظيم بين تقاليد الناس فى افراحهم واحزانهم ومبادئهم الفكرية فى قضايا خلقهم ومعاملاتهم ، كل انسان يعلم ان الاولى ان هي الا نسيج من التوارث والاحتكاك التلقائي ، وان الثانية احكام يطلقها العقل والفكر فى جو مشبع بوسائل الدرس والبحث ولا ينقص شيئا من قيمة التعقل والتدبر فيها انها جاءت عن طريق الدين وبأمره فما عرف الاسلام فى احكامه ومبادئه بميزة اعظم ولا ابين من ميزة الاهتداء بنور المنطق والارتباط بميزان العقل السليم .

ان الدين الذي جاء بشريعة الصيانة والستر للمراة لم يأمر بذلك انسياقا وراء اي عادة او تعارف .. ولكنه أمر فصل على قالب معين من الهيأة والشكل ليأتي مكانه فى بناء الهيكل الاجتماعي للمدنية الاسلامية منسجما كل الانسجام مع مجموعة البناء من جهة ، ومع فطرة البشرية ومقومات السعادة الانسانية من جهة اخرى .

ان السعادة الانسانية — مثلا — تقتضي تنظيم المسؤولية ، وهذا يستوجب تنظيما لعلاقة الرجل بالمراة ، وتنظيم هذه العلاقة يستلزم ان تكون المرأة من حياتها الاجتماعية فى علو شامخ تظل مطلوبة من قبل الرجل لا طالبة ، وضمان بقائها كذلك يستوجب مزيدا من العفة والصيانة لدى المراة حتى يغلق امام الرجل كل باب للاستمتاع بها الا باب الزواج ، وتحقيق المزيد من عفتها وصيانتها يقتضي تحديد لباسها والاصرار على ضرورة احتشامها .

فاين مكان هذه الحلقات المترابطة فى انتظام فكري وتناسق منطقي من دعوى (التقاليد) او العادات او الطقوس ؟ .

*

ان دول الاستعمار فى هذا العصر تسعى الى المكر بالاسلام والمسلمين من مئات السبل والابواب ، وما امر (دس الشعارات) الا سبيلا واحدة من هذه فما الذي يصنعه المسلمون وحكوماتهم يا ترى فى سبيل الكشف عن هذا المكر واغلاق السبل دون ذلك؟؟

دمشق ـ محمد سعيد رمضان البوطي



رأي في تحديد النسل والعدوى

للدكتور: تقي الدين الهلالي

- 2 -

قول ابن الخطيب ، كقوله ، لا يورد ممرض على مصح . قال الامام المنذري في اختصاره لسنن ابي داوود ج 5 / ص 376 / عن ابي هريرة ، انه سمع رسول الله (ص) يقول : (لا يوردن ممرض على مصح) . ثم قال المنذري ، قيل لا يورد ممرض على مصح ، منسوخ بقوله صلى الله عليه وسلم ، لا عدوى ، وقيل ليس بينهما تناف ، ولكن نفى العدوى ، وهي اعتقاد كون بعض الامراض يفعل في غيرها (كذا) بطبيعتها . واما أن يكون سببا يخلق الباري سبحانه وتعالى عندها مرض من وردت عليه ، فلم ينفه . ونهى ان يورد المريض على المصح ؛ لئلا تمرض الصحاح من قبل الله جلت قدرته عند ورود الممرض ، فيكون المرض لا لسبب فيها .

وقيل المراد بهذا ، الاحتياط على اعتقاد الناس لئلا يتشاءموا بالمريضة ، ويعتقدوا انها امرضت ابلهم ، فيأثموا في هذا الاعتقاد .

وقال ابن القيم في تعليقه على مختصر السنن ، ذهب بعضهم الى ان قوله (لا يورد ممرض على مصح ، منسوخ بقوله (لا عدوى)

وهذا غير صحيح ، وهو مما تقدم آنفا ، ان المنهي عنه نوع غير المأذون فيه . فان الذي نفاه النبي (ص) في قوله (لا عدوى ولا صفر) هو ما كان عليه أهل الاشراك من اعتقادهم ثبوت ذلك على قياس شركهم ، وقاعدة كفرهم .

والذي نهى عنه النبي (صلى) فيه تأويلان — من ايراد المريض على المصح — فيه تأويلان .

احدهما ، خشية توريط النفوس في نسبة ما عسى ان يقدره الله تعالى من ذلك الى العدوى ، وفيه التشويش على من يورد عليه ، وتعريضه لاعتقاد العدوى ، فلا تنافي بينهما بحال .

والتأويل الثاني ، ان هذا انما يدل على ان ايراد المريض على المصح ، قد يكون سببا يخلق الله تعالى به فيه المرض ، فيكون ايراده سببا ، وقد يصرف الله سبحانه تأثيره باسباب تضاده ، او تمنعه قوة السببية ، وهذا محض التوحيد ، بخلاف ما كان عليه اهل الشرك .

وهذا نظير نفيه سبحانه الشفاعة في يوم القيامة بقوله (2 : 254 ، لابيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) فانه لاتضاد الاحاديث المتواترة المصرحة باثباتها ، فانه سبحانه انما نفى الشفاعة التي كان اهل الشرك يثبتونها ، وهي شفاعة يتقدم فيها الشافع بين يدي المشفوع عنده ، وان لم يأذن له ، واما التي اثبتها الله ورسوله ، فهي الشفاعة التي تكون من بعد اذنه ، كقوله (2 ، 255 ، من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) وقوله (21 ، 28 ، ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وقوله (34 ، 22 ، ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له) انتهى كلام ابن القيم ، وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم وابو داود

وقال استاذي العالم الورع عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبارك بوري الهندي فى كتابه تحفة الاحوذي فى شرح الترمذي تحت حديث (لاعدوى ولا طيرة) ج 2/ ص 400 / . قوله ، لاعدوى ، بفتح فسكون ففتح . هي مجاوزة العلة من صاحبها الى غيره ، ويقال ، اعدى فلان فلانا . وذلك على ما يذهب اليه المتطببة فى علل سبع ، الجذام ، والجرب ، والجدري ، والحصبة ، والبخر ، والرمد ، والامراض الوبائية . وقد اختلف العلماء فى التأويل ، فمنهم من يقول ، المراد منه نفي ذلك وابطاله على ما يدل عليه ظاهر الحديث والقرائن المسوقة على العدوى ، وهم الاكثرون . ومنهم من يرى انه لم يرد ابطالها فقد قال صلى الله عليه وسلم ، (فر من المجذوم فرارك من الاسد) وقال ، (لا يوردن ذو عاهة على مصح) وانما اراد بذلك نفي ما كان يعتقده اصحاب الطبيعة ، فانهم كانوا يرون العلل المعدية مؤثرة لا محالة ، فاعلمهم بقوله هذا ، ان ليس الامر على ما يتوهمون ، بل هو متعلق بالمشيئة ، ان شاء كان ، وان لم يشا لم يكن . ويشير الى هذا المعنى قوله ، فمن اعدى الاول . اي ان كنتم ترون ان السبب فى ذلك العدوى لا غير ؛ فمن اعدى الاول . وبين بقوله (فر من المجذوم ، وبقوله (لايوردن ذو عاهة على مصح) ان مداناة ذلك لسبب العلة ، فليتقه اتقاء الجدار المائل والسفينة المعيوبة . ثم قال قال التوربشتي : واري القول الثاني اولى التأويلين لما فيه من التوفيق بين الاحاديث الواردة فيه . ثم لان القول الاول يفضي الى تعطيل الاصول الطبية ، ولم يرد الشرع تعطيلها ، بل ورد باثباتها والعبرة بها على الوجه الذي ذكرناه . واما استدلالهم بالقرائن المسوقة عليها فانا قد وجدنا الشارع يجمع فى النهي بين ما هو حرام وبين ما هو مكروه ، وبين ما ينهى عنه لمعنى ، وبين ما ينهى عنه لمعان كثيرة . ويدل على صحة ما ذكرنا قوله صلى الله عليه وسلم للمجذوم المبايع قد بايعناك فارجع فى حديث الشريد بن سويد الثقفي . وقوله صلى الله عليه وسلم للمجذوم الذي اخذ بيده فوضعها معه فى القصعة ، كل ثقة بالله وتوكلا عليه . ولا سبيل الى التوفيق بين هذين الحديثين الا من هذا الوجه . بين بالاول التوقي من اسباب التلف ، وبالثاني التوكل على الله جل جلاله ولا اله غيره فى متاركة الاسباب . انتهى . قال القاريء وهو جمع حسن فى غاية التحقيق . انتهى .

قال تقي الدين ، ويرد على من قال بنفي العدوى وتأول قول النبي (ص) (فر من المجذوم فرارك من الاسد) وقوله (لا يورد ذو ابل مريضة ابله على ذي ابل صحيحة ، متاولا ان النهي فى الحديثين انما جاء لئلا يصاب من يخالط المجذوم بالجذام ومن اختلطت ابله الصحيحة بابل جرب باصابة ابله بالجرب فيعتقد ان الجذام قد انتقل اليه من المجذوم ، او ان الجرب قد انتقل الى ابله الصحيحة من الابل الجرب ، يرد عليه امتناع النبي (ص) من مبايعة المجذوم وقوله له ارجع فقد بايعناك ولم يصافحه ، بل اكتفى في مبايعته بالكلام ، كما فعل مع النساء تجنبا لملامسة ايديهن ، لانه يسن لغيره ممن يأتي بعده من الخلفاء . ولا يتصور ان يخاف النبي على نفسه من اعتقاد العدوى ، فبطل ذلك التأويل وثبت وقوع العدوى باذن الله .

قال البخاري فى كتاب الطب من صحيحه بشرح القسطلاني ، ج 8 / ص 443 ، باب الجذام ، وروى بسنده الى ابي هريرة قال ، سمعت رسول الله (ص) يقول : (لاعدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم كما تفر من الاسد) وقال القسطلاني ، لاعدوى، بالعين المهملة والواو المفتوحتين بينهما دال مهملة ساكنة ، اي لاسراية للمرض عن صاحبه الى غيره نفيا لما كانت الجاهلية تعتقده فى بعض الادواء انها تعدي بطبعها ، وهو خبر اريد به النهي (ولا طيرة) بكسر الطاء المهملة وفتح التحتية من التطير ، وهو التشاؤم ، كانوا يتشاءمون بالسوانح والبوارح ، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم ؛ فنفاه وابطله ونهى عنه واخبر انه ليس له تاثير فى جلب نفع او دفع ضر (ولا هامة) بتخفيف الميم على الصحيح ؛ وحكى ابو زيد تشديدها . كانوا يعتقدون ان عظام الميت تنقلب هامة تطير . وقيل هي البومة كانت اذا سقطت على دار احدهم يرى انها ناعية له نفسه او بعض اهله . وقيل ، ان روح القتيل الذي لايؤخذ بثأره تصير هامة ، فتزقو وتقول ، اسقوني اسقوني ، فاذا ادرك بثاره طار . (ولا صفر) هو تاخير المحرم الى صفر وهو النسيء . وفى سنن ابي داود عن محمد بن راشد ، انهم كانوا يتشاءمون بدخول صفر ، اي لما يتوهمون ان فيه تكثر الدواهي والفتن . وقيل ان فى البطن حية تهيج عند الجوع ، وربما قتلت صاحبها ، وكانت العرب تراها.اعدى من الجرب فنفى صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله ، ولا صفر . وزاد مسلم من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة (ولا تولة) . وزاد النسائي وابن حبان من

حديث جابر (ولا غول) فالحاصل ستة . وقد كانت العرب تزعم ان الغيلان فى الفلوات ، وهي جنس من الشياطين تتراءى للناس وتتغول لهم تغولا ، اي تتلون تلونا فتضلهم عن الطريق فتهلكهم ، فنفى النبي (ص) استطاعة الغول ان تضل احدا .

قال تقي الدين ، ونحن نبحث فى كل واحد من هذه الستة على حدة . فاما العدوى ، فقد تقدم الكلام عليها ، وازيد هنا اني لما كنت فى بني عوف من قبيلة حرب فى ناحية الحناكية ، وهي قرية بين المدينة والقصيم ، رايت الاخوان هناك ينكرون على بعض الاعراب الذين لم يتدينوا بعد ، اي لم يتبعوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الى توحيد الله وترك امور الجاهلية ، ينكرون عليهم انهم يحبسون الغنم المصاب بمرض فى حظيرة ويدخنون عليها ولا يتركون احدا يدنو منها لا انسانا ولا حيوانا ، فكانهم يعتقدون ان مرضها من الجن ، وان من دنا منها يصيبه شر ، وكانوا يحبسونها الليل كله حتى الصباح ، لا ادري ليلة واحدة او اكثر . وهذا يفسر لنا ما نهى عنه النبي (ص) . والغالب انهم ورثوا ذلك من اهل الجاهلية فان لم يكونوا قد ورثوه منهم فما جرى على المثل يجري على مماثله . والمنهي عنه هو اعتقاد ان هناك قوة مستقلة تضر بدون مشيئة الله ولا تخضع لارادته. واما الطيرة ، فهي التشاءم بالطير اذا طارت عن اليمين، وهي السوانح او عن اليسار ، وهي البوارح ، او بغيرها من الحيوان ، كالغراب والبومة ، او بانسان يعتقد انه مشؤوم رؤيته تجلب شرا ، او بالايام والشهور ، او بالطوالع من الكواكب ، يعتقد ان بعضها طالع نحس وبعضها طالع ميمون ، كل ذلك شرك ، لا يرضى به المؤمن ولا يخافه ، فاذا وجد فى نفسه شيئا من ذلك فليقل : اللهم لا خير الا خيرك ، ولا طير الا طيرك ، ولا اله غيرك ، ويمضي لحاجته ولا يبالي بذلك . واما الصفر ، فعلى القول انه شهر صفر ، فهو داخل في التشاؤم بالشهور ، والجهال من اهل تطوان يتشاءمون به ، فلا يدخلون بيوتهم مكنسة لئلا تكنس بيتهم بموت اهل البيت وذهاب مالهم . وكل ما تقدم من انواع الطيرة موجود عند كثير ممن يدعون الاسلام وهم يجهلونه . ولولا خوف الاطالة لذكرت من ذلك حكايات كثيرة . وعلى القول بانه حية فى البطن ، فذلك باطل لا وجود له . واما الهامة فعلى القول بانها البومة هي داخلة فى التشاءم بالحيوان . وعلى القول انها طائر هو روح القتيل لا يزال يزقو اي يصيح ، اسقوني ماء اسقوني ماء حتى يؤخذ بثار القتيل . وذلك مشهور عند العرب فى جاهليتهم . قال ذو الاصبع العدواني :

يا عمرو الا تدع شتمي ومنقصتي
اضربك حتى تقول الهامة اسقوني

وقال غيره :

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت
علي ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة او زقا
اليها صدى من جانب القبر صائح

وذلك من خيالاتهم واوهامهم ولا وجود له . واما التولة ، فهي من الشرك ، وهي سحر يزعم فاعله انه يؤثر فى قلب البعل فيحب امراته حبا شديدا ويطيعها طاعة عمياء ، او فى قلب المراة فتحب بعلها كذلك . وهذا كفر ، لان مقلب القلوب واحد ، وهو الله ولا يستطيع غيره ذلك . واما الغول فالنفي فى الحديث موجه لعينها ، اذ لا وجود لها ، وانما هي من صنع الخيال الجاهلي . وكذلك العنقاء يزعمون انه طائر عظيم الجسم ، كالرخ المذكور فى كتاب الف ليلة وليلة الذي تعلق به سندباد البحري فطار به من جزيرة خالية الى بلد آخر . وزاد الادباء على الغول والعنقاء ، الخل الوفي . قال الشاعر :

فعلمت ان المستحيل ثلاثة
الغول والعنقاء والخل الوفي

وقال غيره :

الخل والغول والعنقاء ثالثة
اسماء اشياء لم تخلق ولم تكن

والحق ان الخل الوفي موجود ، الا اذا اريد به الخل الكامل المبرا من جميع العيوب الذي لا نقص فيه اصلا فهو صحيح . وقال بعض شراح الحديث ان تلك الاشياء الستة موجودة ، وتوجيه النفي لذواتها مجاز ، والمراد نفي ما كانت العرب تعتقده فيها ، والصحيح التفصيل على نحو ما ذكرته . والله أعلم .

قوله ، وقول الصاحب الخ . روى البخاري في كتاب الطب من صحيحه بسنده الى عبد الله بن عباس، ان عمر بن الخطاب خرج الى الشام حتى اذا كان بسرغ، لقيه امراء الاجناد ، ابو عبيدة بن الجراح واصحابه ، فاخبروه ان الوباء قد وقع بأرض الشام ، قال ابن عباس ، قال عمر . ادع لي المهاجرين الاولين فدعاهم فاستشارهم واخبرهم ان الوباء قد وقع بالشام ، فاختلفوا ، فقال بعضهم ، قد خرجنا لامر ولا نرى ان نرجع عنه . وقال بعضهم ، معك بقية الناس واصحاب رسول الله (ص) ولا نرى ان تقدمهم على الوباء . فقال ارتفعوا عني ، ثم قال ادع لي الانصار ، فدعوتهم فاستشارهم ، فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم . فقال ، ارتفعوا عني . ثم قال ، ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان ، فقالوا نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء . فنادى عمر فى الناس اني مصبح على ظهر فاصبحوا عليه . قال ابو عبيدة بن الجراح : افرارا من قدر الله . ؟ فقال عمر ، لو غيرك قالها يا ابا عبيدة ، نعم نفر من قدر الله الى قدر الله . ارايت لو كان لك ابل هبطت واديا له عدوتان ، احداهما خصبة والاخرى جدبة ، اليس ان رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وان رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ . قال ، فجاء عبد الرحمن بن عوف، وكان متغيبا فى بعض حاجته ، فقال ان عندي فى هذا علما : سمعت رسول الله (ص) يقول : اذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه ، واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه . قال ، فحمد الله عمر ، ثم انصرف

نستفيد من هذا الحديث فوائد مختلفة ، منها ، ان عمر ، وهو اعظم الخلفاء الراشدين دولة واعزهم سلطانا واكثرهم فتوحا وانتصارات ، لم يكن يستبد برايه فى امر من الامور ، بل كان يشاور جميع طبقات اهل الراي من رعيته ، ويأخذ بأحسن آرائهم ، اذا لم يجد عند احد منهم خبرا عن النبي (ص) . ومنها ، انه كان اذا وجد حديثا عن النبي (ص) يفرح به ويترك رأيه وراي غيره ويتبع الحديث . وفى ذلك رد على المقلدين واصحاب الطرائق الذين يقلدون الفقهاء والاشياخ ، وينشد قائلهم :

وكن عنده كالميت عند مغسل
يقلبه ما شاء وهو مطاوع

ومنها ، ان اهل الشورى كانوا يجادلونه ويردون عليه بغاية الحرية ، التي تسمى فى هذا الزمان (ديمقراطية) ونحن نسميها عمرية محمدية . ومنها ، المعجزة العظيمة فى سبق النبي (ص) الى نظام الحجر الصحي عند اشتعال نار الوباء بمنع الخارج من الارض الموبوءة حتى لا ينقل الوباء الى ارض اخرى ، بل يبقى محصورا فى البقعة التي نشأ فيها ، ومنع الداخل اليها من ارض سالمة منه حتى لا يصاب به . وهذا ما اتفقت عليه اليوم جميع دول العالم بعد مضي زهاء اربعة عشر قرنا . ومن لم ير هذه معجزة فقد اعمى التعصب عين بصيرته . ومنها ، ان التوقي والاخذ بالحزم لا ينافي التوكل على الله ، ولا يسمى فرارا من قدر الله ، لان الفرار من قدر الله غير ممكن .

قوله زعارة وتصاقر على الله . قال فى القاموس. الزعارة (يعني بتشديد الراء) وتخفف ، الشراسة . ولم اجد فى القاموس تصاقر . واظنه فعلا ماخوذا من لفظ الصقر ، اي تظاهر بالقوة وعدم التاثر والخوف كالصقر الذي تخافه الطير الضعاف ، وهو لا يخاف منها احدا . وليس عندي كتب مطولة فاراجعها . اقول وكذلك من قال بكراهة التداوي فقد تصاقر على الله وخالف امر رسول الله ، بل كذب على شريعته ان زعم انه فهم ذلك منها ، وان اصر على تقليد من قال بذلك من الحنابلة مع وقوفه على الاحاديث فقد خاب وخسر. وقد رايت رجلا من الحنابلة فيما يدعيه كان يقول بكراهة التداوي ولا يتداوى ابدا ، وكلما اصابه مرض الح عليه أهل بلده ان يأتوه بالطبيب فيابى . وكان اهل بلده يعظمونه جدا ، لانه كان يتعفف عن أموالهم بعض التعفف بخلاف أكثر الفقهاء . فأصابه مرة مرض شديد فجاءه اعيان البلد واجتهدوا معه أن يقبل الاتيان بالطبيب والتداوي فابى ومات من ذلك المرض . ونحن لا نعتقد ان الدواء يزيد فى العمر . ولكننا نعتقد ان من يتداوى قد اكرمه الله بالعقل وعرفه سننه فى خلقه ووفقه لاتباع النبي صلى الله عليه وسلم . روى البخاري والنسائي وابن ماجة باسانيدهم الى ابي هريرة عن النبي (ص) انه قال : (ماانزل الله داء الا انزل له شفاء) قال القسطلاني فى شرحه ، قال فى الكواكب ، ما اصاب الله احدا بداء الا قدر له دواء . وروى احمد والبخاري فى الادب المفرد وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم من حديث اسامة بن شريك (تداووا ياعباد الله فان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء ، الا داء واحدا ،الهرم وفي لفظ الا السام ، يعني الموت . وزاد النسائي من حديث ابن مسعود (فتداووا) ولمسلم من حديث

جابر برفعه (لكل داء دواء ، فاذا اصيبت دواء الداء برأ باذن الله) انتهى من القسطلاني باختصار .

قوله ، من اهل العدوة ، اي من المغرب .

عود الى الكلام على تحديد النسل

اعود بعد ذلك الاستطراد الطويل الذي ربما يمل بعض القراء ، ولكنه يسر آخرين منهم ، اعود الى الكلام فيما جاء في العزل فانقل كلام ابن حزم في المحلي . قال أبو محمد ابن حزم في المحلي ، ج 10 / ص 70 / مسالة 1907 / ولا يحل العزل عن حرة ولا عن أمة . برهان ذلك ما روينا من طريق مسلم ، وذكر سنده الى عائشة عن جذامة بنت وهب اخت عكاشة قالت : (حضرت رسول الله (ص) في أناس فسالوه عن العزل؟ فقال رسول الله (ص) : ذلك الواد الخفي ، وقرأ (واذا المؤودة سئلت) .

قال ابو محمد : هذا خبر في غاية الصحة ، واحتج من اباح العزل بخبر ابي سعيد الذي فيه ، لا عليكم ان لا تفعلوا . قال علي ، هذا خبر الى النهي اقرب ، وكذلك قال ابن سيرين ، واحتجوا بتكذيب النبي (ص) قول يهود ، هو المؤودة الصغرى ، وباخبار اخرى لا تصح .

قال ابو محمد : يعارضها كلها خبر جذامة الذي اوردناه ، وقد علمنا بيقين ان كل شيء فاصله الاباحة لقول الله تعالى (الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وعلى) هذا كان كل شيء حلالا حتى نزل التحريم ، قال تعالى : (وقد فصل لكم ما حرم عليكم) فصح ان خبر جذامة بالتحريم هو الناسخ لجميع الاباحات المتقدمة التي لا شك في انها قبل البعث وبعد البعث ، وهذا امر متيقن ، لانه اذا اخبر عليه الصلاة والسلام ، انه الواد الخفي ، والواد محرم ، فقد نسخ الاباحة المتقدمة بيقين ، فمن ادعى ان تلك الاباحة المنسوخة قد عادت : وان النسخ المتيقن قد بطل فقد ادعى الباطل وقفى ما لا علم له به واتى بما لا دليل له عليه . قال تعالى : (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) وقد جاءت الاباحة للعزل صحيحة عن جابر بن عبد الله ، وابن عباس ، وسعد بن ابي وقاص ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود . وصح المنع منه عن جماعة كما روينا عن حماد بن سلمة عن عبيد الله بن عمر عن نافع ، ان ابن عمر كان لا يعزل ، وقال ، لو علمت احدا من ولدي يعزل لنكلته.

قال أبو محمد : لا يجوز ان ينكل على شيء مباح عنده . ثم روى بسنده الى علي بن ابي طالب ، انه كان يكره العزل . ثم روى بسنده الى عبد الله بن مسعود انه قال في العزل ، انه الموءودة الخفية . ثم روى بسنده الى ابي امامة الباهلي انه سئل عن العزل فقال ما كنت ارى مسلما يفعله . وروى بسنده الى ابن عمر قال : ضرب عمر على العزل بعض بنيه . وروى عن سعيد بن المسيب قال ، كان عمر وعثمان بن عفان ينكران العزل . قال ، وصح ايضا عن الاسود بن يزيد وطاووس .

ذكرت فيما تقدم بعض الاسباب التي توجب العزل او تبيحه . وازيد هنا سببا آخر سئلت عنه كثيرا ، وهو ان بعض النساء يحملن بعد الولادة بزمان يسير ، فيجتمع على الوالدة رضيعان او اكثر في وقت واحد ولا تجد مرضعة اخرى ولا من يعينها على القيام بما تحتاج اليه الصغار من تغذية ونظافة وغير ذلك من شؤونهم يضاف الى ذلك انها قد تكون محتاجة الى ان تشتغل عند الناس لتكسب قوتها ، فيلحق بها في توالي الحمل والولادات حرج . فمثل هذه المراة يجوز لها بالاتفاق مع زوجها منع الحمل منعا موقتا ، بحيث يكون بين الولد والولد مدة يتم فيها الرضاع للسابق وتستعيد هي بعض قوتها لتتمكن من حمل آخر وارضاع آخر . فهذا من الاسباب المبيحة للعزل وما لشبهه من اسباب منع الحمل لمدة محدودة . والدليل على ذلك قاعدة رفع الحرج المنصوص عليها في كتاب الله المجمع عليها بين الائمة .

والآن بعد كل ما تقدم نبحث في سبب آخر يعتذر به كثير من الناس في هذا الزمان ، وهو الفقر الخاص كأن يكون الوالدان فقيرين ، او العام ، كأن تكون الاغذية في بلد من البلدان قليلة يخشى اذا تكاثر السكان ان لاتسد حاجتهم فيفضي ذلك الى سوء التغذية العام ، ثم الى الموت جوعا . فيرى بعض الساسة ان يرغب السكان في تحديد النسل ، وربما بدا لهم ان يجبروا الناس على ذلك ، كما فعل هتلر وحكومته لغرض آخر غير التغذية ، فان حكومة هتلر كانت تجبر الاجانب المنقطعين الذين لا جنسية لهم ، اي لا دولة تعترف بهم ، كالمغاربة الذين كانوا في الجيش الفرنسي ، ثم فروا الى المانيا في الحربين العالميتين . فكانت حكومة هتلر تفرض على كل متزوج من هؤلاء البؤساء اجراء عمل جراحي يمنع النسل . فان ابى قبضت عليه وحبسته ومنعته من وصال زوجته . وقد

اخبرني المغاربة الذين كانوا في برلين في زمان هتلر ان بعضهم قبل اجراء ذلك العمل الجراحي فاصابه بسبب ذلك مرض لازمه حتى مات منه . واعرف شابا مغربيا من حوز مراكش اسمه عمر كان متزوجا بامراة المانية فدعته الدائرة المختصة لاجراء تلك الجراحة فابى ، فسجن ، وكانت زوجته الالمانية تشتغل وتزوره في السجن وتحمل اليه ما يتيسر لها من الطعام وتقوم بغسل ثيابه ، فدعاها رئيس الدائرة وقال لها ما تريدين بهذا المغربي المتشرد ؟ فارقيه فنرد عليك جنسيتك الالمانية ونعطيك شغلا في الحال فامتنعت وقالت لا افارق زوجي ولا اغدر به في وقت الشدة . فلما طال عليه الحبس وكانوا قد عرضوا عليه مرارا ان يتجند في جيش فرانكو فيطلق سراحه ويرسل الى اسبانيا، فكان يقول لهم انا لا اقبل العمل الجراحي ولا أتجند في جيش فرانكو ، لانني لست اسبانيا ، انا مغربي فان شئتم ان توصلوني الى بلادي فاني اقبل ذلك شاكرا . اما اسبانيا فلا اذهب اليها . وكان الجنرال فرنكو قد التمس من الالمانيين ان يبعثوا اليه كل من عندهم من المغاربة الذين يقبلون التجنيد . فلما طال الحبس على عمر المسكين قبل ان يتجند ويذهب الى اسبانيا فارسلوه ومعه زوجته الالمانية الى فرنكو . ولا ادري ما فعل الله به .

نعود بعد هذه الجولة الى منع الحمل خوفا من قلة الغذاء فنقول ، قال الله تعالى في سورة هود (6 وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين) وقال تعالى في سورة الذاريات (56 ــ 57 ــ 58 وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ، ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) . وقال تعالى مخاطبا رسوله (ص) وامته تبع له في سور طه (132 وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسا لك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) فكل من يعبد الله ويحافظ على الصلاة وغيرها من امور الدين يخرج الله له رزقا ولو من صخرة صماء . وعد الله لا يخلف الله وعده . وقد رايت في معرض (دوسلدورف) بالمانيا آلة عظيمة يلقى فيها الخشب في جانب فيخرج من الجانب الاخر قطنا ابيض محلوجا في غاية البياض والنظافة . وسمعت من اذاعة لندن في هذه الايام ان بعض العلماء يجري تجارب لاستخراج الطعام من مواد معدنية . وبقطع النظر عما سيكون ، فان كل مؤمن بالله ، واكثر اهل الارض مؤمنون به ، يعتقد ان الله لا يخلق انسانا ولا حيوانا ، الا وقد أعد له رزقه . ولا يمكن ان يخلق الله خلقا اكثر مما خلق لهم من الاغذية . كما انه خلق من مادة الاكسجين التي يتنفسها الحيوان ، والانسان على قدر المتنفسين . فكل حيوان خلقه الله فقد ضمن له ما تقوم به حياته . لا يتخلف ذلك ابدا ، لانه من السنن الكونية ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا . يقال ، ان في الهند خمسة ملايين من البشر ، لا ماوى لهم ، وانما يهيمون على وجوههم طول حياتهم . وسمعت ان بعض اهل البيوت الفقيرة في الهند اذا انقضى زادهم اغلقوا بابهم وماتوا جوعا ، فلا يهتم بهم احد . ولا ادري اهذا صحيح ام لا ؟ وعلى فرض صحته فليس ذلك ناشئا عن قلة ما خلق الله من الاغذية في الهند ، ولكنه ناشيء عن طغيان الطبقة الغنية الشريفة المقدسة واحتقارها لمن دونها . ومن دونها من الطبقات يحتقر من دونه منها حتى يصير الامر الى الطبقة المنبوذة المتنجسة ، اذا وقع ظل الواحد منهم على طعام ينجسه . فلو ان الارزاق قسمت بالعدل وفسح المجال للطبقات المحتقرة ان تكتسب رزقها لكانت الارزاق تزيد عن حاجة الناس . ولنضرب لذلك مثلا فنقول : ان من اغنياء الهند من يملك بضعة وعشرين من الفيلة فقط ، غذاء الواحد منها يكفي خلقا كثيرا من البشر ، وانما يكتسبها للتفاخر والتكاثر . وقال تعالى في سورة الاسراء (31 ــ ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا)

قال ابن كثير في تفسير سورة الانعام ، في الآية المماثلة لهذه ، وقد تقدمت : (ج 4\148\ وقوله تعالى: ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم) لما وصى تعالى بالوالدين والاجداد عطف على ذلك الاحسان الى الابناء والاحفاد ، فقال تعالى ، ولا تقتلوا اولادكم من املاق . وذلك انهم كانوا يقتلون اولادهم كما سولت لهم الشياطين ذلك ، فكانوا يقتلون البنات خشية العار ، وربما قتلوا بعض الذكور خشية الافتقار ، ولهذا ورد في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود انه سال رسول الله (ص) اي الذنب اعظم ، قال ، ان تجعل لله ندا وهو خلقك . قلت ، ثم اي ، قال ، ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك ، قلت ثم اي ، قال ، ان تزاني حليلة جارك . ثم تلا رسول الله (ص) ـ الذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون . الآية . وقوله تعالى . من املاق ، قال ابن عباس وقتادة والسدي وغيره (كذا) ، هو الفقر ، اي ولا تقتلوهم من فقركم الحاصل . وقال في سورة الاسراء : ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ، اي لا تقتلوهم خوفا من الفقر في الآجل ، ولهذا قال هناك ،

نحن نرزقهم واياكم . فبدا برزقهم للاهتمام بهم ، اي لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم فهو على الله . واما هنا لما كان الفقر حاصلا ، قال نحن نرزقكم واياهم ، لانه الاهم هاهنا . والله اعلم .

فان قيل ، ان هذه الآية وردت في قتل من تم خلقه وولد وصار حيا يرزق . فكيف يستدل بها على منع الحمل الذي لا يزيد على منع الذرتين المنويتين من الاتحاد او على ابادتهما بالادوية التي تقتل الجراثيم ؟ فالجواب . ان هناك قدرا يجمع بينهما ، وهو قطع الحياة في كل لغير سبب يبيح ذلك او يوجبه . وهو جريمة . ولا يخفى ان اصل الحياة كلها خلية لا ترى بالبصر ، كما وضح ذلك في كتب علم الحيوان وعلم النبات . فالذرتان المنويتان تتمتعان بالحياة التي يستمتع بها كل حي . والذي يغلظ الجريمة هنا هو الجهل بسنن الله وعدم الثقة بوعده والقصد السيء الدال على ذلك . والعدول عن اتباع سنة النبي (ص) والاهتداء بهديه واتباع السلف الصالح والافتتان بالآراء الاجنبية الصادرة عن القلوب الحجرية المظلمة الكافرة اليائسة من روح الله .

فمن الاوربيين من يعزم على انه لا يلد ولدا حتى يهيىء له من المال ما يكفي لتربيته تربية تشبه تربية ابناء الملوك . فمن ذلك انه يعد له مربية وغرفة مملوءة بانواع اللعب وينفق عليه ما يكفي لاعاشة عشرة اولاد معيشة معتدلة صحية ليس فيها تدليل مفسد .

ويؤمل ان يصير ولده هذا المدلل رجلا عظيما من الزعماء فيخيب ظنه وينشأ ولده في نعمة ورفاهية ودلال ضعيف العقل والجسم فاسد الطبع خائر العزم اينما وجهه لا يأتي بخير . وفي مقابل ذلك يوجد في اوربا نفسها فلاحون وعمال لا يحددون نسلهم ، فيلدون اولادا ينشئونهم على خشونة العيش والكدح والعمل ، فلا يبلغ الواحد منهم السابعة من عمره حتى يشرع في مساعدة والديه . وبدل ان يكون لهما ولد واحد مدلل ضعيف يكون لهما ما بين ثلاثة وسبعة اولاد اقوياء البنية مدربين على العمل اينما سقطوا لقطوا وحيثما وجهوا جاءوا بخير . وقد اخبرني ضابط الماني كبير ان الجنود من ابناء الفلاحين اقوى اجساما واحسن اخلاقا واصبر على المشاق واقنع باليسير من الغذاء . قال ، وانا لا اعتمد في المهمات على ابناء المدن ، وانما اعتمد على ابناء الفلاحين . واعرف رجلا في البلاد العربية عاش طول عمره يشتغل بالبناء فقيرا ، فلما بلغ الولد الاول والثاني من اولاده بضع عشرة سنة اتخذا دكيكينا في القرية يبيعان فيه الطحين ، وانما يأخذان من احد التجار الكيس بعد الكيس فيبيعانه بالارطال ، فما زالت تجارتهما في نمو ، وكل من كبر من اخوتهما يلحق بهما ويتعاون معهما . فلما اتسعت تجارتهم بنوا قصورا في قريتهم وصاروا من كبار اغنيائها ، ثم دخلوا المدينة ، فاستولوا على قسط وافر من تجارتها ، وهم الآن من اعظم البيوتات في وطنهم . وعاش ابوهم بقية عمره مبجلا قرير العين في نعمة ورفاهية . واعرف رجلا آخر لم يعش له من الاولاد الذكور احد الا بعد ما بلغ سن الكهولة ، فولد له ولد فكاد يجن من الفرح وصار الوالدان يدللان ولدهما تدليلا افسد طبعه وخلقه وجسمه ، ثم ولد لهما بعده ولد آخر فلم يهتما به فتربى تربية خشنة . وقد شاهدت الاول ، وعمره خمس سنين من فرط دلاله يأمر الخادمة او امه او اخته ان تحمله على ظهرها وتصعد به الى السطح ثم يأمرها ان تحمله وتنزله . ثم يأمرها ان تصعد به مرة اخرى حتى تتعب وينقطع نفسها . واحيانا ينام في المهد ويأمر احداهن ان تهزه به — واحيانا يبكي بلا سبب فيعرض عليه كل ما في الامكان من المشتهيات فلا يرضى بشيء ، ويستمر في البكاء فاذا تعب ينادي اسكتوني اسكتوني . فتجيئه احداهن فتقول انا اسكتك ، فيقول بصوت الباكي ، لا لا لا احبك انت فاغربي ، ثم تأتي الاخرى فيختار من بينهن واحدة يسكت بطلبها . هذا الولد المدلل لم ينجح في المدرسة . ولما كبر لم يجد شغلا . واما اخوه فهو الآن مدير احد المصارف . ومن هذا تعلم ان الاعتذار لتحديد النسل بعدم وجود المال الكافي لتربية الاولاد اعتذار باطل . وان تحديد النسل لا يجوز او يجب الا لضرر يلحق بالوالدين او الاولاد ، لا يمكن احتماله . وليس الفقر والخوف من قلة الغذاء سببا مبيحا لمنع النسل . واما منع النسل خوفا من تكاثر الجنس المنحط في بلاد الجنس الآري المقدس كما كان هتلر وامامه في ضلالته (روزنبرك) وشيعتهما يعتقدون . ومثال ذلك مذهب حكومة اتحاد جنوب افريقية وما يقع من العدوان من البيض على الزنوج في امريكا ، فكل ذلك من اعظم ما عرفه البشر من الجرائم . ولو زال التعصب المقوت للاوطان وتعاون الناس كلهم على استخراج خيرات الارض كلها ، وتركوا الاستعداد للحروب والطغيان والاستعباد ، ووزعوا الاغذية فيما بينهم توزيعا يهيمن عليه العدل والاحسان لعاشوا جميعا في خفض ونعمة ورفاهية عيشة راضية ، وان بلغ عددهم عشرات الالوف من الملايين . ولله در ابن زريق اذ يقول في قصيدته العينية المشهورة :

والله قسم بين الناس رزقهم
لم يخلق الله من خلق يضيعه

مكناس : تقي الدين الهلالي

تأملات في التشريع الإسلامي

للفقيه العلامة المرحوم أبو بكر زنيبر

أبو بكر زنيبر من العلماء الذين يقترن اسمهم بتاريخ حافل في الوطنية والكفاح ، ومن الفقهاء الذين عاشوا مشاكل عصرهم بوعي وادراك كبيرين ، وقد عرف فيه معاصروه مثال النزاهة والاستقامة وهو يتولى القضاء في عدة مدن ، وعرف فيه الذين حضروا مجالس علمه وتتلمذوا عليه صورة العالم الواسع الاطلاع الملم بمرامي الشريعة والملائم بين مقاصدها ومقتضيات العصر ، ولم يستطع الاستعمار ان يصده عن غايته أو ينال من ايمانه رغم عزله احيانا وتعرضه لمحنة السجن والعذاب سنة 1944

كان المرحوم يراسل عددا من المجلات في الشرق ويجيب على أسئلتها فيما يخص ميدان الشريعة الاسلامية ، وقد كتب عددا من الكتب ما تزال مخطوطة منها : جهود الاسلام في ترقية الانام ، الحجاب من الوجهة الشرعية ، تفسير القرآن الكريم ، المهر في الاسلام وقد ترجم هذا الاخير ونشر في اللغة الفرنسية ، والمقالة التي ندرجها اليوم مقتبسة من مخطوطه في تفسير القرآن . استاثرت رحمة الله بالفقيد سنة 1956

يقول الله تعالى في كتابه العزيز (وان من امة الا خلا فيها نذير) ، بمقتضى هذه الآية الكريمة يكون تقدم في كل امم الشرق والغرب والشمال والجنوب مثل الصين وجزر اليابان واستراليا والهند وفارس وافريقيا واوربا وامريكا مرسلون لا محالة ، ويقول في آية اخرى بعد ذكر الرسل عليهم السلام : (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك .

وقد استقرانا من ورد ذكرهم في القرآن من النبيئين والمرسلين واممهم ، فلم نجد دائرتهم تخرج عمن كان منهم في جزيرة العرب كهود وصالح عليهما السلام ، وما حولها من العراق والشام وفلسطين ومصر كنوح وابراهيم واسحاق ويعقوب ويوسف وشعيبا وموسى وهارون وعيسى عليهم وعلى غيرهم من ربهم السلام .

وذكر آدم عليه السلام في القران ليس من جهة كونه نبيا وسط امة يبلغها اوامر الله ونواهيه، ويبشرها وينذرها ويوجهها الى ما فيه سعادتها ، وانما ذلك من جهة كونه جدا للبشر اكرمه الله بخلافته عنه في الارض وباسجاد ملائكته فحسده ابليس على ذلك وتوثقت العداوة بينهما وبين ذريتهما الى انقراض الدنيا وكذلك اشارة القرآن الى قصة قابيل وهابيل انما هي قصة شخصية وقعت لاخوين لا دخل لامر النبوة فيها .

وعليه فما الحكمة في قصر قصص القرآن على بعض اولئك الرسل مع اممهم ؟ الذي ظهر لنا من ذلك ان احاديث هؤلاء الرسل عليهم السلام مع اممهم التي ذكرت في القرآن كان العرب وبنوا اسرائيل الذين كان القرآن يجادلهم بالخصوص معروفة لديهم ولو على سبيل الاجمال ، بل احاديث انبياء بني اسرائيل مع

اممهم كانت معروفة لبني اسرائيل على سبيل التفصيل، فوجب ان يحتج على كلا الفريقين بما يعلمان ويسلمان، اذ الحجة لا تقوم على الخصم الا بما يعلمه ويسلمه ويقره ، او بما شانه ان يعلمه ويقره وان لم يقربه بالفعل استكبارا وعنادا وترفعا عن الحق لاسيما وعقلية هؤلاء الامم المذكورة في القرآن قريبة من عقلية العرب وبني اسرائيل المحتج عليهم باموالهم وبما وقعوا فيه من جراء مخالفتهم لانبيائهم ، وذلك من حيث الدم والجوار والمناخ والاحوال الاجتماعية المتوارثة فيما بينهم جيلا بعد جيل ، فذكرهم والاحتجاج بهم في القرآن بالخصوص مظنة التاثير على عقلية العرب وبني اسرائيل وتفكيرهم ، وليس كذلك امم الصين واليابان واندونيسيا والهند وافريقيا واوربا وامريكا وما سواها من الامم البعيدة ، فاحوال هذه الامم مع رسلهم والاخبار بما في القرآن على جهة الاحتجاج على العرب وبني اسرائيل بعيد التاثير على كل من العرب وبني اسرائيل حيث كانوا لا يعلمون منها شيئا لا جملة ولا تفصيلا ، وكذلك عقلية هذه الامم بعيدة عن عقلية العرب وبني اسرائيل حيث لا يجمعهم بهم دم ولا نسب ولا جوار ولا غير ذلك مما يقربهم لبعضهم ويجعلهم يتاثرون بما يتاثر به البعض منهم .

ان مدار التشريع غالبا لدا الامم والدول هو الاحوال الاجتماعية والعوائد المالوفة للناس وقت التشريع ، فلهذه الاحوال قوة التاثير على التشريع جملة وتفصيلا اذ لولا مراعاتها لعارضت الامم فيه ، واستحال الامر الى فساد ، وانحلت الرابطة بين الامم وحكوماتها ، ووقعت الفوضى والمضاربة بين فريقي الامة والحكومة ، حيث ان الناس مجبولون على اعتناق عوائدهم ومالوفاتهم ، ولو ادى الامر الى ما ادى ، ومن اقوال الحكماء الجارية مجرى المثل : (العادة طبع خامس)

واغلب ما كان يكون بين الملوك المستبدين واممهم من قيامهم عليهم ومحاربتهم او عزلهم بالكلية ، هو عدم مراعاة احوالهم في التشريع الذي يشرعونه ، اذ كانوا اكثر ما يكونون مفرقين في ملذاتهم لا هم لهم الا استحصال هذه اللذات ، ولا ينظرون في مصالح اممهم ولا في عوائدهم وما لحفظها عليهم الا تبعا ، فتقع الكارثة ، الى ان تمكنت الامم المتمدنة في هذه العصور الاخيرة من حصر دائرة نفوذ ملوكهم بجعلهم بمعزل عن دائرة التشريع بالكلية ، وجعل هذا التشريع بين طائفتين من نواب الامة الاولى تسمى (مجلس النواب) وهي التي تتولى التشريع مباشرة ، والثانية تسمى (مجلس الشيوخ) وهذه الطائفة شانها ان تتصفح ما شرعته الطائفة التي قبلها فتنبه على ما فيه من مضار ومنافع وخطا وصواب .

وقد راعى الاسلام في تشريعه الاحوال الاجتماعية اذ ذاك كل المراعاة ، فنرى القرآن اولا لم يكثر من درس مسائل التشريع وانما ، ذكر منها ما دعت اليه الضرورة وقت التنزيل ، وغالب ما ذكر في نظرنا منها ما كان متعلقا بالاحوال الاجتماعية كبعض مسائل النكاح والطلاق وما يتبعهما ، وكذلك بعض مسائل الارث ، والنظر في اموال اليتامى وحفظها لهم ، وترك غالبية مسائل التشريع الى اجتهاده (صلعم) او اجتهاد اولي الامر من بعده وهم العلماء الذين فيهم الكفاية والقدرة على ذلك كما يفيد ذلك قوله تعالى : (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) اذ النوازل الكلية والجزئية لا حصر لها حتى يمكن ان تحصى في القرآن الكريم ، وحتى يمكنه ان ينص عليها ويبينها تفصيلا .

ونراه ثانيا بحسب ما ظهر لنا انه قسم المسائل التي حكم فيها الى ثلاثة اقسام : الاول ما كان شائعا في الامة جميعها ولا تمكن معارضته لما فيه من الضرر ونسخه بالكلية ، وذلك كتعدد الزوجات وكتعدد الطلاق ، وكامتلاك الرقيق ، وكجعل الولي على الانثى في النكاح ، وكجعل نصيب الذكر في الارث ضعف نصيب الانثى .

فان هذه الامور وان كان فيها الضرر المشاهد على فريق للفريق الاخر، اذ كيف يسيغ عقل الانثى ويرضيه ان تذل وتهان لزوجها باشراكه اياها في عصمته لزوجة او اكثر الى اربعة ، وما يتبع ذلك من المأكل والمشرب والملبس والمسكن والمبيت ، وغير ذلك من حقوق الزوجية كالارث بعد الموت ، ثم كيف يسيغ عقلها ويرضى ان تكون دائما معرضة لاذلاله بالطلاق ، وكيف يسيغ عقل البشر ان يملك احد افراده فردا او افرادا اخرين من جنسه وهو مثله في قوة العقل والادراك والقدرة على الاكتساب والتمتع بسائر ملاذ الحياة وغير ذلك ، وكذلك كيف يسيغ عقل الانثى ان تحجر ويملك عليها امرها وحريتها عند العقد لوليي نكاحها كابيها وغيره من الاولياء ، وكيف يسيغ عقلها ايضا ان يكون نصيبها من الارث على النصف من نصيب الذكر .

غير ان الاسلام راعى هذه الاضرار كل المراعاة وادخل فى بعضها اصلاحات عديدة حيث لم تكن الامة قابلة اذ ذاك لمحوها وازالتها من الوجود لكونها كانت شائعة متفشية فيها راضيا كل فريق بما امتاز عليه به الفريق الاخر .

الم يكن الرجل قبل الاسلام يجمع بين ما شاء من الازواج فى عصمته ولو بلغن مائة فاكثر ؟ الم يكن الزوج اذ ذاك يطلق زوجه ما شاء من الطلقات ولو مائة ويردها الى عصمته كلما اراد ؟ الم يكن الرق متعارفا معمولا به لدا كافة الامم والدول ؟ الم يكن الرجل يتحكم فى بنته بالقتل فما دونه من الاضرار من غير ان يجد معارضا له فى ذلك ؟ فكيف تفلت من يده وقت النكاح وتكون لها الحرية المطلقة فى ذلك تتزوج من شاءت وترد من ارادت وقل قريبا من ذلك فى غير الاب من اولياء النكاح ، الم تكن الانثى محرومة اذ ذاك من الارث بالمرة الا فى احوال استثنائية ؛ بل الم تكن الانثى فى المجتمع العربي وغير العربي شيئا غير مذكور لا يؤبه به ولا يلتفت اليه ، وانما نلاحظ على انها متاع من امتعة الذكر .

فلما راى الاسلام هذه الاشياء وتمكنها من الامة كل التمكن ، وأن معارضتها ونسخها بالكلية ربما ادخل على الامة وعلى الاسلام اضرارا جمة، عمد الى اصلاحها فقصر الرجل الذي كان له التمتع بمن شاء من الازواج على اربع زوجات فقط ريثما يضعف هذا التعدد مع طول الزمان من تلقاء نفسه ، ومن مقتضيات الكلف المدنية وغير المدنية الملقاة على عاتق الذكور سواء من تلقاء كلف الزوجات او من تلقاء كلف الحالات الاجتماعية عموما ، ومن تلقاء كلف ضرائب الدولة ، وهذا الضعف فى تعدد الزوجات هو المشاهد فى وقتنا سواء فى الحواضر او البوادي ، فانك لا تجد الواحد فى الالف من اهل المدن له زوجتان ولا تجد الواحد فى الالف من اهل البوادي له اكثر من زوجتين ، وتجد غالب التعدد للزوجات فى البوادي انما ياتي من قبيل كثرة كلف البادية بمثل المستقى والمحتطب وكلف الماشية وغير ذلك من الكلف .

ثم قصر طلاقه الذي كان لا حد له على ثلاث تطليقات اذ ان الطلاق من ضروريات الاجتماع اذ كما يتسبب الاجتماع فى ربط الذكر بالانثى بواسطة النكاح لذلك يتسبب فى افتراقهما بواسطة الطلاق لامور تقتضي ذلك .

وحيث قصر الاسلام الطلاق على ثلاث مرات صار الزوج كلما صدر منه طلاق لزوجه احس بضيق خناقه فيها وتوقع رفع يده عليها بالمرة ، وافلاتها منه اذ اوقع عليها الطلقة الثالثة ، فعزت بذلك لدا زوجها ولدا المجتمع فى الجملة وبذلك قل الطلاق فى الامة كثيرا ، حتى انك لو احصيت الطلقات التي تقع شهريا فى المدن التي يبلغ عدد سكانها المليون فأزيد لوجدته شيئا تافها بالنسبة لعدد اولئك السكان ونرى لزيادة تقليل الطلاق ما امكن ، ان تضع حكومات الاسلام عقوبات مختلفة الاقدار على من طلق زوجه لغير سبب معقول ثابت ببينة او باقرار الزوجة او بقرائن الاحوال ، كمن يحلف لا افعل كذا فيفعله حيث اهان زوجه وعرضها للطلاق بامر خارجي ، فالطلقة الاولى عقوبة مالية خفيفة فى الجملة بالنسبة للمطلق ان لم يكن له معها اولاد ، فان كان له معها اولاد فيزاد فيها بالنسبة لعددهم ، حيث عرضهم لمحنة الفرقة الواقعة بين الابوين والعداوة المترتبة بينهما من اجل ذلك زيادة على فرقة هؤلاء الاولاد عن ابيهم او عن امهم ، ثم الطلقة الثانية تكون عقوبة اثقل من الاولى ، ثم تكون عقوبة الطلقة الثالثة اشد من الثانية .

وذلك بناء اولا على الاصل فى الطلاق المنع عليهما، وقد قال السيد عبد الرحمان الميساوي فى تاليفه الذي سماه (لماذا انا مسلم) ما نصه : وقد نص ابن عابدين فى حاشيته وهي من اهم مراجع الفتيا والقضاء الشرعي على ان الاصل فى الطلاق انه حرام ، وان الاباحة انما طرات على حكم تحريمه للحاجة الى الخلاص ، فحيث تجرد عن الحاجة المبيحة له شرعا يبقى على اصله من التحريم ، ثم قال وهذا الحكم ماخوذ من قوله تعالى (فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) .

وثانيا على القول بجواز العقوبة بالمال اذ المسالة فيها خلاف كبير ، انظره فى شراح العمل الفاسي لدا قوله :

ولم تجز عقوبة بالمال ❊ او فيه من قول من الاقوال

كما اصلح حالة الرق من عدة وجوه فجعله واجب الحل والقضاء عليه بالمرة ، وان يخرج الرق حرا طليقا فى ذاته وسائر احواله ، وذلك فى بعض الاحوال ، ومن جملة هذه الاحوال ان يتملك الانسان اقرب القرابة اليه كأبويه وان علوا واولاده وان سفلوا . واخوته المباشرين لاخوته ، ومن جملتها ايضا تشويه الرجل خلقة مملوكه قصدا ، ومنها ما اوجبه الشرع من النظر فى الاسرى

بالمصلحة العامة ، اما بالمن عليهم بالعتق ، او الفدية ، او الجزية ، او القتل ، او الاسترقاق ، ولا يخفى ان الثلاثة الاقسام الاولى كلها من قبيل العتق واطلاق الحرية التامة للرقيق ، ومنها عتق رقبة مومنة على كل من قتل غيره خطا ، ومنها نذر العتق والتزامه ، والعتق بالسراية ، كما اذا اعتق بعض مملوكه ، او اعتق حضه من مملوك مشترك له مع الغير كما ذلك مقرر فيها وكفارتا اليمين ، والظهار ، وفى بعض الاحوال ، وكفارة المفطر عمدا فى رمضان فى بعض الاحوال ،وكايلاده لامته.

وفوق كل هذا دعا الناس ورغبهم فى العتق مطلقا بمثل قوله (ص) كما فى الصحيحين : (من اعتق رقبة مومنة اعتق الله بكل عضو منها عضوا من اعضائه حتى فرجه بفرجه) وبالخصوص فى مثل الكتابة والتدبير وفداء الاسرى من آسرهم ولو من مال الزكاة او مطلق مال بيت المال او اموال الافراد .

قرر الاسلام كل هذا فى حق المماليك بعد ما اعترف برقيتهم لمالكيهم ريثما يقل الملك بين الناس او ينقطع بالكلية كما هو المشاهد اليوم فى زماننا .

اما اولا فلان الامم الاسلامية لم تبق لها قدرة على الحروب اليوم لضعفها وعجزها وتفرق شملها ، ولا يخفى ان اصل الرق انما هو آت من الحروب واستيلاء المحاربين على رقبات محاربيهم وتوزيعهم فيما بينهم .

واما ثانيا فان الدول العظام فى الوقت الحاضر قررت ان اسرى الحروب لا يملكون ، ويوزعون بين المحاربين كما كان الشان فى القديم ، وانما يبقون بيد الدول المحاربة الى ان يتفق فى شانهم .

ودول الاسلام اليوم لا قدرة لها على خرق هذا الاتفاق لضعفها كما قدمنا .

نعم الاسلام لم يفعل شيئا آخر فيما قرره من ولاية النكاح لما فى ذلك من المصلحة الراجحة اذ لو اعطى للانثى الحرية التامة فى اختيار الزوج لربما اختارت زوجا غير كفء لها ، فكان ذلك ضررا على مجتمعها ، وكذلك لم يقرر شيئا آخر فى الارث غير ما قرره اولا من جعل نصيب الذكر ضعف نصيب الانثى لما على الزوج من كلف العائلة وغيرها دون الانثى وبالله التوفيق

اما القسم الثاني وهو ما كان شائعا فى الامة وهو ضار بالاخلاق والمجتمع ، ولكنه غير شائع شيوع القسم الاول ، وذلك كالخمر والميسر والربا ، فان هذه الامور لم تكن شائعة بين الامة كلها اذ الامة التي كان يصل بها الفقر الى ان تمكث الليالي الطوال ولا تجد ما تقتات به سوى الكلا وما اشبهه لا تطول يدها كل الطول ان تتخذ الخمر ديدنا ، اذ الخمر انما هو من دواعي الرفاهية والغنى ، وقل مثل ذلك فى الميسر والربا ، ولذلك قضى عليه الاسلام بالكلية ، وذلك بمثل قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) وبمثل قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مومنين .. الخ) .

اما القسم الثالث وهو ما كان شائعا فى الامة شيوعا مطلقا كالقسم الاول او اكثر ولكنه غير ضار بالاخلاق ولا بالمجتمع كالبيع والكراء والتمتع بامرأة واحدة والطلاق الذي دعت اليه ضرورة الاجتماع بين الزوجين فقد اباحه الشارع اباحة مطلقة من غير مراعاة زمان ولا مكان ولا احوال اجتماعية خاصة ، ودللت بمثل قوله تعالى (واحل الله البيع وحرم الربا) بناء على احد التفسيرين فى الآية ، وبمثل قوله تعالى (الا ان تكون تجارة عن تراض منكم) فهاتان الآيتان يدخل فيهما عقود الكراء وما شابهها من عقود المعاملات ، وبمثل قوله تعالى فى الزوجية فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم) الى غير ذلك من الآيات الكريمة الواردةفى مثل هذا الموضوع .

اما ما كان من مراعاة الاجتماع فى التشريع لدا عصر الصحابة والتابعين واتباعهم فيظهر ذلك فى استنباط الاحكام لديهم من الكتاب والسنة ، وقد ظهر اثر ذلك فيما بين الحجاز وبين العراق ، اما اهل الحجاز فحيث كان عيشهم بسيطا واحوالهم الاجتماعية بسيطة تبعا لعيشهم ، ولم تعقد احوالهم مدنية راسخة ولا قوانين دولية ، ولا اعتاد اهله ما اعترى الامم المتمدنة من الانغماس فى انواع الملذات وكثرة الشهوات ، والتطلع بسبب ذلك الى الافلات من مسؤوليات تشريع ما بضروب من وجوه الحيل . كان استنباط الاحكام من الكتاب والسنة لدا اولئك المجتهدين من الصحابة فمن بعدهم وتطبيقها على اهل الحجاز من السهولة بمكان ، وقل مثل ذلك فى باقي جزيرة العرب ومصر والشام وافريقيا والاندلس فان احكامها كلها كانت تبعا فى التطبيق لاحكام الحجاز والمدينة المنورة .

اما العراق وما ادراك ما العراق ، فان المدنية الفارسية كانت راسخة فيه كل الرسوخ ، وكذلك القوانين الفارسية ومن اجل ذلك كان يصعب فيه تطبيق الاحكام الشرعية على ظواهر نصوصها ، فاحتاج المشرعون فيه الى وجوه من التأويل وغيره لتطبيق بعض نصوص الاحكام الشرعية هناك فخالفوا اهل الحجاز في تشريعهم وكثر بينهم النزاع والخلاف حتى قال ربيعة وهو من اشياخ مالك لما استقدمه ابو العباس السفاح العباسي الى العراق لاتخاذه مستشارا له هناك ورجع الى المدينة حيث لم يرضه المقام هناك ، قال ربيعة : رايت قوما حلالنا حرامهم وحرامنا حلالهم ، وقال ايضا كأن النبي الذي بعث الينا غير الذي بعث اليهم ، وقال وكيع : والله لكان النبي الذي بعث بالحجاز ليس بالنبي الذي بعث لاهل العراق ، وقال ابن شهاب الزهدي وهو من اشياخ ومجتهدي اهل المدينة ' يخرج الحديث من عندنا شبرا فيعود في العراق ذراعا وقد طلب ابو جعفر المنصور من مالك وضع كتاب تجمع الناس عليه ويلزمهم بما فيه واوصاه ان يجتنب فيه شواذ ابن عباس وشذوذ ابن عمر ورخص ابن مسعود وكان ابن مسعود استوطن من الصحابة العراق وتعاطى الاجتهاد وتطبيق الكتاب والسنة على الاحوال التي هناك .

ثم جاء الامام الاكبر ابو حنيفة بن النعمان واتباعه، وتبعوا طريقة العراق في الاجتهاد والتشريع رعيا لحالة الاجتماع هناك ، ولزمهم في ذلك تاويل بعض النصوص الشرعية كحكمهم على من لاط بذكر بالزجر فقط وعدم تطبيق احكام الزنى عليه ، او عدم اعتبارهم بعض احاديث الآحاد اذا عارضت القياس الصحيح ، عللوا ذلك بان الشريعة الاسلامية انما اتت لسعادة البشر ورحمتهم قطعا ، وان ما يقضي العقل بانه سعادة بطريقة القياس الصحيح للبشر ورحمة له اولى بالاتباع مما يكون مثار الظن كاحاديث الاحاد التي يظن انها صدرت من النبي عليه السلام ولا يقطع بصدورها منه ، وقد تصدى البخاري الى الرد عليهم تلويحا في كتاب الحيل من صحيحه كثيرا وفي غيره قليلا وذلك فيما اجازه من الاعمال المخالفة لمقتضى بعض الآيات والاحاديث .

فهذا ما ظهر لنا في اسباب الخلاف الواقع في الاجتهاد في الاحكام بين اهل الحجاز واهل العراق وقد كان الامام مالك رضي الله عنه تفطن قبلنا بازمان متطاولة الى هذه الاسباب ، فانه لما طلب منه هارون الرشيد ان يؤلف كتابا في الاحكام يعلنه على الكعبة ويلزم الناس بما فيه وتعلل له بان اصحاب رسول الله (ص) تفرقوا في البلاد وكل منهم بلغ عن النبي عليه السلام ما سمعه منه فعمل به اهل تلك البلاد ، فلذلك لا يقبل منه ان يلزم كل الناس بما رآه هو والف .

وبسبب مرونة الشرع الاسلامي وامكان تطبيقه على اهل كل بلد بحسب عوائدهم واحوالهم الاجتماعية كما رايته بين تشريع اهل الحجاز واهل العراق ، وكما تراه في اختلاف العلماء في كل زمان ومكان وترجيحهم من الاقوال بسبب مقتضيات وقتهم وبلادهم ما كان ضعيفا قبل ذلك او تضعيف ما كان راجحا لهذا السبب حتى الف العلماء المتاخرون ما ترجح وجرى به العمل في بلادهم من الاقوال الضعيفة بسبب ما اقتضى ذلك الترجيح ، ومن هذه المؤلفات العمل المطلق والعمل الفاسي وشروحه ، بسبب هذا كله وبسبب مرونة الشرع الاسلامي وقابلية تطبيقه على الناس في كل زمان ومكان قرر المؤتمر الدولي للقوانين المنعقد بهولندا في صيف سنة 1927 ان الشريعة الاسلامية تحمل العناصر الكافية التي تجعلها صالحة للتطور مع حاجات الزمان والمدنية ، وقال الدكتور المجري المسلم الاستاذ بجامعة براسة في كلمة له نقلها عنه مؤلف كتاب (لماذا انا مسلم) بعد ترجمتها باللغة العربية ، ليس في تعاليم الاسلام شيء لا يمكن تحقيقه عمليا وهي مفخرة عظيمة تميز بها عمن سواه الى غير ذلك من اقوال العلماء المسيحيين الشاهدة بالفضل للاسلام وامكان تطوره على مقتضيات الزمان والمكان .

بسبب مرونة الشرع الاسلامي وامكان تطوره بتطور الزمان والمكان ينبغي لعلماء الاسلام بل يجب عليهم في هذا العصر وفي العصور المستقبلة ان يتهيئوا للاجتهاد ولاستنباط الاحكام من الكتاب والسنة راسا ومباشرة وتطبيقها على احوالهم السياسية والاجتماعية وغيرها، فقد طال الزمان جدا بيننا وبين الائمة المجتهدين الاربعة واتباعهم واتباع اتباعهم ، وتبدلت احوالهم واوضاعهم واحوالنا واوضاعنا ، وحدثت في زماننا وسيحدث في الازمان المستقبلة ما لم يكن يخطر ببال اولئك المجتهدين واتباعهم حدوثه ، حتى اضطر القابضون على زمام الدول الاسلامية في الوقت الحاضر ومنهم دولتنا ان يحدثوا احكاما سموها (بالقوانين المدنية) لم يستقوها

---

* نذكر القراء بان الكاتب توفي سنة 1956

من الكتاب ولا من السنة ولا جعلوا الكتاب والسنة محك درسها واستنباطها وانما قلدوا في وضعها الدول الغربية ونخشى ان طال الزمان ان تعم هذه القوانين سائر الاحوال بالامم الاسلامية كلها وتبقى الشريعة الاسلامية معطلة لا قدر الله ، فيصدق علينا قوله (ص) ان الله لا ينتزع العلم من صدور الرجال انتزاعا ولكن ينتزعه بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا ، وقوله (ص) بدأ هذا الدين غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء وانه ليشتم من هذين الحديثين رائحة التوعد والتهديد لهذه الامة وعلمائها في جمودهم وجلوسهم على مقاعد الكسل والتقليد لغيرهم وعدم اجتهادهم واستنباطهم من الاحكام ما يساير عصرهم ويصلح احوالهم .

هذا ولنا شاهد عيان فيما ذكرناه من خشية تعطيل الشريعة الاسلامية وهي دولة تركيا التي صارت (لا دينية) ولا تتقيد بالشريعة الاسلامية في سائر احوالها واحكامها هذه مدة من نحو ستين سنة .

وما صدر منها هذا الامر الشنيع الا نتيجة لما كانت اتخذته قبل ذلك من تقليد الامم الاوربية .

ولذا ينبغي لعلماء الاسلام حفظهم الله الاجتهاد في ادراك احكام الشريعة الاسلامية التي تقتضيها ضرورة الوقت اولا بدراسة الكتاب الكريم والسنة النبوية دراسة تفهم وتحليل لالفاظها وجملها وتراكيبها وما تقتضيه ، لا مجرد دراسة تقليدية لمن تقدمهم من الائمة فان الكتاب والسنة كما هما لاولئك الائمة الذين مضوا وكتبوا عنها ، هي كذلك لعلماء الوقت وسواهم ثم بدراسة الخلاف الواقع بين الصحابة والتابعين واتباعهم والائمة المجتهدين الاربعة الذين لا زالت مذاهبهم قبلتنا في الاحكام رضوان الله عن الجميع ، ثم بالبحث عن سبب هذا الخلاف ومنشبه من الكتاب والسنة ، وكيف طبق صاحب كل قول من هذه الاقوال على احوال امته وبلاده ، ثم ينظر بعد ذلك في هذه الاقوال وما يناسب تطبيقه منها علينا ، فان لم يوجد منها ما يناسب تطبيقه علينا وذلك يفيد جدا اجتهدنا في استنباط حكمه من الكتاب والسنة مباشرة، ونحن معذورون في ذلك اذ ذاك غاية مقدورنا ونهاية ما في استطاعتنا ولا يكلف الله نفسا الا وسعها .

نعم لا يمكن تكوين هذا الفريق من الائمة الا بعد الحصول على الشهادة العالمية العليا التي تعطى اليوم في الجامعات الاسلامية لمن يسمون (العلماء) ، كجوامع الازهر والزيتونة والقرويين .

فمن هذه الشهادة الجامعية العالمية يبتدأ في تكوين اقسام طبقة المجتهدين ويجب على الدولة القيام بشؤونهم وواجباتهم قياما حسيا ، بالانفاق عليهم في الجامعة ثم بعد الخروج منها ، اذ هذا القيام هو الذي يمكنهم من استعمال افكارهم كي يكونوا قدوة للناس مسموعي الكلمة من كل من الدولة والامة وحينئذ يكونون مخاطبين بمثل قوله تعالى (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) وبمثل قوله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر) وقوله تعالى (فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) الى غير ذلك من الايات الواردة في هذا المعنى ، اما علماء الوقت المتخرجون من الجامعات الاسلامية في الوقت الحاضر فلا يمكن منهم الاجتهاد عادة لانهم مقتصرون على درس فقه مذهبهم ، قانعون بتقليد ما وجدوه فيه من الاقوال والخلاف لا يبحثون عن مصدر هذه الاقوال ومنشئها ولا كيفية استنباطها من الكتاب والسنة او تخريجه منهما وبالله التوفيق .

سلاحنا في المعركة :
الافكار

للأستاذ
عبد السلام الهراس

- 2 -

الافكار : تحدثنا فى المقال السابق عن سلاحنا فى المعركة من ناحية الاشخاص فالشخص هو موضوع الرسالة ووسيلة نشرها ايضا ، ولكن مادة بنائه ووجوده ، هي الافكار ، ولذلك نتناول فى هذا المقال جانب الفكرة من سلاحنا فى المعركة .

الاسلام دين حضاري تلك قضية مسلمة ولذلك كانت افكاره شاملة للحياة ، ولمشاكل الانسان ، وقد عالج تلك المشاكل بصورة تفصيلية عند ما كان التفصيل ضروريا ، وبصورة اجمالية عند ما كان الاجمال هو مصلحة البشر ، فبعض الافكار اذن مبادىء عامة لا تخوض فى الجزئيات لان تطور الانسانية لا يستطيع تحمل تفصيلات مرحلة معينة او زمن معين ؛ فالاسلام مثلا لم يحدد شكل الدولة كان تكون رئاسية او برلمانية او ينص على عدد النواب او مدة النيابة الى غير ذلك ، وانما نص على وجوب الشورى وعلى مسؤوليات رئيس الدولة ومسؤوليات الافراد ازاء الدولة ؛ وللمسلمين وحدهم وضع التفصيلات بما يناسب العصر ويحقق رسالة الاسلام فقد يختار المسلمون النظام الرئاسي ، او البرلماني او شكلا آخر خيرا منهما واكثر استجابة لتحقيق المبادىء الاسلامية فى الشورى والعدل والحفاظ على كرامة الانسان ، فالمسالة هنا اجتهادية تتغير حسب العصور والتطورات والظروف . وقد استجدت فى الحياة مشاكل جديدة ومظاهر اقتصادية واجتماعية وتجارية لم يكن للمسلمين بها عهد وليس فى الاسلام تفصيلات وتقنينات تعالج ذلك ولكن فى الاسلام مبادىء عامة تسعفنا بحل تلك المشاكل على نحو يحقق الاهداف السامية .

ولذلك كانت عبقرية الامة هي ان تكون لها القدرة على استنباط التفصيلات من المبادىء التشريعية العامة بحيث تحقق اهداف تلك المبادىء وتستجيب نزوحها فى غير ما تعقد ولا اصطدام مع المبدو نفسه .

والذي وقع بالفعل ان المسلمين اختلفوا فى تلك التفصيلات اختلافات منها ما كان ثروة وذخيرة للفكر الانساني ومنها ما كان كارثة على السير الحضاري للمسلمين ، وقد استفحل الخلاف فى مشاكل جوهرية تمس العقيدة نفسها مما عقد امورها وأبعدها عن جوهرها الصافي وهكذا وجدت مذاهب فلسفيه وكلامية يحاول كل مذهب ان يحل مشكلة العقيدة فلا يزيدها الا تعقيدا . وفى الاسلام : الكتاب والسنة ، بيان وبساطة رائعان فيما يتصل بالعقيدة .

كما وجدت مذاهب فقهية داخل اهل السنة وداخل الشيعة ، وهكذا وجد اسلام بالمذاهب ، وزيادة على ذلك فقد علق بالاسلام كثير من الخرافات ومن الطفيليات السامة والافكار الغريبة والمدسوسة مما شوه ديننا وافسد سلوك كثير منا ، وهكذا امتلأت مصادر الثقافة الاسلامية بالغث والسمين مما اورث عقولا مختلفة ومسالك متنوعة واثار مشاحنات ومنازعات اضاعت كثيرا من وقت امتنا عبر تاريخها ، والعجيب ان الجانب الخرافي المدسوس على الاسلام عن قصد او غير قصد قد استطاع ان يحظى بمكانة محترمة من عقول العوام بل وبعض الخواص .. وقد حاول بعض علمائنا الاجلاء عبر التطورات الاسلامية تصفية

هذه الثقافة مما علق بها فكانت اعمالا عظيمة وجليلة استحقت اعجاب العلم والضمير ورغم ذلك فاننا ما نزال في اشد الحاجة الى تصفية ثقافتنا من الدخيل عليها ونزع كل غريب عنها لنخرج بثقافة اصيلة تعكس روح القرآن والسنة .

فالفكرة الاسلامية الدارجة لدى الناس غير واضحة المعالم حيث لا تصلح ان تكون اساسا لحضارة في حين انها في اصالتها وجوهرها عين الحضارة ، فنحن الآن نعيش بفكرة تعكس حالتنا العقلية والاجتماعية ولكن نحن في حاجة الى الفكرة التي كان سلفنا الصالح انعكاسا لها عند ما آمن بها .

وعدم وضوح الفكرة الاسلامية ليس مقتصرا على العوام بل نجده على المستوى الخاص ولذلك ، عند ما تحدث اخاك بفكرتك في اصلاح العالم الاسلامي لا تلبث ان تجد بينك وبينه خلافات جوهرية وفروقا في القدرة على فهم الاسلام وهذا الاضطراب يتحمل بعض المسؤولية عن كثير مما وقع ويقع من التكتلات الاسلامية التي نشاهدها في العالم الاسلامي ، والحق ان تاريخنا الحديث شهد محاولة تبلور الفكرة الاسلامية في بعض تلك التكتلات ، ولكن الاقدار حالت دون اكتمال نموها .

وان اعداء الاسلام ليستغلون ضعف الفكرة الاسلامية في العقول فيشنونها غارة على الدين الاسلامي فيفترون عليه ويلصقون به اكاذيب ، ويزيفون عليه الافكار وتلك مؤامرات ناجحة في تفجير الفكرة الاسلامية وتخريبها والحيلولة بينها وبين عقول الناس ، ولذلك كانت البهائية والاحمدية وما على شاكلتهما محاولات من ذلك النوع ، ومرادها الحد من مد الفكرة الاسلامية الحقة ، والمبادرة الى المناطق التي يتشوف بعض افرادها الى الاسلام لتلقينهم « اسلاما مزيفا » حتى ان خرجوا من الفكر وقعوا في مثله ، وللاستعمار والصهيونية ضلع كبير في هذه المؤامرة .

ومما يتصل بمشكلة « الفكرة » ان التطورات الجديدة في العالم الاسلامي تسير على خط مشوش وان كانت السمة البارزة عليه هي « التغريب » مما يجعلنا نأخذ عن الغرب حلوله لمشاكله لنطبقها على مشاكلنا ، كما نأخذ عنه بعض اساليبه في الحياة ، ومن المؤسف ان عقليتنا لا تفرق بين المناهج العلمية التي يجب ان تؤخذ عن اي امة كانت وبين عادات واخلاق ومشاكل وحلول وظواهر اجتماعية ونفسية التي ينبغي ان نكون حذرين منها ، ولكن الذي يقع هو اننا نأخذ عن الغرب بعض عاداته ومظاهره كما نقلده في نظمه القانونية وبذلك تنزوي تشريعاتنا ومبادئنا الاسلامية لانها لم توصل باسباب التطور ولم تستشر فيما يجري في بلاد المسلمين ، فليس هناك علاقة متينة بين الفكرة الاسلامية وتطور المسلمين ، فتطورنا سائر على محور غربي وان كنا لم نعدم من كتابنا من حاول ان يلائم بين الاسلام وهذا التطور ويسارع الى تفصيل الاسلام « على قدره » ، فيصف الاسلام بالاشتراكية مثلا ، وهكذا كلما ظهرت مظاهر جديدة في الحكم او الاقتصاد عند الغربيين سارع بعضنا الى تشويه الاسلام ومحاولة طبعه بطابع تلك « الموضة » وقد اشتط البعض في هذا النوع حتى اتى بالعجب العجاب مما يأباه الفكر والذوق معا .

ولذلك ينبغي علينا ان نربط فكرتنا بتطورنا ، بمعنى ان يكون تطورنا منبثقا عن الفكرة الاسلامية ، الطارئة على اساس من الفكرة الخاصة بنا دون اللجوء الى استجداء الاجانب فنحن اصحاب رسالة ، والرسالة لن تكون كذلك الا اذا كانت تحمل عناصر جوهرية للحضارة وهذه العناصر ليست هي مدح الاسلام وانشاد القصائد فيه او العموميات التي نلقيها هنا وهناك ، بل هي الفكرة البسيطة الرائعة المبثوثة في الكتاب والسنة ، ولذلك كان من الواجب ان نسارع الى عقد مؤتمرات اسلامية لتحديد محتوى تلك الرسالة كما هي في الكتاب والسنة وكما يفهمها عباقرة المسلمين ثم استخراج الحلول للمشاكل التي طرات على المسلمين في حياتهم الجديدة ثم تصفية الثقافة الاسلامية من الدخيل ثم توحيد المذاهب وبذلك نخرج باسلام بلا مذاهب ، وباسلام محدد نظيف رائق وبذلك يقدم مفكرو العالم الاسلامي « الفكرة » جاهزة لاجيالهم واضحة لا اضطراب فيها ولا غموض بحيث يمكن تطبيقها في اي بلد اسلامي ، ولقد قدم لنا بعض هؤلاء المفكرين دراسات ومحاولات رائعة في هذا المجال مثل مالك بن نبي ، وابي الاعلى المودودي ، والسيد قطب ، والشيخ شلتوت ، وابي زهرة ، والسباعي ، وغيرهم ، ولذلك ينبغي ان نكثر من تلك الدراسات ومن تلك المحاولات ونقيم لذلك اكاديمية اسلامية دائمة للاهتمام

بالفكرة الاسلامية الحقة واشاعتها في العالم الاسلامي وغير الاسلامي . ويجب ان تقوم بتاسيس مؤسسات ثقافية مختلفة لنشر الفكرة الاسلامية كدور النشر والمطابع والمسارح ، والستوديوهات السينمائية . ودور الصحافة ، والوسائل الفنية الاخرى من كل ما من شأنه ان يسهم في التكوين النفسي والخلقي والفكري للانسان ، واول من كان يجب ان يقوم بهذا العمل هو الدول الاسلامية وان تجعل هذه المهمة مالة فوق الطوارىء السياسية والحزازات الشخصية ، فلو اخلصنا النية لجعلنا من تلك المؤتمرات الاسلامية التي تعقد لاصدار التوصيات وللتنفيس عن العواطف — لجعلنا منها اداة فعالة في خدمة الفكرة التي نصبو اليها

فاذا استطعنا ان نصفي ثقافتنا ونوحد فكرتنا فقد حصلنا على الاسلام الاول ومن ثم نستطيع ان نحصل على الاسلام الثاني ، وبالفكرة الاسلامية الحقة وبالفرد المؤمن الواعي نكون قد استوفينا سلاحنا في المعركة الايديولوجية التي يخوضها العالم بعد ان فشلت القوة .

اما الاعتماد على العموميات وعلى اثارة العواطف والاهتمام بجزئيات تافهة وشكليات فارغة وبالهجوم على « الملحدين » بالخطب الرنانة وبالتشاؤم من الاجيال الصاعدة فتلك اسلحة تضمن الهزيمة لحاملها .

فعلى المسؤولين من مفكري الاسلام وقادتهم ان يسارعوا الى تدارس امرهم على نحو مجد وفعال والى تنظيم انفسهم تنظيما محكما ولو بالوسائل القليلة التي لديهم لان الامر جد خطير يحتاج الى تقدير مناسب ، اما الذين لا يقدرون خطورته فانهم يعيشون على الاحلام التي تنقشع عند الصدمة الموقظة ، والله الموفق لخير العمل .

تطوان : عبد السلام الهراس



كيف سما الإسلام بالغريزة الجنسية

للأستاذ فريد العراقي

يتدخل فى سلوك الانسان غرائز فطرية جبل عليها، وهي اساسية فى انتظام حياته ، منها غريزة المقاتلة ، وحب الاستطلاع ، والبحث عن الطعام ، والرغبة في الاستعلاء .... والغريزة الجنسية او غريزة حفظ النوع ـ ومعناها وجود ميل فطري بين الرجل والمراة ، ميل عميق فى التكوين الحيوي ، يجعل الرجل يطلب المراة والمراة تطلب الرجل حتى يتم الابقاء على الجنس البشري ، ويتم امتداد هذه الحياة على ظهر الارض ، وتتحقق خلافة الانسان ، واستعماله لهذه الارض « هو الذي خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » . وتظل هذه الغريزة تلح على التقاء الرجل مع المراة حتى يتم ذلك . ولذلك لابد ان ينظم هذا اللقاء حتى لا ينشا عنه فوضى ، تؤدي بحياة الانسان وحضارته وتفسد كل تنظيم يقيمه وتحطم كل تقدم يحرره ... ولكن كيف يتم هذا التنظيم ؟ ليس له الا طريقة واحدة وهي ان يتم لقاء رجل معين مع امراة معينة بعقد يشهده الناس ويباركونه وهو الزواج المعروف بشروطه وقوانينه ومقدماته ، ويتم ذلك حينما يستطيع الرجل تحمل تبعاته المادية ، ويكون مستعدا لذلك جسميا ونفسيا ، وعليه فى هذه الحالة ان يسارع لتحقيقه ولا يتاخر عنه. فقد قال عليه السلام : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض للبصر واحصن للفرج » . الباءة = المقدرة) وهذا هو التصريف السليم لهذه الغريزة فيشعر الشاب برجولته ويصبح رب اسرة مسؤولا عن بيت تشاركه زوجه فى بنائه فيتربى على تحمل التبعات ويشعر بقيمته فى المجتمع يساهم فى بنائه ويتحمل نصيبه من العمل لخدمة وطنه وسعادة مجتمعه .

عقبات في الطريق :

ولكن المجتمع الذي نعيش فيه ، سرت اليه تقاليد وعادات غريبة عنه : فقد بساطته ، وتعقدت امامه وسائل الحياة وفقد الزواج معناه الفطري السليم واصبح مجالا للتفاضل بالاثاث والرياش والمباهاة بالمظاهر والحفلات التي لا تغني شيئا بل قد تكون فيما بعد نكبة وسببا من اسباب فشل الحياة الزوجية مع ان الاسلام يقرر ان اكثر الزواج بركة اقله نفقه .

وكان ان تعقدت فى هذا المجتمع وسيلة كسب العيش ، واصبح الشاب الذي يبلغ الحلم فى سن الرابعة او الخامسة عشرة او ربما قبل ذلك لا يستطيع ان يجد المجال الطبيعي لاشباع غريزته بالطريق الطيب الحلال اي « الزواج » الا فى سن الخامسة والعشرين او اكثر ، اذ عليه ان يبقى عشر سنوات فى صراع مع دوافع الغريزة فى نفسه التي تلح عليها ان يشبعها باي وسيلة او بين تقاليد المجتمع الموروثة وبقية من خلق وفضيلة لا زال يتظاهر بها هذا المجتمع ، يقع الشاب فى صراع شاق عنيف ان لم يجد ما يعينه عليه ويشد ازره فيه ويقدم له العون والنصيحة المخلصة فانه قلما يتماسك فى هذا المجال . سنوات عجاف على الشاب ان يمضيها قبل ان يعترف له المجتمع بحق اقامة الاسرة . (ويقول علماء النفس فى هذا المجال ان كبت الغريزة يصيبه بكثير من العقد والعلل النفسية ، وهم بهذا يصرحون من طرف خفي بالتحايل لاشباع هذه الغريزة قبل الطريق السليم المشروع ولكن لنقف وقفة امام الكبت والقمع) .

الغريزة بين الكبت والقمع :

والمقصود بالكبت . كبح دوافع الغريزة فى النفس ومقاومة الميل الفطري ، والغريزة لا تقاوم ، والفطرة لا تقهر . فعندئذ لابد أن تتسرب الغريزة فى جنبات النفس كطوفان غامر وجد امامه سدا منيعا ، فلابد ان يفيض على الجوانب ويتسرب الى الاعماق ، وفي كلتا الحالتين تحدث فى النفس البشرية وفى الجسم البشري تلفا وفسادا . والاسلام لا يكبت الغريزة بهذا المعنى بل يعترف بها ويقررها حقيقة واقعة (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث) ، فهذا الميل اذن محبب الى النفس ليس بقذر فى ذاته ولا عيب ولا دنس بل ان النبي عليه السلام يقول (حبب الي من دنياكم الطيب والنساء ، وجعلت قرة عيني في

الصلاة) ، وبهذا يتمشى الاسلام مع الفطرة السليمة والنفوس المستقيمة يعترف بدوافع النفوس وحاجاتها ثم يلبيها بطريقة منظمة نظيفة . فلا يترك لها العنان لتندفع كالمجنون وكالسيل العارم لتفسد كل شيء . ولكنه يضع العقبات في طريقها ، لا عقبات يستأصلها من اعماق النفس ولكن موانع وحواجز لتحتفظ بها لوقت الحاجة يقيم هذه الحواجز والموانع لا في داخل النفس ولكن من خارجها ويبعد عنها أسباب الاثارة والاغراء . ولينتفي بذلك الكبت ويبقى القمع والارادة والتحكم السديد لا في الدافع الفطري الغريزي ، ولكن في الدفعة الجامحة والانطلاق الحيواني الشهواني . انه اذن يعترف بالغريزة ويقرها ولكنه يقف دون الطرق الغير المشروعة التي تود ان تسلكها للتنفيذ والاشباع ، وليس هذا القمع والتحويل ادنى درجة في الخطر على النفس والمجتمع بل هو ضروري لاثبات الوجود الانساني وبيان تميز بالعقل والبصيرة والتفكير . وارتقاء كريم من عالم الحيوان الاعجم الذي تسيره الغريزة دون بصيرة منه او تفكير .

مثال من غريزة اخرى :

ولناخذ غريزة البحث عن الطعام التي تحبب الاكل الى كل نفس ، فلو قال انسان ان حب الطعام رذيلة وخطيئة ثم هو في نفس الوقت محتاج ان ياكل ويشرب فهذا هو الكبت الذي يوقع النفس في صراع عنيف برغبتها الملحة بين اوامر العقل الباطن في استقذار هذه الدوافع فتنشأ العقد النفسية والاضطرابات العصبية ، ولكن الرغبة في الطعام اتركها لتتبع نفسها دون رقيب او تنظيم ، اذن لوجدنا الايدي تمتد الى كل فاكهة حلوة في الطريق وتختطف كل طعام تشتهيه وتلتهم ما قد يتيسر لها من الطعام التهام الحيوان المفترس الذي لايعقل ولا يفكر . اذن لابد ان تهذب هذه الغريزة وتقوم . فتكون للطعام نظاما لتناوله وآدابه ، والطريق المشروع للحصول عليه ، فاذا اعجزه ذلك فليصبر قليلا على الجوع والعطش حتى ينال بذلك حاجته بطريق طيب

ولقد ابيت على الطوى واظله

حتى انال به لذيذ المطعم

ولم يقل انسان بان ذلك التنظيم والقمع لغريزة البحث عن الطعام والحصول عليه يصيب النفس بالعلل والامراض ، فما بالنا نقر هذا التنظيم في مجال هذه الغريزة ثم اذا طالبنا بالتنظيم في الغريزة الاخرى قالوا لنا ان هذا يصيب النفس بالصراع والعلل وما هي الا دعوى شيطانية لا تستند الى أسس من علم او عقل او بصيرة . اللهم الا اتباع الهوى والتحايل الخبيث على افساد المجتمع واضلال افراده .... ان ضبط الغريزة الجنسية وقمعها وتنظيم مصارفها لهو واجب على كل شاب حتى تستقيم حياته ، ولن ينتج عنها من اثر في الجسم او النفس الا تقوية الارادة وتماسك العزيمة . والا يكون الانسان اسير شهوته وعبد رغبته، بل يتعالى عن كل هذه الدعاوي في نفسه وبذلك يتعود معالي الامور ، ولا تشق عليه تكاليف الحياة ومشاكلها ويجد في نفسه القوة التي يقابل بها الصعاب والازمات فلا تخور نفسه أمام كل نازلة ولا يذهب لبه عند كل مصيبة . ولكن هذا القمع لابد له من اسباب تساعده وتاخذ بيده . ومن الاسباب التي تعين الشاب على العفة في حياته المقبلة .

1) التربية الدينية : ولا نقصد بها تعليمه الصلاة والصيام وفرائض الاسلام فحسب ولكن نقصد من ذلك تربية وجدانه الديني وتقوية ايمانه بالله ايمانا يجعله يدرك تمام الادراك ان عين الله تلحظه في كل وقت وان عنايته تحوطه في كل مكان وان علمه لا يخفى عليه شيء حتى حديث النفس وخواطرها مكشوفة معلومة لله « ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد » « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اين ما كانوا » « وما تكون في شان وما تتلوا منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه » فيعيش الشاب في هذا الجو الروحي الكريم يعبد الله كانه يراه (فان لم تكن تراه فانه يراك) ، فاذا همت نفسه بمعصية او حدثته بخطيئة او سولت له شرا عف من اعماقه : الله معي ، الله يراني ، الله ينظر الي ، فيستحي ان يراه الله على معصية فيعيش دائما في قانون من اخلاقه وحصن من فضائله لا يقاوم نوازع الفطرة وانما يحافظ عليها حتى يصرفها في الطريق المشروع السليم ، وان الغريزة لتعرف كيف تصرف نفسها بنفسها فتخرج الفضلات الزائدة وحدها بغير اثارة ولا تنبيه في النوم حتى لا يكاد يدرك الانسان ذلك في الصباح .

2) العلاج الثاني وهو سلبي يتلخص في منع اسباب الاثارة والاغراء فلا بد من اقامة مجتمع نظيف لاتهاج فيه الشهوات في كل لحظة ولا تستثار فيه الغريزة بدفعات اللحم والدم في كل حين فالنظرة الخائنة والحركة المثيرة والزينة المتبرجة والجسم العاري والكلمة المتكسرة كلها تهيج السعار الحيواني المجنون في النفس وتثير كوامن الغريزة ، فتنطلق باحثة

عن ارواء ، فاما ان ينفلت الزمـام وينطلـق الانسان كالبهيمة ، واما ان تزيد حرارة الكفاح ويصرف الانسان كثيرا من طاقته في هذه وتلك فتبدد طاقات يمكـن ان تستفيد منها الامة في نهضتها فـلا بـد اذن ان تغض الابصار عن كل حرام من كلا الجانبين ، « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهـم ذلك ازكـى لهم .. وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها » والنظـرة اول سهام الشر الى النفس فاذا اتقى الانسان هـذه السهام فقد سلم وسلمت لـه نفسه وان تعرض لها قلما يعود الا بجراح وحسرات ، قال صلى الله عليـه وسلم : « النظرة سهم من سهام ابليس المسمومة من تركها خشية الله اذاقه الله حلاوة الايمان في قلبـه » ولا بد لجسم المراة أن يستتر حتى لايكون نهبا مباحـا لكل ناظر وسلعة رخيصة مبتذلة في الاسواق ، « يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونسـاء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين » وللمراة ان تلبس ما شاءت بشرط أن لايظهر الا وجهها وكفهـا والا تكون ثيابا ضيقة تصف ما تحتها او رقيقة مشمام وقد امرنا الله سبحانه ان نحافظ على انفسنا واهلنا من النار ، « يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نـارا وقودها الناس والحجارة » ، والاسلام يرسم نظامـا كاملا للحياة بجميع صورها وليس لنا ان نخرج عنـه في اي امر صريح من اوامره (لايؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) .

الاختـلاط واثـره في النفـوس :

يقول بعض مدعي العلم ان الاختلاط بين افـراد الجنسين وازالـة الحجـب والموانـع والترخـص في الحديث واللقاء والخلوة والتنزه اطهر للقلوب واعـف للضمائر واعون على تصريف الغريزة المكبوتة ، واشعار للجنسيـن بالادب وترقيـق المشاعـر والسلـوك . وهذا القول لا يستند الى علم ولا الى واقع . اما العلم: فنعلم ان الغريزة دافع فطري لا يفتر عن النداء والمطالبة ولا يكون اباحة الشيء لها وتيسير وسيلة لاشباعها مما يقلل لهفة النفس عليه ورغبتها فيه . ولنأخـذ مثـلا كذلك من غريزة البحث عن الطعام : فالطعام المباح في كل وقت هل ادى ذلك الى ان تعافه النفس ويعرض عنه الطبع . بل ان الفرد اذا ـ تعـددت امامـه اصنـاف الطعام والشراب ازداد نهمه حتى انـه لينسى اتساع بطنه فياخذ اكثر من حاجته فيضر نفسه ابلغ الضرر .

وقد يصبر الانسـان على الجوع مـا دام لا يـرى امامه ما يغريه بالطعام والشراب ـ والزوجة في منـزل زوجها مباحة له فهل كان ذلـك ـ سببـا في هجرهـا والصدود عنها ، لا ، بل انها تلبي نداءه في كل وقت بنظام يجعل الحياة تسير في مستواها الرفيع واذا سألـت شابا ممن يمارس الاختلاط فعـلا عـن شعـوره عنـد الاختلاط وبعده لاجابك بصراحة ان لم يمنعه الخجـل والحياء ان يصرح : انه كشخص جائع يجد امامه الوان الطعام الشهية ورغم رغبته فيه يخجل ممـا حولـه من الناس ويتمنى من صميم نفسه لو خلي بينه وبين مـا يشتهي حتى اذا انصرف عن مجتمعه هذا ولم يحقـق رغبته انصرف الى احلام او الى تفكير قذر سقيم او الى فاكهة محرمة رديئة ساقطة يلتقطها من هنا او هنـاك يسد بها جوعته ويطفي بها ظماه : نحن نلوم الشبـاب ونحن الذين نضعه في اللهب ونطلب منه ان لا يحتـرق والقرآن يقول : (واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن مـن وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن) ، يقول هـذا عن نساء النبي صلى الله عليه وسلـم أمهـات المؤمنين وعن رجال الصدر الاول وهذا التشريع انما هو عـام لجميع المؤمنين .

المـرأة العاملـة :

ولكن تقاليد المجتمع وتعقد اساليبـه في الحيـاة اضطرت المراة ان تخرج ـ لتعمـل ولا بأس في ذلـك ولكن في حماية من العفة والخلق وعـدم الاثـارة (ولا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قـولا معروفا) أي لا منكـرا ولا فاحشـة . ثم يقابلهـا مـن الطرف الآخر شاب غضيض الطرف يراقب ربه في سره وعلنه . في هذه الحدود ـ وبهذه الشروط وعلى هـذا الاساس تعمل المراة وتتعلـم . اما كمـا نـرى الآن في مجتمعنا هذا الاختلاط المثير لغير ما ضرورة ولا مبرر الا بدعوى المدنية والتقليد الغربي فهذا ما حطم قيمنا الخلقية وشوه الشكل الفطري لمجتمعنـا الاسلامـي . فما هي ضرورة الاختلاط في ملاعب الرياضة وساحات السباحة وما هي موجباته في مدارس يمكن ان توفـر فيها أسباب الاحتشام والفضيلة .

نقطة اخيرة في الموضوع يجب ان نحمي المجتمع من جميع المثيرات كالقصص الداعرة والافـلام التـي لا تهدف الا اثارة الجنس ، وان يكون هناك رقابـة على الاداب العامة في الطرقات ومجال العمل حتى لا ينطبق علينا قوله تعالى : (ان الذين فتنوا المومنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) .

سـلا : فريـد العراقـي

موقف ملوك الدولة العلوية وفخرها المولى اسماعيل من مؤسسة الاحباس

للأستاذ محمد الطنجي

لابي النصر المولى اسماعيل بن الشريف العلوي ملك المغرب مواقف عظيمة وفخر تجل مآثرها عن الحصر ، تواكب شخصيته الفذة وعزيمته القوية ، وتوائم همته الملوكية ، واتساع افقه في الميدان السياسي والاداري الذي نتج عنه تاريخ حافل ، ترعرعت في ظله الدولة الفتية واستقر الامن ، وكثر العمران والازدهار وطالت مدة حكمه من سنة 1083 الى سنة 1139 هجرية الى ستة وخمسين سنة ، ومن القضايا التي استرعت اهتمامه وتجلت فيها مساعيه البيضاء قضية الاحباس الاسلامية في هذه المملكة التي كانت موضع اهتمام ملوك الدولة العلوية على العموم وعلى رأسها عظيمها المولى اسماعيل ولاشك ان نفسه الكبيرة انطوت على عوامل قوية تدفعه لرعاية الاملاك المحبسة .

اولا تدينه فقد كان يحامي عن الاسلام وارض الاسلام بسيفه وقلمه ، فكان يدعو الرهبان بايالة المغرب للمناظرة بحضرته عسى ان يقتنعوا بدين الاسلام المبني على المنطق والحجة ، ولم يكتف بهذا بل كاتب رؤساء دول من اوربا ، يحاجهم في احقية دين الاسلام ويدعوهم اليه عسى ان يهديهم الله لاجابة دعوته وما عليه الا البلاغ .

ثانيا : رغبته في نشر العلم الديني والدنيوي واستشارته للعلماء في مهمات الدولة ، وهذه المساعي تتطلب العناية بالمؤسسة التي تسند امور الدين : وتضمن استمرار الاقبال على تعلمه والقيام على وظائفه باماكن عبادته التي هي مساجد الله ، وتلك هي الاملاك الحبسية .

ولذلك خصصت هذه الكلمة لموقفه من مؤسسة الاحباس لرغبة وزارة الخارجية التي ستقيم مهرجانا لذكرى مرور ثلاثة قرون على اتخاذ هذا الملك العظيم مدينة مكناس الفيحاء عاصمة لملكه المتيد ، فقد كان للمولى اسماعيل ازاء الاحباس موقف عظيم حفظ الكثير من اوقاف المسلمين من الضياع والغصب ، والسرقة والنهب ، وذلك بالعناية بها والمساهمة القيمة في تكثيرها ، وانشاء الدفاتير الرسمية لتسجيل واحصاء املاكها .

والواقع ان العناية بمؤسسة الاحباس ابتداها مولاي الرشيد العلوي ابان استيلائه على فاس ثم وسع دائرة هذه العناية مولاي اسماعيل واستمر على هذه الطريقة عظماء الدولة العلوية الى وقتنا الحاضر .

فقد ذكر ابو القاسم الزياني في شرحه لالفية السلوك عند تعرضه لجلوس مولاي الرشيد على دست الملك بالعاصمة الفاسية ما معناه انه وجه الاستاذ ابي زيد عبد الرحمن بن القاضي الفاسي يستقدمه عليه لدار امارته فاعتذر بعدم القدرة لكبر سنه وملازمته لبيته ، فاتاه السلطان لعرصة قريبة من بيته من ثقب احدث في سورها فقال له السلطان : جئتك لاستشيرك فيمن اوليه بفاس من حاكم وقاض ومحتسب وناظر ، فقال له اما الحاكم فلا اتقلده ، والقاضي حمدون المزوار ، والمحتسب عبد القادر المركني الفلالي والناظر العدل مسعود الشامي ، ولما خرج من عنده امر ان يبنى بالمحل الذي دخل منه باب وبقي طريقا فهو درب الدرج لم يكن قبله .

ولما بلغ دار الامارة نقد الامارة لسيدي محمد بن احمد الفاسي والقضاء للمزوار والحسبة والنظارة لمن ذكر ، **فامتنع الشامي من النظارة فسجن سبعة أشهر ، ولما ضاق به الامر اجاب على شرط، ان لا يتعرض له قاض ولا وال ، لان الاحباس كلها حازها اللصوص والاشراف ايام الفتنة حتى كادت ان تستاصل كلها واشتغل بالبحث عنها واستظهارها ومن اتهم بربع او ارض او جنان او دكان يحوز ما عنده من الرباع فما ظهر رسمه رده له وما وجد مغصوبا او لا رسم عنده علم انه مغصوب فيحوزه للحبس حتى رد الاوقاف كلها وزاد عليها ما وجد مغصوبا من الوقف أو غيره .**

ومن تتمة هذه الاستشارة المبنية على الاخلاص من جانب السلطان مولاي رشيد ومن جانب الاستاذ عبد الرحمان بن القاضي ان القاضي المزوار اخذ بحكم بغير المشهور ، فكتب ابن القاضي لمولاي رشيد يقول له (ان من أشرت عليك بولايته له اصهار ، واصحاب تجار ، ومخالط لاعيان فجار ، فاقلني من عهدته اقالك الله من عذاب النار ، فكتب له ان ينظر للقضاء من هو اهل ، غريب الدار ، لا قرابة له ولا أصهار ، خامل الذكر ، فذكر له المجاصي الفياشي فولاه القضاء بفاس) .

وعلى هذا الاجراء في الاحباس بعاصمة فاس يكون الناظر النزيه الكفء المثالي السيد مسعود الشامي قد ضرب المثل في رعاية قضايا الاحباس ، ويكون المولى رشيد الذي قبل شرطه واسنده وقواه، قد فتح الباب لمن ياتي بعده ، حتى تحفظ هذه المؤسسة الاسلامية وتحاط بسياج من الحصانة والاجراءات الادارية والتشريعية التي تضمن استمرار ادائها لمهمتها الاسلامية السامية ومن الممكن جدا أن يكون التلاعب باملاك الاحباس قد وقع في بلدان اخرى غير فاس فكان ذلك من البواعث التي جعلت المولى اسماعيل يتدارك بحزمه الاملاك الحبسية فيامر باحصاء عام لجميع املاكها على اختلاف انواعها في جميع انحاء المملكة المغربية ، التي وحدها تحت سلطة العرش العلوي المجيد .

ولقد تصفحت عدة حوالات حبسية عسى أن اجد الامر بانشاء الحوالات الاسماعيلية الى أن وجدت في مقدمة حوالة تازة الجامعة التي كتبت في عهد مولاي اسماعيل بتاريخ 1116 هجرية اسناد نظارة الاوقاف العامة للكاتب السيد محمد القيسي الفاسي بأمر المولى اسماعيل ، وما قام به هذا الناظر في الايالة المغربية فكان هذا الوجود سندا تاريخيا هاما ، ففي مقدمة الحوالة الحبسية لمدينة تازة بعد ثناء جم على المولى اسماعيل ما صورته :

وكان من جملة ذلك اعتناؤه ايده الله بعمارة المساجد وافتقاد احوالها بكل ما يعرض لها من ناقص وزائد ، ولم يقتصر ايده الله ان قدم بنور هدايته لقضاء تلك المآرب ، وتشريف تلك المناصب خديمه الانصح الامين ابا عبد الله السيد محمد بن محمد بن احمد بن عبد الله القيسي الاندلسي الفاسي المشهور بالكاتب لما راى ايده الله فيه من زيادة الاعتناء ، وممارسة لعظائم الامور وتقديرات البناء ، فقلده امورها على الشمول والاستغراق ، واطلق له في محاسبة احباسها على العموم والاطلاق **فقام بحق ذلك بهذه الايالة السعيدة اي قيام ، واشتهر في اتقانه وضبطه اشتهارا لم يسبق به فيما تقدم من الايام** حتى انتهى في انتشار بحرته الى حضرة مدينة تازة ، ودشر الباهية ، وجمع من احباسها ما كانت واهية متلاشية ، وقام في ضبطها قياما ابدع في طرقه ، واجاد في تهذيبه ونسقه ، وجمع من احوال احباسها ما افترق وتتبع من شواردها ما خرج عن حيزه وانطلق ، وضرب على يد من له فيه يد جائلة ، او عن سبيل البر والتقوى مائلة ، وحسب الجميع حسابا لم يدع فيه شاذة ولا فاذة ، ولا ترك فيه لذوي الشبهات علاقة ولا جادة ، وتقدم بنظره السديد ما تقوم به المساجد والمدارس والعلماء ما يستحقون ، بتعمير المساجد وملازمة المجالس حتى اتى ذلك بما ترضاه القلوب السليمة وترتاح به النفوس الحليمة ، لجريان ذلك على القوانين الشرعية **وموافقته للاوامر العلوية** ثم افتقد احوال مساجدها الصغار واستدرك من اثقالها ما اغفله غيره من النظار ، فاظهر لكل واحد من الاوقاف ما ينتسب اليه ، وناقش حساب من تصرف فيه او كان مقدما عليه ، حتى اتضح خراج جميعها واشتهر ، بحيث لا يجهل احد عده ، ولا يخفى قدره على محاسب بعده ، ثم كمل كل سر

ذلك **بتوقيعه في هذه الحوالة الكبيرة** ، وجرى نظره في ذلك على احسن طريقة واكمل سيرة ، وابقى مصرف الجميع على غرض المحبسين وعلى ما تدوم به عمارة المساجد على مر السنين ، فكان ذلك كله نظرا وصوابا ، وحسنة (بياض) مولانا ايده الله عند الله ثوابا) .

وبعد هذه التفصيلات تذكر مقدمة الحوالة الحبسية استبشار المسلمين وكثرة دعائهم لحامي حمى الدين المولى اسماعيل . ويظهر ان المولى اسماعيل اسند النظر في عموم الاحباس بعد الناظر القيسي الى السيد بلقاسم المسطاسي الذي كان بمنزلة وزيرها ينظر في جميع مصالحها ، ويولي ويعزل نظار الجهات مباشرة ، فقد وقفت على ظهير تجديد المولى عبد الله بن اسماعيل للناظر العام السيد بلقاسم المسطاسي ما كان عليه من الولاية العامة على امور الاحباس ، نص الظهير المؤرخ بمنتصف جمادى الثانية سنة 1143 هجرية ، بعد الحمد والصلاة على النبي والطابع العلوي الشريف : كتابنا هذا اسماه الله واعز نصره ، وخلد في دفاتر المجد امره وذكره ، بيد خديمنا وحبيب ابوابنا الارضى الاخير الاقرب السيد بلقاسم المسطاسي ويتعرف منه بحول الله وقوته وشامل يمنه العميم ونصرته **اننا جددنا له به ما كان عليه من النظارة في امور الاحباس في جميع الاقطار والمدن والبلدان والقرى والمداشر** ، وبسطنا له اليد الطولى على جميعها بحيث لا يقصر عن البحث والتفتيش في الادنى والاقصى فان جل مهماتنا هذا الامر الاكيد **وجعلناه العوض منا في ذلك** واني بفضل الله تعالى وقوته اقمته هذا المقام على مر الليالي والايام فعليه بتقوى الله ومراقبته في سره وعلانيته ، **وعليه بمحاسبة النظار واهل النظر في هذا الامر حتى يترك من اراد ويولي من اراد** ، ومنا اليه في التقصير ، وعلى الله المعول وهو حسبنا ونعم المولى ونعم النصير) فصيغة الظهير بالتجديد تدل على ان هذا الناظر العام كان متوليا قبل ذلك .

ويستفاد من مؤرخ الدولة العلوية العلامة السيد عبد الرحمن بن زيدان رحمه الله ان السيد الطيب ابن احمد بن غازي المكناسي كانت له رياسة وزارة الاوقاف المغربية في سائر الايالة العلوية والنظر التام والتصرف العام في جميع الاحباس على عهد السلطان مولانا عبد الله بن اسماعيل ، وان ابن زيدان وقف على محاسبة لناظر اوقاف الجامع الاعظم بمكناس سنة 1149 هجرية ولاحظ انه لم يكن يطلق على الناظر العام اسم الوزير .

هذا وان المتتبع للحوالات الحبسية يجدها انشئت في عهود عدة ملوك علويين منها المحمدية ومنها السليمانية ومنها غير ذلك .

وقد بقيت احباس بعض المدن دون تسجيل الى زمان مولاي محمد بن مولاي عبد الرحمن بن هشام ففي مقدمة حوالة مدينة سلا حكاية عن جلالة مولاي محمد بن عبد الرحمن ما نصه : **ورأى ايده الله** وزاده بسطة في ملكه وجمع الخلائق في عقده المتناسق وسلكه **الاوقاف المتوافرة الوافرة المقوية بمستفادها على** زاد العبد للاخرة التي اوقفتها الامة الاسلامية ، واسست بنيانها الدولة **الهاشمية بالثغر الجهادي** الانور ، والركن المشيد الاشهر ، المسمى بمدينة سلا ، صانها الله من كل آفة وبلاء وحرسه بعينه التي لا تنام ، بجاه سيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام **وبلغه نصره الله وايده ، وادام رشده وسدده ، ان تلك الاحباس والاوقاف لا جامع لها ، ولا ضابط يصونها ،** مع طول الزمان من الاتلاف ، وانما هي بتقاييد وزمامات لا يتوصل الى تحقيق ما بقي منها وما فات الا من دفاتر ولاة امر النظر ، ولا يخفى ما في ذلك من الخطر ، وهذا هو العرف عندهم القديم ، لا يقدرون له على تاخير ولا تقديم ، امر ايده الله واعزه وادام مجده وعزه قاضي الثغر المذكور حينه ووقته ، الفقيه الدراكة النقاد ، شمس سماء الفضائل وبدرها الوقاد ابا المحاسن ابا بكر بن المرحوم الفقيه العلامة **القاضي سيدي محمد عواد** ان ينظر في تلك الاوقاف السعيدة نظر الرائد ، ويعمل الجهد في استنساخها ووصل الصلة بالعائد ، وتؤلف كلها **بديوان جامع لاشتاتها ، ومحيط باجزائها وكليتها ، على نسق حوالة أهل فاس الفراء** ، لانها عمل من تقادم من جهابذة العلماء والقراء ، ويلتقط ذلك من مظانه الخفية والشهيرة ، ويبحث عما ابهم امره من اجزائه اليسيرة ، فكان من انعام الله على القاضي المذكور وتيسيره ، ان صادف الامر الشريف بذلك اول ولايته القضاء وتصديره ، فافتتح به عمله السعيد بادىء بدىء وشرع فيه مستعينا على حمل ذلك العبء وامتثل امره الشريف العالي بالله

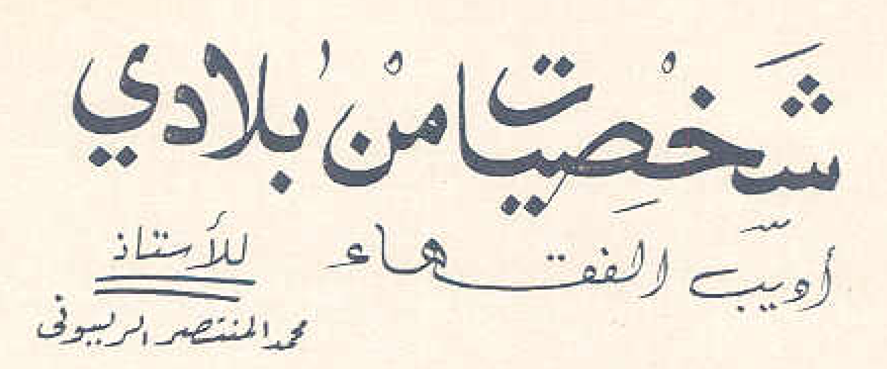
وشرع في **ذلك كاتبه بالاذن** الشريف والاستعانة بلا حول ولا قوة الا بالله **حتى كمل الغرض المامور به كما امر ، وتم على احسن** حال مستمر ، وجاءت الحوالة والحمد لله في احسن تقويم ، جارية على السند المرعي ، والنهج القويم ، سهلة المطالعة ، حاوية لما في غيرها من المقاصد ، جامعة مانعة متصلة الاماكن والاجناس ، منظمة التراجم مبينة ما لجانب الوقف كلا او بعضا من غير احتمال ولا التباس ، معينا منها كل جزء برسم مع تحديده وتعيينه بما له من وصف ووسم مشهودا على عينه بحوزه ، واستمرار التصرف فيه بانواع التصرفات الوقفية ، من غير مدافعة دافع او لمزه ، وبسبب ذلك لم تحصل مشقة لمطالعها حسبما يقف على ذلك ان شاء الله عقبه في اثنائها ، وتاريخ طلوعها طلوع البدر في التمام ، في عاشر شعبان من عام خمسة وثمانين ومائتين والف هـ .

ونريد ان نختم هذه النماذج من الحوالات الحبسية بأمر مولوي صادر عن السلطان مولاي عبد العزيز قدس الله روحه لناظر الدار البيضاء بتاريخ 28 جمادى الاولى عام 1315 هـ يتعلق باحصاء كامل لاملاك الاحباس هناك ونصه : خديمنا الارضى ناظر الاحباس بالدار البيضاء حرسها الله وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد ، فنأمرك ان تجعل تقييدا لجميع رباع الحبس الذي على يدك هنالك ، كل محل على حدته ، وتقييد ما بازائه اسم مكتريه ، وان كان رعية فنبه عليه ، وان كان حماية فكذلك ، واذكر اسم حاميه ، وان كان اجنبيا فبين اسمه وجنسه ، وقيد امام اسم المكتري الكراء الذي يدفعه في ضلع ، وما يساويه اليوم كراء في ضلع آخر ، ومن كان متقاعدا عن الاداء نبه عليه ، وبين سبب تقاعده ثم قيد عقب ذلك المنفذ منها بدون كراء وبيد من هو وهل يعتمره المنفذ له او يكريه على يده وهكذا الى ان تاتي على جميعها على الوجه المذكور ووجه التقييد بها واصلا لحضرتنا الشريفة والسلام ، انتهى . ويظهر ان القصد من هذا الاحصاء والتقييد الزيادة في الكراء والضرب على ايدي المتلاعبين باملاك الاحباس .

هذه الكلمة المامة بسيطة بموقف الملوك العلويين من العناية بالاحباس قبل عقد الحماية اما بعد هذا العهد فلها مجال آخر .

الرباط ـ محمد الطنجي





ذلك هو شعره ، انسيابات ، دفقات ، همسات تمثل كل نقلة من نقلات الشعور ، وكل وثبة من وثبات الخيال ، وكل طفرة من طفرات الاحساس .. ترفدها موسيقى ليست هي الوزن والقافية التي تكون الوشاح الخارجي للقصيدة بل هي اصداء الانفعال الذي تحسه عندما تقرأ له قصيدة فتتجاوب معها تجاوبا خاصا يطرب احاسيسك وتشعر كما لو كانت روح الشاعر قد تقمصت شخصك فلا تملك الا ان تلهث :

لا فض فوك يا شاعر ...

ان كل شيء فيه يشي بالوقار ... عيناه الخافتتان ... ووجهه المتلالىء المائج بالبشر ، قامته المعتدلة ، مشيته الوئيدة ، التفاتاته الهادئة الحالمة ، ضحكته الصافية الآمنة .

كل شيء فيه يشي بالوقار ، كل شيء فيه يبعث فى نفس رائيه الطمأنينة والراحة ، فهو دوما يتحلى بنفس المنظر الجذاب اذا ما اصبح ويمتاز دوما بنفس المظهر الرائع اذا ما امسى حتى ليخيل لبعض اصدقائه انه ليس بشرا بل روحا شربت من خمرة الطهر المعصرة من دنان ماء المزن ، وتذهب بهم الظنون كل مذهب فى سر ما هو عليه من هدوء شامل لا يستثيره ما حوله من ضوضاء ، لا تجده الا مبتسما للحياة يتمثلها من وراء منظار ابيض ، يسير فى مساربها الى غاية ، يسير ومسعى يسدد خطاه ، وامل يلوح له من بعيد ، ورؤوى ترقص على حواشي آماله الوليدة تدعوه الى ان يقدم حيث ينتظره مجد سماوي واشراقات غيبية ، وارواح ازلية تباركه وتؤمن له بان مغريات الدنيا لا تلبث ان ان تنطفىء فى لمح البصر ، وان القناعة النفسية والزهد فى الاعمال ، كل ذلك يزرع فى طريق المرء بساطا من الزهور مختلفة الالوان والاشكال ...

من اجل ذلك انقطع بعض الشيء عن الحياة انقطاعا لم يجعله يطلقها طلاقا بالثلاث وانما كان يحاول ما وسعته المحاولة ان يجانب ضوضاء الناس ومخالطتهم وكثيرا ما كان يتساءل فى اعماق نفسه : ما الجدوى فى الثرثرة ، ما الجدوى فى الكلام المتطرف الذي قد يؤدي الى نهش الاعراض ، كثيرا ما كان يتساءل فى اعماق نفسه فيجد الجواب ينساق اليه انسياقا :

لا جدوى ، غير ان الخير كل الخير فى المثابرة الروحية التي تنبثق من مكمنها قوى الغلبة الداحرة للرغبات الدنيوية الظماى .

قصد المسجد الذي اعتاد ارتياده وتوجه الى المكان الذي الف الجلوس فيه ثم راح فى تفكير عميق يتأمل ويوقظ من حنايا النسيان ذكريات له تحمل بين جوانحها صورا لشبابه الذي دب اليه البلى ، وحاول

ان يبكي لكنه لم يستطع ، لقد تجمدت الدموع في محاجره وما لبثت ان تسللت الى قلبه قطرات فيها دفء وحرارة .

ان الشيء الذي ما يزال يحز في قلبه ويقلق باله ويجعل جنبه يكفر بالمضاجع تلك الجلسات العلمية اللطيفة التي كان يعقدها مع اصدقائه والتي كانت تسودها روح الاخوة والمحبة والتي كانوا يطرقون اثناءها احاديث مختلفة تمت الى الادب مرة وتتشعب مرات فتتناول خليطا من الثقافة ، ومما كان يضفي على هذه الجلسات البهجة والروعة تلك الروضة الجميلة التي تحرش عليها الياسمين وزانتها زهرات بيضاء انتثرت في اشجارها الصغيرة كما تنتثر النجوم في دجنة ، انها كانت آية في جمال ؛ فكم اوتهم اياما عديدة رحابها، واستمعت الى احاديثهم المختلفة ارجاؤها ، اين هي تلك الروضة اليوم ، لقد عفت عليها السنون وطوحت بكل جميل فيها .

منذ ايام وقفت عليها استنطق ترابها واوراق اشجارها اليابسة التي كانت فيما مضى تفيض بالحياة ، وسألت والحفت في السؤال بيد ان في تآلي رجفة حزن ، ورنة اسى ؛ فبكيت واستبكيت ففصت لهاتي بمثل آهة مكبوتة وتمثلت بقول النابغة الذبياني :

وقفت فيها سراة اليوم اسألها
عن آل نعم امونا عبر اسفار
فاستعجمت دار نعم ما تكلمنا
والدار لو كلمتنا ذات اخبار

الروضة اقفرت من الخلان فاصبحت سجل ماض حلو تعيش ذكرياته حية في نفسي ...

وهو ان ينس فلن ينسى تلك الليلة الساجية ذات النجوم السواهر اليقظى التي القى فيها قصيدته الغزلية فاهتزت لها النفوس طربا ، وتحركت لها القلوب تاثرا :

اتى العاشقين الحسن منك مجددا
فلبى فؤادي في هواك مجرهدا
مضى عمر لم يكلف القلب بالهوى
فلاحت له انوار حسنك فاهتدى
وما حسن يخلو الفؤاد من الهوى
ولا سيما قلب يحبك اسعدا

لحا الله من احسن يفند مغرما
غدا بشراب الحب فيك معربدا
ابحت افتصاحي في محبة شادن
احل دماء العاشقين تعمدا
يميل الى هجري ولو انه درى
بفرط اشتياقي واكتئابي توددا

حقيقة ، كانت الجلسات جلسات لا يجود بها الدهر واذا جاد بها فسوف يجود بصورة مصغرة منها، تلك ايام غبرت وانطوت بغير رجعة ...

❊

استفاق القاضي الاديب الطيب بن ابراهيم بسير الرباطي الاندلسي من دوامة التفكير التي اندلع فيها لحظات من الزمن انسلخ خلالها عن حاضره وغاص في يم الماضي البعيد ...

ترى من هو الطيب بسير ... ؟

انه اديب الفقهاء ونسيج وحده ، فنان تقوده رهافة الاحساس ، ويحدوه صفاء الطبع وتصاعة النحيرة ، جاء الى الحياة وفي عينيه اشراقات التفاؤل ، ضرب بسهم وافر في مختلف العلوم فاصاب منها وتثد فانفردت وحدها بالصدارة والمكانة الباسقة التي لم يتمتع بها الا بسير ، بسير على حدة، بسير الذي تشد القمم وغفل السهول شانه في ذلك شان النسور .

اخذ هذا الاديب عن العلامة الرهوني والشيخ الغربي والقاضي العروصي وغير العروصي من جهابذة العلماء ، وكانت دراسته على الرهوني اثناء اقامته بوزان عند الشيخ علي بن احمد الوزاني وهو من جملة المقرظين لحاشية شيخه .

ولما اتم من التحصيل والطلب تصدر للافتاء والتدريس فاستمد من ينبوعه الثر جمهرة من افذاذ الفقهاء من بينهم العالم المكي بوجندار والطاهر بريطل.

وعندما عرضت عليه خطة القضاء وقف بسير وقفة تامل وتدبر ، واقدام واحجام ، تارة يجمع شتات شجاعته وتارات تخونه عزيمته ، وفي الاخير يتقدم الى الميدان وفي نفسه عزيمة قوية على ان يقوم بعمله احسن قيام ، وقام للقيام بمهام القضاء وهو يعلم

يقينا ما سوف يجده في طريقه من اشواك وصعاب ذلك لان هذه المهمة تكمن فيها مسؤولية اقل ما يقال فيها انها مسؤولية شائكة لمن يتقلدها ويقبلها وهو رابط الجاش ، صادق النية ، نقي السريرة بصير بما قد يرقد في كينونات المشاكل الحياتية التي تعترض سبيل الانسان ، وعلى الرغم من ذلك فقد زاول بسير القضاء وتحمل اعباءه وواجه المعضلات بصدر رحب وعقلية نفاذة فكان المنطق عماده في استنتاج النتائج ، والتعالي عن المزالق ركيزته الامر الذي جعله يمارس الوظيفة الشائكة سحابة خمسين سنة بين قضاء الرباط ومكناسة الزيتون .

ولعل هذا لم يتيسر الا لمثل بسير الذي اظهر براعة فائقة كاشد ما تكون البراعة ، ومهارة مدهشة كاحسن ما تكون المهارة ...

تلك حياته ...

فما هي شاعريته ؟ اهي صورة طبق الاصل لشخصيته ؟ ام هي ضعيفة مستضعفة ؟ اهي قدت من حجر اصم ، ام مستمدة من ينابيع الرقة والفتنة ؟ ..

الجواب عن هذه الاسئلة يستقطب في هذه العبارات :

السحر الحلال ، اتعرفه ؟ السحر الذي لا تنفع فيه التعاويذ والرقى ، اتعرفه ؟ لا شك في انك تعرفه واذا لم تكن تعرفه فالجواب ياتيك طوعا :

شعره مصاغ من قلب مفعم بانسيابات عاطفية ، ودفقات وجدانية تستحيل كلماته الى وقعات كوقعات الامل الرحيب ، وحركات جائشة وهمسات زاخرة مؤثرة ، ولهثات ملتهبة والتفاتات مرنانة الصدى ذلك هو شعره ، انسيابات دفقات ، همسات تمثل كل نقلة من نقلات الشعور وكل وثبة من وثبات الخيال وكل طفرة من طفرات الاحساس ترفدها موسيقى ليست هي الوزن والقافية التي تكون الوشاح الخارجي للقصيدة بل هي اصداء الانفعال الذي تحسه عندما تقرا له قصيدة فتتجاوب معها تجاوبا خاصا يطرب احاسيسك وتشعر كما لو كانت روح الشاعر قد تقمصت شخصك فلا تملك الا ان تلهث :

لا فض فوك يا شاعر ..

وان اردت الدليل على ذلك فخذ قصيدة له غزلية تتمشى في ثناياها حلاوة الرضاب وعذوبة النغم المجنح يخاطب فيها فتاة جميلة سرقت لبه وخلبت عقله اذ انها تتمتع بجمال فائق وفتنة تفوق الوصف الامر الذي جعل الشاعر يتساءل : هل فتاته خلقت من الشمس ام من النور والناس خلقوا من غير طينتها ؟ ومما يؤكد ذلك تاكيد يقطع دابر الشك عندما يقرر ان فتاته ليست من نسل آدم ولكنها سرقت من الملاك ((رضوان)) الغافل ، والشاعر قد كنى بهذا المعنى بان فتاته من حور العين ، وهو في كل ذلك يقتبس بعض الاقتباس من الشاعر ابن زيدون في قوله من قصيدته النونية المشهورة :

ربيب ملك كان الله انشاه
مسكا وقدر انشاء الورى طينا
او صاغه ورقا محضا وتوجه
من ناصع التبر ابداعا وتحسينا

فاستمع اذ يحدثنا عن فتاته الانفة الذكر :

يا بديع الجمال مم خلقت
امن الشمس ام النور انت
خلق المرء من حماء وطين
ومن النور والبهاء خلقت
لست انت من نسل آدم لكن
كان رضوان غافلا فسرقت

وان شئت دليلا آخر فاقرا هذه الابيات :

زمان انارت مشرقات شموسه
بوصل رشا قد اخجل البدرنوره
رشا قدسطت الحافظةبسيوفها
ومزق قلبي واستتم سروره
وجيد جيد الريم يحكي صفاؤه
وحسنه بلورا فقلبي اسيره

ثم اقرا له هذه الابيات التي يشبه في البيت الاول منها الورد الجني بخدود العذارى وقد زينتها سوالف الشعر :

ولما بدا الورد الجني كانه
خدود عذاري قدحمتها السوالف

انى باسما تفر الاقاحي مقارمـا
فقالتخدود الورد هل لك سالف
فلم يـر الا ان تنشـر عقـده
يقبل ساق الورد والعقل تالـف

ومن نظائر هذه الابيات قوله :

كانما الزهر اذ بدت محاسنـه
لعين ناظرة فى ناظـر القضـب
انامل صاغها الرحمن مـن درر
تضم كفا على كاس من الذهـب

ومن تشبيهاتـه :

انظر الى البحر فى امواجـه
تاتي الى الشط احيانا وتنحرف
كانه ملك جـاءت عساكـره
تقبل الارض طوعا ثم تنصـرف

وارهف سمعك الى قصيدة له يحكي لنا فيها كيف خالـه ساحر الطرف فغدا بعد ذلك مسحورا بلحظها مخبولا :

لاحظتني بساحر الطرف منـها
فغدوت بلحظها مسحـورا
وارتني من القنـاع منيـرا
اخجل الصبح اذ بدا تنويـرا
رق معنى جمالـها وترقـى
فرايت لديها حسنا كبيـرا
خطرت تثني اعتدالا وعجـبا
مثل ما حرك النسيم نضيـرا
واشارت لمعصميـها ونـادت
من يصيد من الظباء الغريـرا

الى ان يقول فى الختام :

كذب القائلون انـي اسلـو
انه كـان بالفـؤاد بصيـرا
ليت شعري وطال منها التجني
هل يعود وصالها لي سميـرا

وهو اذ ينتهي من قصيدته الغزلية يشرع فى نظم موشح جميل كله رقة تحكي رقة نغمات الارغن ودبدبات الجدول المنساب وحركات الموج الراقص ، تحـدث الشاعر فى موشحه الاتي عن حسن القدود اللينـة والسحر فى العيون الفاترة وعن اعذب الوصل عـن الصدود ، ورشفة الخمر من الثغور ، فى كل ذلك يحلو الغرام جهرا وعاذل الصب ما عدل ، يقول :

ما احسن اللين فى القـدود
والسحر فى العين والفتـور
واعذب الوصل عـن صـدود
ورشفة الخمـر فى الثغـور
فى ذلك يحلو الغـرام جهـرا
وعاذل الصـب ما عـدل
لو ذقت كاس الرحيق عـذرا
مشمولة والدجـى انسـدل
ابديت للشاربيـن عـذرا
ولمـت مـن مـال للعـذل
فارتح لـراح بـراح غيـد
حور قصرن علـى القصـور
يبسمن عن لؤلـؤ نضيـد
غنين عن جوهـر النحـور
ان مـن يوما هـززن رمحـا
فوقه شمس علـى كثيـب
يسدلن من شعرهـن جنـحا
يكـاد ان يستـر الكثيـب
وان رنـا لحظهـن لمحـا
اتيـن بالساحـر العجيـب
يا طالـب العـز والسعـود
مبتغيـا ربـة الخـدور
اجمع مع الشرب نقر عـود
واسدل على سرك الستـور

هذه غزلياته ...

اما نبوياته فله نونية طويلة هي عبارة عن توسلات برسول الله (ص) ، ومناجاة دافئة بالتنهدات المعطرة بالاشواق والآهات المؤرجة بالاشواق ، وقـد نظمهـا بمناسبة ذكرى مولده الكريم ومطلعها وهو رائع :

يا نسمة صافحت بالمسك دارينا
هبت لتحي ارواح المحبيـنا
لا تبرحي عن حما صب يشوقه
نسيم حبك تحريكا وتسكيـنا

وسكني فؤادي بعض مزعجـــه
وحدثني عن أحبتي وحبيبـــــنا
زوري الخلي حشاه عن سواك ولا
يك (التنائي بديلا من تدانينا)

وهكذا تمضي القصيدة برمتها لا تشوبها احيانا غير عبارات فقهية لا تتساوق والاشعاع الشعري كمثل قوله : لا عيب في الحب (ان صحت شواهده)

الا ترى معي ان عبارة (ان صحت شواهده) تدخل في باب العلميات وخصوصا كلمة (شواهد) .

الا ترى معي ايضا ان الشاعر لو غير العبـــارة السابقة بهذه العبارة :

ان زفت بشائره

لتناسق المجرى الشعري .

كما نجد بعضا من القوافي تنبو عن مكانها اذ انها لا تؤدي وظيفتها وانما سيقت لتكملة البيت كقوله :

واصلح الاهل والبنين كلهـــم
والمسلميـــن ومـــن يقول أمينا

ومن نبوياته ايضا :

على سيدي حداة العيس سيروا
فانه مضعف مضنـــى كسيـــر
ولا ترجـــو مطاياكـــم حثيثـــا
فقلبي معكـــم ابـــدا يسيـــر
والا فاحملوا عنـــي سلامـــا
الى مغنى بـــه القمـــر المنيـــر
الـــى دار النبـــوة والمعالـــي
الى بيت به الهادي البشيـــر

ومن تخميساته :

وما اشتدت الازمات اوجا مفزع
او جاء قلبي مكـــرب او موجـــع
الا ونـــادى قلبـــي المتخشـــع
(يا من يرى في الضمير ويسمع
(انـــت المعـــد لكـــل ما يتوقـــع)

ومن مساجلاته بيتان اجاب بهما بعض ادباء مكناسة الزيتون في 21 ذي القعدة عام 1242 هـ نصهما :

اذا ما سما يوما اخـــوك لحظـــة
ولاسيما ان كانت الخطة القضـــا
فحسبك منه عشر عشر وداده
ولا ترتجي منه الوداد الذي مضا

*

خلقنـــا للحيـــاة وللممـــات
ومن هذيـــن كـــل الحادثـــات
ومن يولد يعش ويمت كان لـــم
يمـــر خيالـــه بالكائنـــات

وتختار المنية فيما تختار شاعرنا الرقيق وقاضينا النزيه في غضون سنة 1271 هـ فيغيب في الاعمـــاق ، ويترامى في احضان السكينة الخرساء بعد ان كـــان اكليل غار على جبين الشهباء ، وجذوة الامل الخافت ، وهمة في شرايين الزمن ، وعزما موارا في اوصال الدهر ، فيرقد اخيرا بالزاوية التهامية بمحج سيدي فاتـــح بالرباط ينصت الى اناشيد السكون ، ودبدبـــات الصمت الرهيب .

تطوان محمد المنتصر الريسوني



تطور النثر العربي المعاصر

خلال قرن كامل

للأستاذ أنور الجندي

تكشف دراسة تطور النثر في الفترة الممتدة منذ أوائل النهضة في العالم العربي (1840 تقريبا) حتى أوائل الحرب العالمية الثانية (1940) ان هذه الفترة كانت مجال معركة كبرى بين التقليد والتجديد في الاسلوب وبين المحافظة والتجديد في الفكرة والمضمون.

وقد تطور النثر العربي الحديث في خلال هذه المائة عام فقط ، اربع مراحل واضحة المعالم خلال تيارين كبيرين هما المحافظة والتجديد ، فقد كانت دعوة المحافظين تحمل لواء المحافظة على اللغة العربية والدفاع عنها ودخول معارك في سبيل حمايتها ، وابراز امجاد العرب واحياء تراثهم والدعوة الى وحدتهم وعودتهم الى الكيان الواحد والدفاع عن الاسلام ، ومقاومة كل الاراء الباطلة التي اذاعها كتاب الغرب والدعوة الوطنية في سبيل الحرية ومقاومة الاستعمار والمطالبة بالجلاء ، ولم يكن المحافظون من خريجي الازهر وحده بل ان عددا كبيرا منهم كان متصلا بالثقافة العربية ، بل ومنهم من تعلم في أوربا .

وكانت دعوة المجددين تتراوح بين الاعتدال والتطرف وتستهدف الاتجاه الى الثقافة الغربية واستعمال اساليبها وتحرير الاسلوب العربي من قيود الزخرف ، والترجمة من الاداب الغربية ، واعادة كتابة التاريخ الاسلامي والعربي وفق الاسلوب العلمي كما ادى الى ظهور ادب المراة بعد تحررها ، وكانت في تطرفنا تنقل نظريات متعصبي الغرب امثال رينان وغيره ممن يرددون نظريات فوارق الاجناس بين السامية والآرية واتهام العقل العربي بالقصور وتغليب اللهجات العامية واثارة العصبيات القديمة البائدة كالفرعونية والاشورية والبابلية والبربرية وغيرها ومحاولة النقص من شان الامجاد العربية والتراث العربي واللغة والدين .

وقد عاش التياران جنبا الى جنب خلال هذه الفترة يتصارعان ويتداخلان في معارك ضخمة متعددة كانت تشتد حينا وتهدا حينا ، ثم يتاثر كل تيار منهما بالاخر فيجري المحافظون ثمة الى الامام فيجددون في الاسلوب والمضمون ويذهب المجددون الى التحفظ قليلا في انكارهم للقديم كله ، فنشا من ذلك اربعة تيارات متداخلة : التيار المحافظ والمحافظ المعتدل ، والتيار المجدد المتطرف والمجدد المعتدل ، أما التيار المتطرف فهو الذي دعا الى تغريب الفكر العربي تغريبا كاملا والسير سيرة الغرب ونقل حضارته كاملة (ما يحب منها وما يكره وما يحمد منها وما يعاب) ، والتيار المجدد المعتدل الذي يدعو الى التطور في النقل ومراعاة الظروف وحماية الشخصية الذاتية بحيث يزيدها النقل قوة ولا يمسخ معالمها الواضحة .

* * *

وفي خلال هذه الفترة الممتدة من 1830 الى 1940 عاش الادب العربي حياة خصبة ضخمة شديدة الحركة واسعة التطور ، قامت في اساسها على اليقظة الفكرية التي جاءت بعد فترة طويلة من الجمود والتقليد في اواخر حكم المماليك كما يبدو في اساليب كتابنا في تلك الفترة ، ويعد اسلوب « الجبرتي » عنوانا عليها .

ويمكن القول بان « رفاعة الطهطاوي » هو رأي التيار الجديد حمل لواء الحركة التجديدية في العالم العربي كله في ميدانيه الكبيرين الاسلوب والمضمون ، وهو تمثيل الصورة التي امتدت طويلا خلال تاريخ

حياتنا الادبية ، اذ يجمع فى دقة وقوة بين اللونين اللذين ظلا يؤثران فى حياتنا الفكرية ويمزج بينهما وهما الثقافة الدينية (الازهر والزيتونة والقرويين) ، والثقافة الغربية وقد استطاع ان يمزج بين اسلوبي المحافظة والتجديد فى اعتدال وقوة ، وقطع بذلك مرحلة طويلة فى هذا الطريق الذي سار عليه من بعده الموكب كله ، فهو قد جدد « الاسلوب » حيث تحرر من الزخرف القديم وترجم من الادب الفرنسي وحمل كتاباته من « المعاني » على نحو جعل الاسلوب وسيلة للاعراب عنها ، وبذلك القى الضوء الاول على طريق المرحلة التجديدية .

ومن ثم بدات الهجرة الى اروبا وامريكا من مختلف انحاء العالم العربي حيث شكلت جماعات الادب المهجري وبعثات الجماعات ، وقد اتسم التجديد اول الامر بالعنف ثم رد بعد ذلك الى شيء من الاعتدال وهو انما اندفع الى العنف والتطرف نتيجة لروح الجمود الذي سار عليها الادب العربي فترة طويلة وتحت ضغط ما بهر المهاجرين والمبعوثين من عظمة حضارة الغرب وحريته الفكرية ، ولذلك مضى التيار التجديدي بعمق ويندفع وقد قام فى الاغلب على الثقافة اللاتينيه والترجمة العلمية من الانجليزية والترجمة الادبية من الفرنسية ، ويمثل علماء لبنان جدارا ضخما فى حماية اللغة العربية « اليازجين والبستانيين واليسوعيين » وكان كتاب الشام اشد جراة من كتاب مصر ، وقد حملت الشام لواء احياء اللغة وتجديد الادب ودعوة القومية العربية والترجمة ، فلما كانت الهجرة الاضطرارية الى مصر امتزج تيار الشام بتيار مصر الذي كان طابعه علميا فى الاغلب وقد جرى الصراع بين المحافظين والمجددين فى ميدانين : 1) حول الاسلوب التقليدي الذي كان يحمل لواءه توفيق البكري ومحمد بيرم وعبد الله نديم ومحمد المويلحي وابراهيم اليازجي والاسلوب الجديد الذي برز فى كتابات فارس الشدياق ويعقوب صروف وجرجي زيدان وفتحي زغلول وقاسم امين ، ثم فى اسلوب فرح انطون وشبلي شميل .

وكان الصراع فى الفكر تقدميا واضح الجراة يقوم على اساس الدعوة الى الحرية ومحاربة الاستبداد والاحتلال ، وتحرير الدين من قيود التقليد ، وتحرير المراة من الحجاب ودفعها الى التعلم والسفور .

قاوم جمال الدين ومحمد عبده وعبد الله نديم وعبد الرحمن الكواكبي الاستبداد والاستعمار فى قوة وعنف ، ودعا فارس الشدياق ورفاع الطهطاوي وقاسم امين الى تحرير المراة ، وبدا الطهطاوي وفتحي زغلول وعشرات غيرهم الترجمة من الفرنسية ويعقوب صروف وفارس الشدياق من الانجليزية .

وبرزت الدعوة الى احياء التراث الاسلامي وبعثت اللغة العربية فى كتابات رشيد رضا ورفيق انعظم ، وظهرت باحثة البادية واخوات لها فى الشام كزينب فواز يكتبن فى الصحف وينشئن الفصول .

وهكذا تمثلت فى هذه الفترة جميع عناصر الحياة الفكرية وهي تندفع الى الحركة والحياة لتسد الفراغ الذي عاش فيه الادب العربي خلال فترة الجمود والتقليد التي امتدت اكثر من ثلاثة قرون ، وكانما قد بدات الحياة الفكرية تندفع بقوة وتتمثل فى محاولة مقاومة الاستبداد السياسي والاستعمار والاحتلال الفكري وقد حملت الصحافة لواء المعركة بين المحافظة والتجديد ، كانت مرآة لفكر كله ، على صفحاتها اثيرت كل قضايا السياسة والاجتماع والادب ، صدرت « العروة الوثقى » فى باريس لتقاوم الاستعمار البريطاني وصدر « المقتطف » فى بيروت ثم انتقل الى القاهرة ليترجم العلوم ، وتطورت الحضارة وصدرت صحف تحمل راي الاستعمار ، وصحف تحمل راي الحكام والامراء ، وصحف تحمل لواء الراي العام وظهرت صحف تدعو الى الجامعة الاسلامية ، وصحف تدعو الى القومية العربية ، وصحف تدعو الى القومية الضيقة فى كل وطن عربي .

❊ ❊ ❊

فاذا ما بدا القرن العشرون تبلورت هذه الحركات الفكرية وتعمقت هذه النزعات الفكرية ومضت تشق طريقها فى قوة ، اما الاسلوب التقليدي فى الكتابة فقد ظل قائما ، وان كان قد تقلص فى عدد قليل من الكتب ، فنحن لا نلمح الا فى حديث عيسى بن هشام لمحمد المويلحي وليالي سطيح لحافظ ابراهيم واسواق الذهب لشوقي ، اما فيما عدا هذا فاننا نجد ان الاسلوب العربي قد قطع طورا جديدا فى طريق التبسيط والوضوح وخاصة على ايدي كتاب الصحف ومحرريها وفى هذه المرحلة تعمق تيار الترجمة فنرى « سليمان البستاني » يترجم الالياذة الى اللغة العربية شعرا وتستغرق ترجمتها منه اكثر من خمسة عشر عاما .

وظهر تيار الكتابة العلمية المتطرفة فى كتابات شبلي شميل وترجماته للنشوء والارتقاء ونظرية داروين كما ظهر الاسلوب الانشائي يحمل الفكرة والقصة والترجمة فى كتابات المنفلوطي والبرقوقي .

وظهرت مجلات ادبية تحمل لواء الترجمة من الغرب مع احياء التراث العربي على اختلاف فى النهج

والوسيلة ، وشاركت القرويين والازهر والزيتونة بتخريج طائفة من العلماء ولم تقف عند الفقه بل اتجهت الى الادب .

وفي هذه الفترة كانت الكتابة الادبية هي اقوى الوان الكتابة ، كان الاستعمار قد سيطر على المنطقة كلها او كاد ، وظهرت الصحف تحمل لواء الدعوة الوطنية المندفعة باسلوب العاطفة والحماسة ثم ظهر تيار يدعو الى التقارب مع الاحتلال ومصالحته وقبول التعامل معه باسم الدعوة الوطنية الضيقة .

وبدا الكتاب المجددون في العالم العربي احد فريقين : فريق يسير في ركاب المحتل ويؤمن بحضارته واخطاره ايمانا كاملا وفريق مستنير يأخذ من القديم بطرف ومن الجديد بطرف على هدى وبصيرة في سبيل الحفاظ على شخصيتنا العربية الاسلامية .

وظهر في هذه الفترة الدعاة الى حماية اللغة ، يعملون على تقييمها وترقيتها ودفعها الى الامام لمواجهة الحضارة وكلماتها ودفعها لحملات السوء التي بدأ يشنها عليها غربيون ومتغربون ، وظهر في هذه الفترة عبد القادر المغربي وانستاس الكرملي واحمد تيمور ومحمد مسعود واحمد زكي باشا والالوسي وطاهر الجزائري .

وبدات كتابة التاريخ القومي على النحو الحديث بكتابات احمد شفيق ، وفي هذه الفترة ظهرت كاتبات عربيات : عملن في الصحافة وكتبن المقالة ونظمن القصيدة ابرزهن : هند نوفل ولبيبة هاشم .

ولم تطل هذه الفترة حيث وقعت الحرب العالمية سنة 1914 وامتدت الى سنة 1918 ثم اندلعت الثورات في مصر والعراق والشام وفلسطين والمغرب وبدات بعد الحرب العالمية مرحلة من اضخم مراحل النهضة الفكرية كان قوامها البحث عن اساس لحياة فكرية وادبية واجتماعية جديدة وقد امتد فيها الصراع بين المحافظة والتجديد على نحو اشد قوة وعنفا .

❊ ❊ ❊

تتسم الفترة التي تلي الحرب العالمية الاولى بعمقها واتساعها وضخامتها وغزارة محصولها وكتابها لقد كان طبيعيا ان تظهر بعد الحرب العالمية الاولى نتائج واضحة الحركات ودعوات الحرية والاستقلال التي سبقت الحرب ، وزاد من دقة الموقف ان الدول المحاربة اقتسمت العالم العربي فيما بينها واحتلت الاجزاء الباقية منه وخاصة الشام والعراق بعد ان فرقته الى اقطار ، وبعد ان ذاقت الامة العربية خلال الحرب ويلات ضخمة نتيجة لسيطرة الغزاة على ارضها واستغلال خيراتها ، مع الوعود التي اعطيت بالحرية والاستقلال ، ولم تلبث ان تحولت الى احتلال وانتداب ووصاية وكلها لا تعني غير الاستعمار مختفيا وراء اسماء تخفف من وقعه ، وفي خلال فترة ما قبل الحرب كانت ليبيا والمغرب قد وقعت تحت قبضة الاستعمار .

وقد اندلعت على اثر انتهاء الحرب الثورات المتوالية واضطرت الدول المحتلة ان تعطي لهذه الاقطار استقلالا ذاتيا ودستوريا وبرلمانا واحزابا متضاربة ، هنالك ، بدات حركة جديدة من حركات التطور الفكري والثقافي ، فان الاقلام التي كانت قبل الحرب العالمية تقاوم الاستعمار وتدعو الى الحرية والاستقلال والجلاء وتهاجم الاستبداد الممثل في السلطان والخديو والامير قد تحولت الى صراع داخلي بين الاحزاب المختلفة منصبا في الاغلب على سلطة الحكم ، وقد لون هذا الصراع الحزبي : الادب في جميع اقطار العالم العربي ، فكانت قضاياه في الاغلب جزءا من السياسة او مشابهة لها في اسلوب العرض ووجهات النظر ، وكانما احس الاستعمار بان سلطانه القائم على الاحتلال العسكري ، او السيطرة على الحكام ليس كافيا في نظره للبقاء الطويل لذلك اتجه الى السيطرة على الفكر العربي والادب والثقافة واللغة والمقدرات والتراث والدين ، وحاول ان ينشيء صراعا ومغالطة واقليمية في هذه القوى جميعها ، وذلك حتى يتبلبل الراي الواحد وتتحول الفوارق المصطنعة التي اقامها الى فواصل حقيقية فقام من يدعو الى الثقافات المحلية والى تحويل اللغة العربية الى لغات محلية بتقوية اللهجات والكتابة بها وايثارها على اللغة الفصحى الام متخذا من موت (اللاتينية) وتفرعها الى لغات فرنسية وانجليزية وايطالية وغيرها مثلا يضرب او هدفا يحتذي واتسع نطاق الدعوة الى فرنسة رجلترة اللغة والفكر ، وامتد هذا الاتجاه الى مقاومة القومية العربية بالذات بالدعوة الى احياء التراث الاقدم وقامت اذ ذاك دعوات الفرعونية والفنية والبابلية والاشورية والبربرية ، وظهرت ابحاث ودراسات تحاول ان تجعل لهذه الدعوات ادبا وثقافة ، وتجري لربط هذا الماضي البعيد بالحاضر القائم ، ثم ظهرت دعوات الى حضارة البحر الابيض المتوسط والى تغليب اليونانية على العقل العربي والى التحرر من الطربوش والعمامة الى القبعة، والى دعوات متعددة في مجالات الثقافة والفكر والاجتماع كلها تهدف الى غرض واحد ، هو التشكيك في ماضي الامة العربية وتحويل الفوارق المصطنعة الى فوارق طبيعية ، واثارة لنزعات القديمة التي انمحت بعد ان اصبحت الرقعة وطنا عربيا موحدا .

وكان هذا من حمل لواء اصحاب التيار التجديدي بقسميه : المتطرف والمعتدل ، وفي نفس الوقت زادت قوة التيار المحافظ وتطور وكسب كثيرا من المثقفين وواجه المعركة في قوة وحمل لواء الدفاع عن اللغة العربية ووحدة العالم العربي والاسلامي .

ولم يلبث اصحاب هذا التيار ان عدلوا طريقهم فاقتربوا قليلا من المجددين ، تغير اسلوبهم ، وحمل لواء الدعوة الى « البناء على اساس » وبعث القديم في اساليب حديثة والنقل من الغرب فيما يزيد شخصيتنا قوة ، واضطر كثيرون من معتدلي المجددين الى الانتقال الى صف هذا التيار بعد ان كشفت احداث ما بعد الحرب عن خيبة امل في الحضارة وحماتها نتيجة لمواقفهم المهينة بالنسبة لحرية الشعوب ولتداعي نظرياتهم وارائهم ، وبعد ان تكشف ان هذه الدعوات انما هي دعوات استعمارية اتخذت العلم ستارا لها ، ولم تكن هي من العلم في شيء ، وان علماء منصفين من الغرب نفسه قاموا يدحضون هذه النظريات ويقولون بتعصب اصحابها ، واضطر المجددون ان يخففوا من غلوائهم عند ما شاهدوا قادة منصفين من رجال الفكر الغربي ينصفون العرب ويذكرون فضلهم على الحضارة الادبية ويكشفون عن الدور الكبير الذي قاموا به في سبيل الحضارة والثقافة ، بعد ان نقلوا تراث اليونان والرومان العلمي وزادوا فيه واضافوا اليه وبذلك حملوا ميراث الحضارة في فترة القرون الوسطى التي اظلم فيها الغرب ، ولم يكن هؤلاء الكتاب قلة ، ولم يكونوا من مجهولي الاسم او الاثر بل كانوا اعلاما بارزين ، وهناك تحول بعض كتاب التجديد المتطرفين عن موقفهم ، وبقي آخرون يصرون على الخطا ، وكانت لهم مواقف ــ بعد توقيع المعاهدات التي عقدت في بعض البلاد العربية مع اعلان الاستقلال الذاتي في ظل وجود جيش الاحتلال ونفوذ المعتمد البريطاني والفرنسي ــ فيها امعان في التعصب للحضارة الغربية والنكار للقومية العربية . ومع اصرار عدد من كتابنا على الوقوف موقف التطرف والانحراف في الدعوة الى التراث العربي والتهوين من مكانة اللغة العربية ، وقد كان لهؤلاء صلة ببعض دوائر المستشرقين الذين كان الاستعمار يتخذهم اداة له في تحريف مفاهيم الثقافة العربية ومعالمها .

ومع هذا فان كفة « المدرسة الوسطى » التي حملت لواء الجمع بين الشرق والغرب والقديم والجديد (على هدى وبصيرة) قد رجحت وظهرت صحف في العالم العربي تعد علما على هذه المرحلة ، وقد زاد من قوة هذا الجناح الاوسط ان عددا من كتابنا في مصر قد طافوا بالعالم العربي وعادوا وقد تحول اتجاههم فانكروا القومية الضيقة وآمنوا بالوحدة الكبرى ومضت اقلامهم تدافع عن القيم العربية .

وكان لدعوة التبشير التي اندلعت في هذه الفترة اثرها في نفوس بعض الكتاب ، فقد اندفعوا الى التماس تحرر الفكر العربي بالرجوع الى التراث الاسلامي وامجاد التاريخ العربي .

* * *

وقبيل الحرب العالمية الثانية برز عدد من الكتاب والكاتبات حملة الوية المدارس المختلفة ، المحافظة والمجددة ، واتسمت هذه الفترة ببروز عدد كبير من الكاتبات ، كما تعمقت خلال هذه الفترة المذاهب والابحاث والدراسات حتى ليمكن القول ان كتاب هذه الفترة هم امتداد للفترة السابقة ، وان لم يتالقوا تالق السابقين ولم يهزوا الحياة الفكرية باحداث وثورات ومعارك قوية الدلالة .

وتعطي هذه الصورة التقارب بين المذاهب المختلفة ، والتقاء المحافظة بالتجديد ، فان اغلب كتاب التجديد قد اتجهوا الى احياء التراث واخذوا يبعثون القديم في صور جديدة ، في حين جدد الكتاب المحافظون اسلوبهم واندفعوا الى شيء من التطور ، غير ان اوضح ما في هذه الفترة هو اختفاء الاسلوب التقليدي الذي عرف في كتابات البكري والمويلحي وشكيب ارسلان وخلفه اسلوب الشائي نقي ، واسلوب اقرب الى العلمية، ومعنى هذا ان الاسلوب العربي قد بلغ في هذه المرحلة درجة من الجودة والنقاء وحسن الاداء وزادت امكانية كتاب (تأديب التاريخ) والكشف عن معالم ثقافتنا العربية مع اصطناع الاسلوب العلمي الحديث .

وهكذا بدات تتركز قواعد (المدرسة الوسطى) على نحو غير منحرف ولا منحاز يخرج بين القديم والجديد والشرق والغرب وفي هذه المرحلة ظهرت مجلات متخصصة للشعر والقصة ، واتسعت آفاق الادب في الصحف اليومية اتساعا واضحا فكانت لكل جريدة صفحة ادبية كاملة يومية ، وكان لوجود الكتاب الذين سبقوا في الميدان اثر واضح في ان كتاب هذه الفترة لم يبرزوا الى ميدان الصدارة ، وقد كان بعضهم تبعا لهؤلاء او تلاميذ بحكم سيطرة الاولين على الصحف ومراكز الصدارة في الحياة الفكرية والهيئات .

وهكذا نصل الى الحرب العالمية الكبرى 1929! حيث بدا لون جديد من الادب وتيارات اخرى لها طابعها الخــــــــــــاص .

القاهرة : أنــور الجندي

الأخطل التغلبي داعية الحكم الإلهي في الخلافة الإسلامية

للدكتور فيكتور الكك

ويوم اوحي لمحمد بالاسلام فاشتد ساعده اضطربت قريش اضطرابا عظيما .. وما لبثت ان رجحت كفة بني هاشم قوم النبي على سائر قريش فانتفض بنو امية لما كان بينهم وبين الهاشميين من منافسة قديمة ورأوا انفسهم على شفا حفرة من الانخذال بينما كان الهاشميون لمدة لا يفضلونهم في شيء : فاللواء فيهم والسقاية في الامويين ..

وسكت الامويون على مضض حتى اذا استخلف عثمان رأوا في حكمه بعثا لسيادتهم الجاهلية . فاستولوا على مرافق الدولة وطمعوا في ان تبقى الخلافة فيهم يرثها كابر عن كابر .. جاء في مروج الذهب (ط دار الرجاء ج 2 ص 232) « دخل سفيان بن حرب دار عثمان عقب بيعته ومعه بنو امية فقال ابو سفيان وقد كان عمي افيكم احد من غيركم ؟ قالوا لا ، قال يا بني امية تلقفوها تلقف الكرة فوالذي يحلف به ابو سفيان ما زلت ارجوها لكم ولتصيرن الى صبيانكم وراثة » .

ولما توفي عثمان في السابع عشر من حزيران 656م ــ 35 هـ خشيت امية ان تصير الخلافة الى الهاشميين فحملوا عليا جريرة مصرعه وانكروا بيعته وقام حسان بن ثابت ينبه الاحقاد في مرثيته ويقول بلسان العثمانية (العقد ج 2 ص 206) :

ضحوا باشمط عنوان السجود به
يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

بل ليت شعري وليت الطير يخبرني
ما كان شان علي وابن عفانا

لتسمعن وشيكا في دياركم
الله اكبر يا ثارات عثمانا

شدوا السيوف بثني في مناطقكم
حتى يحين بها في الموت من حانا

لعلكم ان تروا يوما بمغبطة
خليفة الله فيكم كالذي كانا

وانبرى معاوية يؤلب العثمانية في الشام على علي .. وكانت واقعة صفين للاخذ بثار عثمان وتلاها التحكيم (صفر 37 هـ آب 756 م فذرت الفتنة قرنها وانقسم العالم الاسلامي بذلك الى شيعة وخوارج وسنة . وفي اواخر ايار سنة 660م بايع اهل الشام معاوية بالخلافة وما لبث ان قتل علي فتنازل الحسن لمعاوية وتم الامر لداهية العرب ، فاسكت بحلمه وبطشه الخوارج والشيعة حتى اذا تمت بيعة يزيد على ما اراد تقلقلت السيوف في اجفانها من جديد وثار عبد الله بن الزبير في مكة ينكر على معاوية جعله الخلافة وراثة في ولده .. فبعد ان كانت الخلافة شورى نقض الامويون العهد وصارت فيهم ملكا استبداديا فلجاوا الى تأييد ملكهم بالحديد والنار ، والمال والحلم والدهاء كما كان للشعر عميق الاثر في تلك الحرب لان العقلية الجاهلية انبعثت من جديد فكان لكل حزب او شيعة شعراؤها يهجون الخصوم ويمدحون الموالين .

اتصاله بالامويين

فى هذه الظروف المتازة المضطربة اتصل الاخطل التغلبي بالامويين وكان العداء قد اشتد بين الانصار والقرشيين . فحدث ان شبب عبد الرحمن بن حسان بن ثابت برملة بنت معاوية فغضب يزيد اخوها وطلب الى كعب بن جعيل التغلبي ان يهجو الانصار فخشى واشار عليه بشاعرنا الاخطل . فامنه يزيد . فهجا الاخطل الانصار هجاء مرا كاد يؤدي بحياته لولا تدخل يزيد .. فانقطع الاخطل لمدحه ولها للعهد ثم خليفة واتصل بامراء امية وعمالهم وخلفائهم من بعد يمدحهم وينشر مآثرهم وينظم حججهم شعرا سويا حتى اصبح شاعر امية

تفنيده لحجج الامويين

كان الامويون يستندون فى تأييد حقهم بالخلافة الى مقتل عثمان بن عفان الاموي . فقد قتل عثمان مظلوما وهم ورثته واولياء دمه . فحق لهم — على ما يزعمون — ان يثأروا لدمه المسفوح وقد ادركوا ذلك فى صفين حيث ردوا ظلامة عثمان الامام واستعادوا حقهم السليب . وقد استند الاخطل الى هذه الحجة ليثبت شرعية انتقال الخلافة الى الامويين ويسفه فكرة الاغتصاب فيقول فى مدح عبد الله ويزيد بن معاوية (ديوان ص 174) .

ويوم صفين والابصار خاشعة
امدهم اذ دعوا من ربهم مدد

على الالى قتلوا عثمان مظلمة
لم ينههم نشد عنه وقد نشدوا

فثم قرت عيون الثائرين به
وادركوا كل تبل عنده قود

وهذا دليل على ان عليا — الذي يتهمونه بأن له ضلعا فى مقتل عثمان اصبح غير صالح للخلافة . فانتقلت اليهم . ولا يخفى ان عقيدة الثار هذه عقيدة جاهلية نلاحظ انها استمرت الى هذا العهد بالرغم من قضاء القرءان بتحريمها مما يدلنا على ان اوضاع المجتمع الجاهلي ظلت مستمرة فى بعض التقاليد . ومن مظاهر طقسياتها النداء الذي عم العثمانية جميعا ووحد كلمتهم وهو « يا لثارات عثمان » والذي ورد معنا فى ابيات حسان بن ثابت .

يقول الاب لامنس فى مقال له على الثأر (المشرق سنة 1935 ص 571) :

وهناك واجبات شبه طقسية على الموتور ان يحافظ عليها اثناء قيامه بالثأر من ذلك ان يصيح بواتره فى هجومه عليه او قبل ان يضربه الضربة القاضية فيذكر سبب عمله ويذكر القاتل باسم القتيل صارخا « يا لثارت فلان » .. وقد تجاوزت هذه العادة فى ذكر الثارات العصر الجاهلي الى صدر الاسلام فكانت كلمة التوحيد بين افراد العثمانية ينادون بها فى مطالبتهم بثأر الخليفة فيصيحون « يا لثارات عثمان » .

ويكون الامويون — فى نظر الاخطل بثارهم هذا قد ادركوا حقهم وانتقلت الخلافة اليهم انتقالا طبيعيا منطقيا .

قال فى الديوان (ص 39 يمدح بني امية ويخص بشر بن مروان) .

كانوا موالي حق يطلبون به
فادركوه وما ملوا ولا لغبوا

ان يك للحق اسباب يمد بها
ففي اكفهم الارسان والسبب

هم سعوا بابن عفان الامام وهم
بعد الشماس مروها ثمت احتلبوا

حربا اصاب بني العوام جانبها
بعدا لمن اكلته النار والحطب

نظرية الجد :

ولو لم يكن الامويون على حق فى مقالتهم وتقلدهم لامور الخلافة ورعاية الاسلام والمسلمين لكانوا باؤوا بالفشل ولكنها ارادته تعالى تمت فيهم . وهذا معنى قول معاوية « هذه الخلافة امر من الله وقضاء من قضاء الله » فالله يتصرف فى امور الناس كما يشاء . وهو — تعالى — قد اختار الامويين وفضلهم . وقد عالج الاخطل هذه الناحية العقائدية معالجة موفقة فقال (ديوان ص 172 يمدح عبد الله ويزيد بن معاوية)

تمت جدودهم والله وفقهم
وجد قوم سواهم خامل نكد

هم الذين اجاب الله دعوتهم
لما تلاقت نواصي الخيل فاجتلدوا

وقال التغلبي في موضع آخر يمدح عبد الملك بن مروان في رائيته الشهيرة (ديوان ص 103)

أعطاهم الله جدا ينصرون به
لا جد الا صغير بعد محتقر
لم يأشروا فيه اذ كانوا مواليه
ولو يكون لقوم غيرهم اشروا

ولا يخفى ما لهذا القول من تأثير في الراي العام اذ ينفي عن الامويين فكرة الاغتصاب التي يروجها الشيعة والخوارج والزبيريون وغيرهم . فبعد ان تدخل الله – عز وجل – في الامر يكون التذمر او الثورة اعتراضا على ارادته تعالى . ومن شان هذه الادلة ان تظهر خلافة الامويين بمظهر شرعي وتطفيء الى حد نيران الثورات والانتفاضات على الحكم القائم . ونظرية الجد هذه كانت قد ذرت قرنها في العصر الاموي وسرت عقيدة من عقائد التفكير الاسلامي الجبرية كانت تقول بها . فاستغلها الامويون لتدعيم شرعية ملكهم اذ ان خلافتهم تبدو بحسب هذا الراي مرسومة مقدما ومقدرة من الله . ومما يساعد على تصديق هذا الزعم ما جاء في القرآن الكريم « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير (آل عمران 26) .

الحق الالهي

ولما كانت ارادة الله هي التي اختارت الامويين خلفا فقد اصبح هؤلاء منفذين لارادته تعالى يخلفونه في الارض في تنظيم امور عباده . فالخلافة بالتالي حق الهي تناهى اليهم وهذا معنى قول الاخطل « خليفة الله يستسقى به المطر » .. وقد ذهب المفسرون في شرح هذه العبارة بعد رواجها مذهبا ءاخر فالتمسوا لها مبررا في القرءان وجاؤوا بئايات وردت فيها لفظة خليفة من مثل الاية 165 من سورة الانعام « وهو الذي جعلكم خلائف في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات » وهذه وامثالها آيات عامة تدل على الشرف الذي اعطاه الله للآدميين اجمالا دون اي تخصيص ..

ولكي يتضح لنا امر هذه العبارة ينبغي ان نعود باذهاننا الى عصر الخلفاء الراشدين . فقد كان المؤمنون يطلقون على ابي بكر لقب خليفة رسول الله وقد دعاه احدهم « خليفة الله » فنهاه ابو بكر عن ذلك قائلا « لست خليفة الله ولكن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وقد وردت هذه العبارة بعد ذلك على ما نعلم في شعر حسان بن ثابت الانصاري كما مر معنا في قوله :

لعلكم ان تروا يوما بمغبطة
خليفة الله فيكم كالذي كانا

وعندي ان هذه العبارة تتضمن من المعاني في قول الاخطل اكثر مما تضمنته قبل ذلك . وبيان الامر انها كما قلنا – تعني استمرار ارادة الله في خلقه عن طريق الخليفة المالك .

فهي مبدئيا تنافي مبدا الشورى الذي كان معمولا به ايام الخلفاء الراشدين لان الشورى تعني مبايعة البشر واختيارهم . وخليفة الله – وهي تلميح صريح الى الحق الالهي – تناقض مبدا الشورى وتعني اختيار الله لا مبايعة البشر . وبذلك تصبح الخلافة مقدسة لا اعتراض عليها . وتستمر هذه الفكرة من ثم فنسمع المنصور في العصر العباسي يردد « انا سلطان الله على الارض » .. وتتجلى تلكم القدسية كذلك في العبارة الثانية من قول الاخطل وهي « يستسقى به المطر » وقد اوردها الاخطل في مدحه الوليد (ديوان ص 185) .

خليفة الله يستسقى بسنته
الغيث من عند مولى العلم منتخب

فقد اصبح للخليفة بذلك هالة من القداسة . فالله يستجيب دعوته وقد قرن عمله بعمل الانبياء والمرسلين كأنه موسى الكليم في الاية القرءانية « واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا (سورة البقرة الاية الستون) .

ولما كان الخليفة ممثلا لارادته تعالى فيستجيب دعاءه للاستسقاء مثلا فانه عز وجل يستجيب دعوته في سائر الامور باعتباره قواما على شؤون دين الله

والمسلمين : ينصره على اعدائه ، وعلى الخارجين عن طاعته ولا غرو فذلك بمثابة خروج على سلطة الله . يقول الاخطل في هذا المعنى مادحا عبد الملك .

والمستمر به امر الجميع فما
يغتره بعد توكيل له غرر

حتى استقل باثقال العراق وقد
كانت له نقمة فيهم ومدخر

وتستبين لاقوام ضلالتهم
ويستقيم الذي في خده صعر

ثم يستمر الاخطل من ناحية ثانية يبين لنا بطش الامراء بهؤلاء الخارجين على طاعة الخلفاء فنعلم ان الامور لم تستقر لبني امية وان فلول الثائرين ما زالت تناوىء الملك . قال في مدح بشر بن مروان (ديوان ص 63) :

اخو الحرب ما ينفك يدعى لعصبة
حرورية او اعجمي يقاتله

ويقول في مدح الحجاج (ديوان ص 76)

طلب الازارق بالكتائب اذ هوت
بشبيب غائلة الثغور غدور

ثم ان الاخطل لا يفوته ان يتحدث عن جهاد الامويين في سبيل الدين وليس فقط ضد الثائرين ليثبت كفاءاتهم فيقول في مدح ابي العاص (ديوان ص 20)

امام سما بالخيل حتى تقلقلت
قلائد في اعناق معلمة حدب

وفي كل عام منك للروم غزوة
بعيدة ءاثار السنابك والسرب

ضرورة وجود الخلافة

ويرى الاخطل بذلك ردا للضالين الى الحظيرة وبالتالي خدمة لدين الله وانقاذا له لان توليهم لامور الناس ضرورة يقول الاخطل « ص 122 » .

بكم ادرك الله البرية بعدما
سعى لصها فيها وهب غشومها

واذا انقطع سلطانهم ليكون ذلك شؤما على المسلمين ، قال الاخطل يمدح يزيد بن معاوية .

والمسلمون بخير ما بقيت لهم
وليس بعدك خير حين تفتقد

ولا يخفى ما لهذا المدح من تكريس لحق الامويين وقدسية الخلافة باعتبارها ضرورية يذهب الخير عن المسلمين بذهابها لان الخلفاء قوامون على شؤون المؤمنين فبهم ادرك الله البرية كما يقول الاخطل كأنهم ظل الله على الارض وبعد ان يفرغ الاخطل من اثبات حق الامويين بالخلافة محتجا بثارهم لعثمان وباختيار الله لهم واصطفائهم لتدبير شؤون عباده يلجأ الى حجج وبراهين اخرى تثبت وضعهم وهذه البراهين هي براهين دنيوية اذا صح التعبير فيحاول فيها ان يعرض كفاءاتهم التليدة والطريقة التي تؤهلهم للملك .

صفات السيادة الاموية

ويحتج الاخطل لذلك بان الامويين هم من اشراف العرب ومن صميم قريش ورثوا السيادة والملك منذ الجاهلية فيقول :

انتم خيار قريش عند نسبتهم
واهل بطحائها الاثرون والفرع
اعطاكم الله ما انتم احق به
اذا الملوك على امثاله اقترعوا

او يقول مفضلا امية على سائر قريش وبالتالي مثبتا حقهم (ديوان ص 34)

رايت قريشا حين ميز بينها
تباحث اضغان وطعن امور

علتها بحور من امية ترتقي
ذرى هضبة ما فرعها بقصير

ثم يبين ان ملكهم ليس طريفا ومجدهم ليس حديثا وانما هو مجد مؤثل فلا عجب ان سادوا المسلمين فقد طال لما ملكوا على العرب من قبل وبذلك يفضلهم على الجميع فاحر بهم ان يسودوا الجميع .

حتى تناهى الى القوم الذين لهم
عز الملوك واعلى سورة الحسب

بيض مصاليت لم يعدل بهم احـد
بكل معظمة من سادة العـــرب

(ديوان 188)

وينتهي من ذلك الى تفضيلهم على العرب والعجم قاطبة (ديوان 39)

بيض مصاليت ابنـاء الملـوك فلـن
يدرك ما قدموا عجـم ولا عــرب

ثم ان الامويين يتحلون بكل صفات الملك . فالكرم من شيمهم وبسطة الكف طبع فى طينتهم . وهذا مهـم بالنسبة آنذاك . قال فى الديوان (ص 34)

اخالد اياكم يرى الضيف اهلـه
اذا هرت الضيفان كل ضجـــور

يرون قرى سهلا ودارا رحيبـة
ومنطلقا فى وجـه غير بســور

ويمدحهم بالصبر على الملمات والصمود فى وجه الشدائد . ولا عجب فالعربي عصبي المزاج ينتفـض لادنى مس :

حشد على الحـق عياقو الخنا انـف
اذا المت بهـم مكروهـة صبــروا

كانه يردد مدح النابغة الذبياني الغساسنة حيـن يقول :

ولا يحسبـون الخير لا شـر بعـده
ولا يحسبـون الشـر ضربـة لازب

وهذا دليل بعد النظر وحسن التدبير للامور ومن ابرز صفات الملك والسيادة .

ويتغنى الاخطل بابرز صفات الملك التي يجلـها العرب والتي طارت للامويين شهرة فيها فى الامصار ، والافاق وهي صفة الحلم مضرب الامثال عند العرب.. وحلم امية مقترن بالحزم لا يصدر عن ضعف وانما عن مقدرة وكرم اخلاق قال التغلبي فى رائيته :

شمس العداوة حتى يستقـاد لهـم
واعظم الناس احلامـا اذا قــدروا

وهناك سبيل آخر لجا اليه الاخطل كي يساهم فى تقرير سياسة الامويين . وهو سبيل سلبي اذا شئت يقوم على الهجاء والتنقص من الخصم وهو الى كونه حيلة صحافية كبير الاهمية بعيد الاثر بالنسبة الى زمان الاخطل ومكانه والبيئة التي عاش فيها فقصيدة الهجاء كانت تضع قبيلة شديدة الشكيمة وتحط من شانها ايام الجاهلية . واستمرت هذه السنة فى العصر الاموي لان اوضاع المجتمع الجديد ظلت اجمالا على ما كانت عليه قبل الاسلام . وكان ان اتفقت مصلحـة الامويين لان اعداء هؤلاء كانوا ايضا اعداء التغلبيين . فغالبا ما ضمن الاخطل القصيدة الواحدة مـدحا للامويين ، وفخرا بقومه وهجاء للاعداء المشتركين وفى هجائه هذا يعمد الى رميهم بالمخزيات التي تواضـع عليها ابناء عصره . ويعيرهم خاصة بانهزامهم امـام قوى تغلب فى الايام المشهورة بيـن الفريقين وبتلكئهـم عن مبايعة الامويين . فيتجلى حينذاك بمظهر مـؤرخ سياسي واجتماعي نستشف من شعره مختلف اوضاع المجتمع الاموي ...

ويتبع الاخطل فى هجائه لاعدائه طريقة خبيثـة تمكنه من التاثير على الامويين اذ يذكرهم بفضل قومه عليهم فى الحروب التي دارت بينهم وبين الثائرين مـن زبيريين وشيعة . فيضع تغلب بجانب الخليفـة والقيسيين فى معسكر العدو ثم يورد هجاء لهم فينفر الخليفة منهم باعثا فى صدره كوامن الاحقاد . ولا يغفل عن تذكيره بفضل شعره الذي افحم شعراء المعارضة فيقول (ديوان ص 105)

بني أميـة قـد ناضلـت دونكـم
ابناء قوم هم آووا وهـم نصـروا
افحمت عنكم بني النجار قد علمـت
عليا معد وكانـوا طالمـا هـدروا
حتى استكانوا وهم مني على مضض
والقول ينفذ مـا لا تنفـذ الابـر
بنـي اميـة انـي ناصـح لكـم
فـلا يبيتن فيكـم آمنـا زفـر
واتخـذوه عـدوا ان ظـاهـره
وما تغيـب من اخـلاقـه دعـر
ان الضغينة تلقاهـا وان قدمـت
كالعر يمكن حينا ثـم ينتشـر
وقد نصرت أمير المؤمنيـن بنـا
لما اتاك ببطن الغوطـة الشجـر

يعرفونك راس ابن الحباب وقد
أضحى وللسيف في خيشومه أثر

والحارث ابن ابي عوف لعبن به
حتى تعاوره العقبان والنسر

وقيس عيلان حتى اقبلوا رقصا
فبايعوك جهارا بعد ما كفروا

فلا هدى الله قيسا من ضلالتهم
ولا لعا لبني ذكوان اذ عثروا

ضجوا من الحرب اذ عضت غواربهم
وقيس عيلان من اخلاقهم الضجر

وينتقل بعد ذلك الى هجاء كليب فيقول , ديوان ص 109)

اما كليب بن يربوع فليس لهم
عند التفارط ايراد ولا صدر

مخلفون ويقضي الناس امرهم
وهم بغيب وفي عمياء ما شعروا

المجتمع الاموي البدوي :

والناظر الى الابيات التي اوردناها يستنتج منها فوائد تاريخية واجتماعية كثيرة . فعند ما يقول الاخطل انه ناضل دون الامويين ابناء قوم هم آووا وهم نصروا فانه يعني بذلك خطر المسؤولية اذ ليس من السهل ان يهجو شاعر قوما آووا النبي ، وكانوا سندا لاستمرار رسالته لما كان لهؤلاء من حرمة في نفوس المسلمين حتى ذلك الوقت . كما تبين كذلك سياسة الحلم التي سلكها الامويون في مسايرة اعدائهم والعنف الذي استخدموه لاقرار ملكهم .. لان الاخطل يذكر ان قيس عيلان تلكات في المبايعة ولما ارغمت بايعوا جهارا بعد ما كفروا . اذن فعدم المبايعة في نظره كفر لانه خروج على طاعة اولي الامر ؟

ثم ياخذ في موضع آخر في تنفير الخليفة من مصالحة قيس لتبقى مكانة قبيلته عالية ويصون مصالح قومه (133) .

وانت امير المؤمنين وما بنا
الى صلح قيس يا ابن مروان من فقر

فان تك قيس يا ابن مروان بايعت
فقد وهلت قيس اليك من العذر

على غير اسلام ولا عن بصيرة
ولكنهم سيقوا اليك على صغر

وعندما ينتقل الى ذكر الايام التي دارت رحى الحرب فيها بين تغلب وقيس فيذكر يوم الثرثار ويوم ماكسين ويوم الحشاك فيعير القيسيين بالهزيمة ويفخر ببطش قومه .. وهكذا ترى انه في جميع مدائحه للامويين لا تغيب عنه مصالح قبيلته كأني به يتخذ مدحه للامويين مطية لحفظ كيان عشيرته وهذا غرضه البعيد .. فالشعر السياسي العقائدي كما نفهمه لم يتجل في انتاج الاخطل وانما كان متصلا بسياسة القبيلة فخلط بين السياسة الرسمية والسياسة النفعية . فما شاعر قبلي أكثر منه شاعرا عقائديا . وتلك دليل على ذلك في لجوئه الى تهديد الامويين عندما يقربون قيس عيلان . قال عندما تخلى عبد الملك عن حمايته :

فان لا تغيرها قريش بملكها
يكن عن قريش مستماز ومزحل

وهو ــ كما جاء في دائرة المعارف الاسلامية ــ بيت ثوري لا يدانيه الا البيت الذي اعلن فيه الاخطل ان عبد الله بن سعيد بن العاص التغلبي الخامل الذكر اهل للامارة وكان هذ اخا لرجل حاول خلع الخليفة عبد الملك ..

وهذه الظاهرة تنهض دليلا على مكانة الشعر والشعراء في ذلك العصر كما تفيد ان المجتمع الاموي مجتمع جاهلي متطور لا يزال الخليفة فيه قريبا في تفكيره من الذهنية البدوية يخاطبه الشعراء بحرية ويتقبل التهديد احيانا كما مر بنا .. ويدلك على منزلة الشعر في قصور الخلفاء وبين القبائل حادثة الاخطل مع الانصار حين هجاهم بايعاز من يزيد بن معاوية فقاموا وقعدوا .. وكان ما كان من امر النعمان بن بشير في تهديده لمعاوية .. واصطناع الامويين لشعراء يؤيدون سياستهم ويهجون خصومهم بينة على استمرار العقلية الجاهلية المعتدة بالمفاخرات والمنافرات .. « والقول ينفذ ما لا تنفذ الابر » على حد قول الاخطل .

وحادثة الاخطل مع زفر بن الحارث تمثيل حي لما نقول . جاء في الديـوان في الصفحة السبعين والثلاثمائة نقلا عن الاغاني « لما استنزل عبد الملك زفر بن الحارث من قرقيشياء اقعده معه على سريره فدخل عليه ابن ذي الكلاع فلما نظر اليه مع عبد الملك على السرير بكى فقال له ما يبكيك ؟ فقال يا امير المومنين ... وكيف لا ابكي وسيف هذا يقطر من دماء قومي في طاعتهم لك وخلافه عليك ! ثم هو معك على السرير وانا على الارض . قال اني اجلسه معي ان يكون اكرم على منك . ولكن لسانه لساني وحديثه يعجبني ... فبلغت الاخطل وهو يشرب فقال اما والله لاقومن في ذلك مقاما لم يقمه ابن ذي الكلاع . ثم خرج ودخل على عبد الملك فلما ملا عينه منه قال :

وكأس مثل عين الديك صرف
تنسي الشاربين لها العقولا
اذا شرب الفتى منها ثلاثا
بغير الماء حاول ان يطولا
مشى قرشية لا شك فيها
وارخى من مآزره الفضولا

فقال له عبد الملك ما اخرج هذا منك يا ابا مالك الاخطلة في راسك قال اجل والله يا امير المومنين حين تجلس عدو الله على السرير وهو القائل بالامس :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى
وتبقى حزازات الصدور كما هيا

قال فقبض عبد الملك رجله ثم ضرب بها صدر زفر فقلبه عن السرير وقال اذهب الله حزازات تلك الصدور فقال انشدك الله يا امير المؤمنين ، والعهد الذي اعطيتني . فكان زفر يقول ما ايقنت بالموت قط الا تلك الساعة حين قال الاخطل ما قال »

منزلة الشعر

ومنزلة الشاعر لدى الخليفة الاموي تتجلى في تصرفاته وسلوكه وجراته في بعض المواقف . فكثيرا ما كان يدخل على الخليفة دون استئذان كاقرب الناس اليه ، ولحيته تنفض خمرا . وغني عن القول ان موقفا كهذا الموقف المشكك هو خروج على تعاليم الاسلام وهيبة الخلافة ، بل هو كفر مبين يستحق الشاعر بسببه معاتبة السيف . لكن الخليفة يصفح عنه لمكانة الشعر من نفسه العربية . وهذا مع ما روينا من تهديد الشاعر قدر كاف للدلالة على تسامح الامويين والطابع العربي الصريح الذي طبع به ملكهم .

وهناك حادثة اخرى من هذا النوع روي ان الاخطل دخل يوما على عبد الملك فاستنشده فقال : قد يبس حلقي فمر من يسقيني . فقال اسقوه ماء ، فقال : هو شراب الحمار وهو عندنا كثير ، قال فاسقوه لبنا ، قال : عن اللبن قد فطمت . قال ، فاسقوه عسلا . قال : شراب المريض . قال : فتريد ماذا ؟ قال خمرا يا امير المؤمنين . قال : اعهدتني اسقي الخمر لا ام لك ؟ لولا حرمتك بنا لفعلت ، وفعلت . فخرج فلقى فراشا لعبد الملك ، فقال ويلك ان امير المؤمنين استنشدني وقد صحل صوتي فاسقني شربة خمر ، فسقاه رطلا ، فقال اعدله بآخر فسقاه رطلا آخر ، فقال تركتهما يعتركان في بطني فاسقني ثالثا ، فقال تركتني امشي على واحدة اعدل ميلي برابع ، فسقاه رابعا ، فدخل على عبد الملك فانشده رائيته الشهيرة :

« خف القطين »

فانظر الى التسامح الذي شهر به الامويون ... الخمر التي حرمها الكتاب المنزل يطلبها شاعر نصراني من حامي الكتاب المنزل. ولا يقف الاخطل عند هذا الحد بل يتعداه الى وصف الخمرة والنديم في مدحه للامويين . ولا تتعجبن من هذه الجراة : ان من البيان لسحرا .

وتبلغ به القحة ان يرفض الدخول في الاسلام حين عرض ذلك عليه عبد الملك واغراه بالعطاء الكثير ، ويخاطب عبد الملك قائلا :

ولست بصائم رمضان يوما
ولست بآكل لحم الاضاحي
ولست بزاجر عنسا بكورا
الى بطحاء مكة للنجاح
ولست بقائم كالعير ادعو
قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني ساشربها شمولا
واسجد عند منبلج الصباح

وكان الاخطل على عادة اهل الشام النصارى يظهر بحضرة الخليفة وفى عنقه صليب كبير على مرأى من وجهاء الدين الاسلامي . ولو ان شاعرا دخل على الخليفة العباسي على هذه الشاكلة لما سلمت عنقه .

ومن مظاهر الحرية التي كانت لنصارى الملك الاموي ان يخرج المقاتلون الى الحرب برايات عليها صور وشارات مسيحية دون ان يلقوا عن ذلك منعا او استنكارا .

قال فى الديوان (309) فى حرب قيس وتغلب :

لما راونا والصليب طالعا
ومار سرجيس وسما ناقعا

وابصروا راياتنا لوامعا
كالطير اذ تستورد الشرائعا

ويدهشك هذا التسامح لاول وهلة اذا ما قسته مثلا بالحالة فى العصر العباسي المتمدن والاكثر رقيا من العصر الاموي . ولكن الامر ينجلي لك اذا علمت ان الامويين حكموا بنفسية الاسياد والزعامة الجاهلية . فكانت لهم عصبية عربية تقرب العرب ، وتكرمهم مسلمين كانوا ام نصارى ، بخلاف العباسيين الذين احلوا العصبية الدينية محلا دونه العصبية العربية الحقة .

ثم ان العصبية العربية كانت قوية لاستمرار العقلية العربية الجاهلية والتقاليد القديمة . فالمجتمع الاموي مجتمع بدوي متطور حافظ على خصائص البداوة محافظة كبيرة والشاهد على ذلك دلالة الشعر عامة وشعر الاخطل خاصة كما رأينا . فأبواب الشعر مثلا لم تتبدل تبدلا يذكر فى شعر البلاط ، بصرف النظر عن بعض الفنون التي نشأت فى الحجاز وبعيدا عن الحكم

الرسمي . فترى الاخطل يمدح الامويين كما كان شعراء الجاهلية يمدحون اسياد القبائل ، فيصفهم بالكرم وسعة الدار قال فى الديوان (34) :

اخالد اياكم يرى الضيف اهله
اذا هرت الضيفان كل ضجور

يرون قرى سهلا ودارا رحيبة
ومنطلقا فى وجه غير بسور

ويمدحهم بكثرة العدد : (ديوان ص 189) :

الاكثرين حصى والاطيبين ثرى
والاحمدين قرى فى شدة اللزب

ويتبع فى هجائه المعاني الجاهلية من تفضيل قبيلة على اخرى تشدهما روابط القرابة والدم . ففي هجائه لجرير وقومه ينفر عليهم ابناء عمهم من دارم ، وامض الهجاء عند العرب ان تفضل قوما على اقاربهم ، قال فى الديوان (109 — 111)

ملطمون باعقار الحياض فما
ينفك من دارمي فيهم اثر

الاكلون خبيث الزاد وحدهم
والسائلون بظهر الغيب ما الخبر

وفى البيت الثاني ينفي عنهم صفة السيادة حيث يصرح بانهم لا يشاركون فى الامور المهمة .

وزبدة القول ان الاخطل دعم سياسة الامويين لانها التقت ومصلحة قبيلته ، فلا يعد من شعراء السياسة العقائديين الذين يناضلون من اجل فكرة او عقيدة ينذرون لها حياتهم .



مولد الادب الروسي

للأستاذ مصطفى الأزموري العمري

البحث عن ادب :

فى عام 1834 اثار الناقد الروسي الكبير بيلنسكي Belinski قضية الوجود الادبي فى روسية بطرح هذا السؤال الجدي : هل نملك ادبا ؟ وبنفي قاطع اجاب : لا ، ليس لدينا الا تجارة كتب ، والواقع ان نقد بيلنسكي يتضمن حكمين اثنين :

حكم تاريخي يشير ضمنا الى العزلة التي عاشها الشعب الروسي زمنا طويلا مكتفيا بادب هزيل يجتره ويكرر فيه نفسه محجما فى فترات لقائه بالشعوب الاخرى عن التاثر بمعطياتها الحضارية والتاثير فيها للاسهام فى صنع تاريخ الادب العالمي ، لا ينجب دبه افذاذا مثل دانتي وشكسبير وراسين ومولير وسرفانتيس وغيرهم من ذوي الصيت الفني العريض .

وحكم فني يبين ما كان عليه الادب الروسي في مطلع القرن التاسع عشر من الضعف والتفاهة والسلبية التي سدت منابع عبقريته وجففت روافد حيويته وسفلت به الى مستوى الدعاوة والابتذال حتى غدا الكتاب الروسيون ـ بتعبير بيلنسكي ـ منتشرين انتشار نبات الفطر .

وبوسعنا ان نبين نمطين التقيا فى الادب الروسي فى أوائل القرن التاسع عشر :

1) نمط يمثل الواقعية البسيطة التي يمتاز بها الشعب الروسي كمقوم من مقومات وجوده المبني على الاحساس بالواقع الحياتي ، بيد ان الادباء الروسيين فى ذلك الوقت لم يستطيعوا تجاوز بساطة تلك الواقعية الى التوغل فى تعقدها ومعاناة اشتدادها وتوترها بالنفاذ الى اعماق الواقع الروسي الحركي المضطرب بشتى المواقف والانفعال والحركات ليتعاطفوا معها وينفعلوا بها ؛ بل اقتصروا فقط على التقاط سطح تلك الواقعية الساكن البارد ووصف مظاهره وصفا خارجيا حياديا .

2) ونمط ابداعي متاثر بابداعية غوته وشللر وشاتو بريان ولامارتين وغيرهم ، مستجيب لدعوة (الفن للفن) التي كانت تتزعمها المدرسة الابداعية الفرنسية ، غير ان الابداعية الروسية كانت تحاول على ما يبدو ان تسمو بالميول الشخصية الى مستوى المشاعر القومية والانسانية ، بينما كانت الابداعية الفرنسية تريد ان تتمرد على العقل (البارد الجاف) لانقاذ العاطفة (الحارة الجياشة) وتحرير الانسان الطبيعي .. انسان روسو من طغيان انانية الثورة الفرنسية التي اذابت احلام (المتنزه الوحيد) فى مبادئها المشهورة

من هنا نعلم ان نقد بيلنسكي على عنفه يبدو صحيحا الى حد بعيد آنذاك سيما وان الادب الروسي بالمعنى الحديث لم ينهض على اسس ثابتة الا فى القرن الثامن عشر اثناء عهد بطرس الاكبر ، ولم يتخذ صفته العالمية الا فى منتصف القرن التاسع عشر حينما اصبح بحق حادثا من اعظم حوادث ذلك القرن .

ومن البين ان الشعب الروسي كان يشعر بحاجة ملحة الى خلق ادب رفيع يزاحم الاداب الاخرى في رحابة افقها واتساع مدارها وتنوع افكارها وغنى قيمها الفنية ، ويكون لاسماء رواده من ذيوع الصيت

ما للاسماء العديدة التي تتالق في سماء تاريخ الادب العالمي ، وشعوره بالحاجة الى ادب عالمي آت من احتيازه غريزة الخلق الفني الى جانب رغباته ودوافعه الجمالية ، الا انها غريزة وجدت بالقوة زمنا طويلا وباتت تترقب وجودها بالفعل بظهور عبقرية فذة لها مناخها الذاتي ومزاجها المتفرد القادر على انتشال الانسان الروسي من تمركزه الذاتي ووضعه العنكبوتي والخروج من افقه الاقليمي الضيق الى عالم انساني رحيب .

ولعل الذي اخر تفتح تلك الغريزة الى منتصف القرن التاسع عشر هو افتقار الشعب الروسي الى كثير من الخصائص الاساسية كالوحدة القومية وذكريات التاريخ المجيدة التي تخلق شخصيته التاريخية وتفسح له المجال امام معطيات المدنية الحديثة .. وهكذا بقيت روسية ـ ضمن ظروفها التاريخية ـ محصورة في مجتمع مغلق تراقب تطور الامم وتجديد الافكار بحذر شديد رغم ما اوجده بطرس الاكبر من علاقات التقارب بين روسية واوربة اذ لم تقدر هذه العلاقات على اكتشاف اصالة الحضارة الروسية واثارة مقوماتها الابداعية ، فوجدت روسية نفسها في مفترق موقفين اثنين :

موقف قومي يتشبث بذاتية الادب الروسي في طابعه الشعبي القديم المحافظ ، البعيد عن كل تأثير اجنبي يفقده اصالته .

وموقف يدعو الى اقتفاء اثار الادباء العالميين والاهتمام بالتيارات الفكرية الحديثة ، وبالتالي تمهيد الطريق امام الادب الروسي للخروج من عزلته واغنائه بالجديد الوافد من العالم الغربي من علم وفلسفة وفن

الا ان الموقف الاول بقي متحكما في فعالية الادب الروسي حتى مطلع القرن التاسع عشر تسنده عوامل ثلاثة هي : المناخ ـ العرق ـ التاريخ .

فالوضع الجغرافي حتم على روسية ان تخضع لمناخ بارد جدا جعلها ذات طبيعة جغرافية خاصة في تكوينها القاري ، فلا هي من اوربة ، ولا هي من آسية ، وانما هي من هذه وتلك . في هذا المناخ القاسي عاشت عروق عديدة مهاجرة ابرزها ثلاث مجموعات كبرى هي : الفنوا ـ التتار ـ السلاف ، ومع مرور الايام استطاعت المجموعة الاخيرة امتصاص وجود المجموعتين الباقيتين ليتسنى لها بناء الحضارة الروسية الحديثة ببذل كثير من الجهد الدائب والتضحيات الجسام للانعتاق من الكهف (الافلاطوني) .

اما التاريخ الروسي فتتراءى من خلاله فترات حالكة مليئة بالماسي والحروب والهزات العنيفة الآتية من غزو التتار ونفوذ الاجانب وسيطرة الاقطاع واستبداد القياصرة وقسر الحياة الاجتماعية ، انعكست تلك الفترات على الحياة اليومية للانسان الروسي وطبعته بطابع الحزن والتعاسة يتجلى هذا الطابع اكثر ما يتجلى في الادب الروسي شعره ونثره حتى لقد عبر عنه الكاتب الروسي هيرزن (1812 / 1870) بقوله : ان الحزن والريبة والسخرية هي روابط الادب الروسي ، وما ضحكنا سوى سخرية مرضية .

هذه هي العوامل الثلاثة (الجغرافي والانتولوجي والتاريخي) التي اسهمت الى حد بعيد في تحديد اطار الادب الروسي واثرت فيه تأثيرا فاعلا ، ولكنها بدء من القرن الثامن عشر اصطدمت بتحديات معاكسة من كتاب مثل سوماركوف ورادیستشيف وغيرهما ممن اعتقدوا بان العبقرية والذوق الفني موجودان في كل بلد خارج اي اعتبار جغرافي أو عرقي او تاريخي ، فكان من الضروري ان ينتقل الادب الروسي من الواقعية الساذجة الى الواقعية الاجتماعية ، ومن لادب الشعبي المطبوع بطابع ديني وخرافي معا الى الادب العالمي الانساني وان بدا في نهاية التحليل ان هذا الانتقال غير نهائي اذ ان الشعب الروسي يميل بطبعه الى البحث عن فرحه العظيم في ادبه الشعبي المليء بذكريات الماضي البطولية واعمال القديسين الروحية واغاني الشعب النابعة من شعوره الوطني .

روافد الادب الروسي الحديث :

ابتداء من القرن التاسع عشر اخذت الحياة الفكرية والادبية في روسيه تشق طريقها للظهور بتأثير عوامل سياسية واجتماعية كما اخذ الادب الروسي يتخلص من سيطرة النخبة المثقفة التي كانت تحتكره وتستغله لتصريف ميولها وعواطفها بعيدا عن الاتصال بالواقع الاجتماعي الروسي ، فمنذ اوائل القرن التاسع عشر حدث انقلاب ادبي بقيادة كارامزين خالق اللغة الادبية الحديثة في روسية ، وكرلوف لافونتين روسية، وبوشكين شاعرها الاكبر وليرمنتوف بيرونها المتمرد وبيلنسكي ناقدها الذي هاجم بعنف واصرار نظرية

الفن للفن ونادى بالواقعية الاجتماعية والعودة الى الشعب فكان لندائه تأثير على كتاب روسية الكبار امثال غوغول وغرغـور فيتـش ، وتورغنيـف ، ونيكـراسـوف ، ودوستويفسكي ، وتولستوي وغوركي .

وواضح ان هذه الثورة البناءة في الادب الروسي سبقتها ارهاصات تاريخيـة واجتماعيـة وسياسيـة فالمجتمع الروسي كان خاضعا لعملية تطور ضخمـة للخروج من انعزاله التاريخي نتيجة الحرب الوطنيـة التي احتدمت بين روسيـه وفرنسة عام 1812 ، والتي اثارت في الشعب الروسي اندفاعا متحمسا فجر فيه جميع القوى الحيوية المقومة للامة والخالقة حسا وطنيا للشعب السلافي .. ثما ان انتصار روسية على نابليون وامتيازها الدولي بعد مؤتمر فيينـا بجانب الـدول الكبرى انذاك (انجلترا ، فرنسا ، النمسا ، اسبانيا ،) كل هذا ساعد على توكيد مستقبل روسية السياسي والعسكري ، كذلك استطاع الساسة الروسيـون ان يكتشفوا في باريس البنيـة السياسيـة والاداريـة والاجتماعية للدولة الحديثة نظريـا وعمليـا بفضـل معطيات مبادىء الثورة الفرنسية حتى اذا عـادوا الى وطنهم شرعوا يفسرون افكار ثورة 1789 وينشرونها في حذر شديد خشية الرقابة القيصرية التي اخضعت تدريس المسائل الفكرية لتوجيه اللاهوتيين الارتودكس ومع ذلك فقد تكونت حلقات من محبي الفلسفة تناقش فكرة العالمية والسلام الدائم الداعية اليها فلسفـة كانت ، وفكرة الوطنية المنبثقة من روح خطابات فيخته وشعر شللر ونظريات الاقتصاد الحر بتعبير آدم سميث والافكار الاشتراكية الصادرة عن سان سيمون وفوري، وفلسفة هيغل التاريخية التي ساعدت الى اقصى حد على دفع الشباب الروسي المتحمس الى البحث عن معنى مطلق للتاريخ الروسي قائم على مفهوم القوميـة ومصيرها التاريخي حتى لا يبقى هذا التاريخ تاريخيا ميتا تتسرب في قاعه حوادث مقصوصة وملصقة لا معنى لها ولا هدف .

وسط هذه الكثرة من المبادي والقيم الجديـدة الوافدة من اوربة الى روسية بطريقة مباشرة او غيـر مباشرة انبجست افكار تحررية تريد ان تجد للانسان الروسي مكانا ومعنى للحياة في مجتمع مغلق ممـزق موضوع وضعا سيئا وتنقذه بالتالي من عدم رضـاه بالواقع الاسود .

بيد ان سؤالا خطيرا برز : هل يجب على روسيـة ان تقيم وجودها بالاخذ الموصول من معطيات الحضارة الغربية ، ام يجب ان تكتفي بذاتها وتبحث عن مثلها الاعلى في وجود قومي له خصائصه وظروفه وشروطه ؟

على هذا السؤال انبثقت اتجاهات عظيمة تشابكت وتعقدت في الفكر الروسي واهمها :

1) اتجاه غربي يحاول ان يقوي الاتصال بين روسية واوربة ان على الصعيد الديني او على الصعيد الاجتماعي والسياسي . واصحاب هذا الاتجاه يـرون ان على الادب الروسي ان ينشر الافكار العظيمة الآتية من الغرب ثم يسقط الضوء النقـدي والتحليلي على المساوىء التي تذيع الفوضى والاضطراب في الواقـع الروسـي .

2) اتجاه سلافي يدعو الى المحافظة على روح القومية السلافية بمقاومة كل تأثير دخيل يتسرب الى روسية (المقدسة) ، واثارة الحس الوطنـي في نفوس الشباب المنتشين بانتصارهم على نابليون والباحثين عن مثل اعلى قومي قائم على اتباع التعاليم الارتوذوكسية وتأييد الحكم المطلق القيصري والتشبع بالروح الوطنية الاصليـة .

3) اتجاه شعبي اشتراكي يدعو الى الرجوع الى الشعب والتقرب اليه للقضاء على بؤسه وجهله وتحريره من جبروت الحكم المطلق واستبداد الاقطاع وتحطيم الاوضاع الفاسدة بالقوة .. (بحر من الدم والنـار يطفى على موسكو حتى يتالق نجم الثورة الذي يقـود الانسانية المتحـررة) كما اعلـن باكونيـن وبلخانـوف وبعدهما لينين .

4) اتجاه ديني صادر عن حياة الشعب الروسي الدينية المليئة بالمحبة المسيحية والايمان القلبي البسيط الهادىء ، ويمثل هذا الاتجاه فـلاد ميـر سولوفييف الذي كان يرى ان الحقيقة الدينيـة لا يبرهـن عليها بالدليل العقلي ، وانما تحضر حضورا وجدانيـا عـن طريق الايمان الحدسي . وقد تاثر بهذا المفكر الدينـي فيما بعد شيستـوف وبرديايف في المجال الفلسفـي : اما تأثيره على الادب الروسي فيبدو واضحـا في ادب دستويفسكـي .

جميع هذه الاتجاهات وفدت على الادب الروسي الحديث في القرن التاسع عشر وميـزت منـه تيارين كبيرين اسهما اسهاما فاعلا في تحديد خصائصه وضمان بقائه بين الاداب العالمية الاخرى :

1) تيار لا شعوري (نفساني) يتوغل في اغوار اللاشعور في فوضاه السيكولوجية واضطراب رغباته المكبوتة وهيجان ميوله الغامضة ، نشاهد فعل هذا التيار في قصص وروايات روسية كثيرة مثل (النفوس الميتة) لغوغول ، و (رسائل من اعماق الارض) ، و (الاخوة كارامازوف) و (الممسوسون) لدستويفسكي، ولعل هذا الاخير يعتبر سيد القصة السيكولوجية الذي وجد فيه كثير من الكتاب المعاصرين امثال جيد وكافكا وسارت وبروست وكامو وفولكنر وبرباروس اشكالا جديدة للقصة الحديثة واسسا للتراجيديا الحديثة كما وجد في حياته وادبه معا فلاسفة مثل رازانوف وبردييايف وكامو (اسطورة سيزيف) عناصر وجودية صادرة عن التجربة الشخصية الحية التي تنم عن قلق ميتافيزيقي مائل في الاستفهام عن معنى الحياة والوجود ، واخيرا استقى منه علم النفس المرضي والتحليل النفسي حينما قدم لهما نماذج نفسية غريبة في مواقفها الحياتية ازاء ذاتها وازاء الآخرين .

2) وتيار شعوري ـ اخلاقي يهتم بالسلوك الاجتماعي والديني للشعب الروسي ويدعو الى مسيحية بسيطة مليئة بالامل العظيم في مقاومة طغيان المذهب الالحادي الصاعد من فلسفة نيتشه وشترن وفيورباخ ، وتمثل هذا التيار روايات تولستوي ودستويفسكي كما تهدف روايات غوركي الى التمرد على القيم البورجوازية والفوارق الاجتماعية والدعوة الى الاهتمام الشديد بالواقعية الاشتراكية وببطلها الانسان البروليتاري .

عن طريق [illegible]
الروسي الحديث ولم يعد لسؤال بيلنسكي : هل نملك ادبا ؟ سوى قيمة تاريخيه ، فابتداء من سنة 1840 خرجت القصة الروسية الحديثة من (معطف غوغول) رائد القصة الروسية الحديثة ، وهي ترتدي ثوبا انسانيا عالميا .

هكذا وجد الشعب الروسي ادبه الخاص بعد معاناة وطول انتظار ... ادبا ممتدة جذوره في اعماق التربة الروسية الاصلية ، باسقة فروعه في افق الانسانية الرحب ، دانية قطوفه للانسان في كل مكان وزمان ادباله ابعاد ثلاثة : البساطة في التعبير ، والحزن العميق في الانفعالات ، والمشاركة الوجدانية الانسانية في الموضوع ، وهي ابعاد يتميز بها الادب الروسي عن سائر الاداب العالمية اذ تقدم لنا عالما يضج بالعذاب الانساني وشقاء الحياة اليومية سرعان ما نحس انه ليس عالم الانسان الروسي وحسب بل عالم الانسان المشكل التي تتصارع فيه قوى الخير والشر وتتجاذبه المرح الاكثر صفاء والكآبة الاكثر غرابة .

انه ادب الارض القاسية المناخ والشعب المتمرد على الارض والانسان البرمثيوسي المستيقظ .

الدار البيضاء : مصطفى الازموري



حول تطور العلاقة بين التقدمية العربية والشيوعية الدولية

للاستاذ: المهدي البرجالي

الثورة العراقية وعلاقتها بالخلاف بين التقدمية العربية من جهة والشيوعية الدولية من جهة أخرى ــ احوال الخلاف منذ نشوب ازمة سنة 1959 ــ الحقائق السلبية والايجابية التي ترتبط بذلك ــ الجوانب المبدئية التي يقوم واقع التناقض بين الفكرتين: العربية والشيوعية ــ نتيجة استمرار هذا التناقض ــ علاقته بالصلات الدولية العادية.

كانت الثورة الاخيرة التي عرفها العراق الشقيق ، من ابرز الاحداث التي اجتازها العالم العربي خلال الشهور الاخيرة ، ومن اعمقها دلالة وابعدها اثرا ، وقد بدات العواطف النارية الجياشة التي ترافق ــ كما هو طبيعي ــ اية حالة ثورية من هذا النوع ــ بدات هذه العواطف تستنفذ الكثير من حدتها وعرامتها الاولى ، وذلك بفعل المادة والاستصحاب ، وتحت تاثير العامل الزمني الذي يجرد مختلف الاشياء من ملابساتها السطحية ... هذه الملابسات التي تعلق بها على وجه او آخر ، وتكسبها فى البداية صبغة حادة ومثيرة ، غير ان هناك على النقيض من ذلك اثارا اخرى بعيدة المدى والمفعول ، ما تزال حركة العراق تنبثق عنها ، وتحدث بها كثيرا من التاثير على وجهة الحياة الثورية العربية ، وعلى صعيد الفكرة السياسية والمذهبية العربية ، بكل ما تتسع له من آفاق وميادين ، والصفحة الجديدة التي انفتحت فى مجال الصراع بين العقائدية العربيةمن جهة ، والشيوعية الدولية من جهة اخرى هي من بين الاثار العميقة التي افضت اليها تطورات العراق هذه ، ومن اكثرها ايغالا فى الاهمية وخطورة الشان ، ولعلنا نذكر ان العراق بالذات كان هو ايضا ــ ومنذ اربع سنوات فقط ــ مثار صدام حاد بين القوميين العرب فى المشرق ، وبين مجموعة دول الكومينفورم على وجه العموم ، وفى المقدمة الاتحاد السوفياتي ثم الصين الشيوعية كذلك ، ونذكر ايضا ان ذلك الصدام الذي امتد فترة قصيرة نسبيا . وطيلة الشهور الاولى من سنة 1959 كان قد اكتسى مظهرا حادا جدا ، وكاد يتشعب الى درجة اوشكت ان تنال من بعض الاوضاع الدولية بالشرق الاوسط ، وكادت تؤثر على تطور العلاقات العربية الروسية فى هذه المنطقة ؛ وقد وجه رئيس الحكومة السوفياتية ساعتها نقدا مباشرا لموقف القوميين العرب من الاحزاب الشيوعية المحلية ، وابدى تذمرا مريرا من ظاهر التنافر الملحوظ بين الحركة التقدمية العربية وبين الخلايا والمنظمات ذات الاتجاه الشيوعي التي تنشط هنا وهناك فى بعض انحاء الشرق العربي ، وتحاول ان تتخذ لنفسها مركزا ما فى هذا القطر او ذاك من اقطار المنطقة.

وقد كان من خير العلاقات العربية السوفياتية ، ان الجدول الذي استفاض على اثر هذه التطورات بين الكرملين ، وبعض المسؤولين العرب ، والذي اشتد احيانا الى درجة محرجة جدا ــ اخذت وطاته فى النهاية تخف شيئا فشيئا ، الى ان طويت صفحته بصورة تامة واصبح نسيا منسيا ، غير ان الحركة الاخيرة التي عرفها العراق قد كان من نتائجها ان اثرت من جديد

التصادم الدولي العام ، الذي ليس له من حدود ، وعلى الرغم من ان قضايا العرب التطورية تقتضي منهم هكذا كل هذا التشديد على المشاكل الخاصة ، والدوران حول محورها دورانا دقيقا وملتزما ، على الرغم من كل ذلك ، فان هناك مجالات متوافرة تسلكها كثير من البلدان العربية نحو المزيد من التعاطي مع الشعوب الاخرى ، والتصادي معها ، في نطاق الاهتمامات الايجابية المشتركة ، وطبقا لما تدعو اليه هذه الاهتمامات من تعاون شامل او محدود في بعض الميادين ، ومن البديهي ان الفكرة التي تتبناها التقدمية العربية لا تتناقض في جوهرها مع مثل هذا الاتجاه القائم على تركيز التعاون الدولي ، والاستفادة من معطيات هذا التعاون وتزداد اهمية ذلك بالنسبة لتخلف الاقطار العربية البالغ ، وتعرض الكيان العربي للتهديد الاسرائيلي المستمر ، وعلى اساس هذه الاعتبارات الملحة ، كيف يمكن اذن ادراك الاتجاه الذي يحدو البعض الى اقحام البلاد العربية في خضم الصراع العالمي الكبير ، واجترارها بذلك الى نطاق الحرب الباردة سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة ؟

هذه الحقيقة على بساطتها ، كانت تستعصي غالبا على اذهان الكثيرين في الغرب ، وطوال الخمسة عشرة سنة الماضية ، ومن ثم فقد كانت هناك بالفعل كثير من المحاولات التي تكتسي احيانا صبغة التآمر ، تبذل على وجه او آخر ،لاجتذاب بعض الاقطار العربية واستدراجها الى المشاركة في حلبة الصراع العام الذي لا يفتأ اواره مستعرا بين الشرق والغرب ، على امتداد الافاق والابعاد ، غير ان ارتكاز الفكرة العربية بكل ما تحتويه من مفاهيم ومثل ومبادىء ، وثباتها امام التحديات السياسية والنفسانية والفكرية ، التي ما انفكت توجه اليها من كثير من اقطار الغرب ، كل ذلك قد بدا يساعد في النهاية على اقناع بعض الجهات الغربية بفاعلية الوجود العربي المعاصر ، وضرورة التسليم بكل ما هو ناشىء عن هذه الحقيقة من نتائج دولية محلية وعالمية ، بما في ذلك الاقتناع ضمنيا باستقلالية الحركة العربية الحديثة ، وامتناعها على امكانيات التبعية ، والتاثيرية البلهاء على اختلاف ما لها من اشكال وصور ، وقد مرت خلال السنوات السبع الماضية ، تطورات هامة جدا سواء في منطقة الشرق الاوسط العربي ، وفي المغرب العربي ايضا ، وكان يتراءى من خلالها دائما ان جهات دولية اخرى ـ بما فيها العالم الشيوعي وفي المقدمة الاتحاد السوفياتي ـ هذه الجهات ما برحت تبدي قدرا كبيرا من الفهم والادراك لحقيقة الحركة العربية الحديثة ، وتعبر عن واسع الاقتناع بفاعلية هذه الحركة في صميم المنطقة العربية ، واهمية المحتوى المبدئي والواقعي الذي تعبر عنه باستمرار ، والواقع انه ما كان الشيوعيين وخاصة منهم غير الدوكاتيين ان يتمكنوا من تفهم الحركة التقدمية العربية ، والتسليم بحتمية استقلالها عن المذاهب التوجيهية الاجنبية ، والتعرف على خصائصها التاريخية والنفسانية والاخلاقية والعقلية ، لو لم يصلوا الى (هضم) مبدا التمييز بين ما هو من قبيل العلاقات الدولية العادية وبين ما هو من صميم القضايا المذهبية والعقائدية الخاصة ، بين ماله صلة بمصالح ارتباطهم الديبلوماسي والتعاوني مع الشعوب الاخرى ، وبين ما يتصل بقضايا المذهب الذي يحتضنونه ومصلحة انتشاره في العالم الخارجي، وامتداده الذي كان يقدر له في البداية ، فكثير من الشيوعيين غير المسؤولين ما يزالون يدينون الى اليوم بهذا المبدا الذي يوصف عند اخصامهم من الشيوعيين ايضا بانه عبارة عن دوكاتية او مذهبية متحجرة ، هذا المبدا الذي ينص على ضرورة او على الاقل امكانية الخلط بين القضايا الايديولوجية الخاصة ، والعلاقات الدولية على صعيدها العام ، وهم يرون انه سيبقى من المتحتم على اية دولة شيوعية (مؤمنة) أن تخضع وجهة ديبلوماسيتها لمصالح العقيدة الماركسية ، بحيث يصبح من الضروري على هذا الاساس ايجاد نوع من الصلة بين العلاقات السياسية والاقتصادية مع دول العالم الثالث مثلا ، وموقف هذه الدول من الاحزاب الشيوعية الموجودة عندها ، وذلك بكل ما يقتضيه الامر ـ هكذا ـ من توسيع نطاق العلاقات السياسية والاقتصادية وغيرها لصالح الاقطار التي تسلك سبيل التغاضي المطلق عن نشاط الشيوعيين المحليين ، وعرقلة هذه العلاقات او تجريدها احيانا من محتواها التعاوني الودي ، وذلك بالنسبة للبلدان الاخرى التي تتبع سياسة مناقضة لذلك ، ومن السمات البارزة في الخلاف الناشىء حاليا بين الدوكاتيين والتعديليين هذه القضية بالذات قضية العلاقات مع دول العالم الثالث التي لا تنتهج سياسة استرضاء الشيوعيين المحليين ، وقد كان من اهم الظواهر الدولية الايجابية التي حصلت خلال سنوات ما بعد الحرب ، نجاح القيادة السوفياتية وغيرها من القيادات الشيوعية الاخرى ـ نجاح هذه القيادات جميعها ـ وخاصة بعد وفاة ستالين وابتعاد الستالينيين تدريجيا عن مقاليد الحكم والنفوذ والتوجيه سواء فيروسيا او غيرها من الدول الشيوعية

فى اوربا الشرقية ، وكذا منغوليا فى اواسط اسيا — نجاح هذه القيادات جميعها فى اصطناع علاقات اكثر ايجابية وتحررية ، مع مختلف دول العالم الاخرى ، بما فيها دول العالم الثالث وكان الطابع العام الذي يدمغ سلوك الحكومات الشيوعية بهذا الصدد هو طابع التحرر من المبدا القاضي باخضاع الوجهة الديبلوماسية للدولة لمصالح العقيدة التي تدين لها ، ومن غير شك فان هذا النهج الواقعي الذي آثره السوفيات وشركاؤهم فى حلف فارسوفيا — كان ذا تاثير ايجابي على ارتباطات موسكو ومجمل العواصم الشيوعية الاوربية باقطار العالم الخارجي ، وقد اسهم ايما اسهام فى تعديل كثير من الموازين السياسية الدولية ، وما زالت النتائج المترتبة عنه تشكل خطوة مهمة فى سبيل ليبرالية الانظمة الشيوعية السائدة ، وتركيز مصالح التفاهم العالمي على اسس امتن بناء واوسع افقا .

وليس من الضروري ان نعزو مثل هذا الاتجاه فى النظر والتقدير والتصرف من جانب الشيوعيين المعتدلين الى مجرد حسن النوايا التي يتطوون عليها ، وعميق الاخلاص الذي تكنه صدورهم نحو الدول الاخرى التي تنتمي لعالم الحياد والتخلف ، ان الامر فى هذا الباب ليس فى الواقع امر نوايا حسنة ، أو مشاعر مخلصة ، بقدر ما هو امر واقعية مستنيرة ومستبصرة اصبحت تساعد كثيرا من الماركسيين المسؤولين على التعرف على منافذ الارتباط بالعالم المحايد ، ومنافسة الجهات الدولية الاخرى ، التي تسعى شيئا لتحقيق نوع من السبق فى هذا المجال ، ومن مجاوزة الحقيقة انكار اهمية النجاحات التي احرز عليها المعسكر الشيوعي بهذا الشان ، نجاحات لم يكن من نتائجها بالطبع افتضاض حياد الدول الملتزمة لمبدا الحياد ، واقتيادها الى مجاهل التبعية والمامورية ، ولكن هذه النجاحات تتمثل اكثر من ذلك — فى القدرة على مسابقة دول الحلف الاطلسي ، وتحديد مدى التاثيرات السياسية والاقتصادية التي الفت قديما ان تمارسها على حساب بعض الدول الصغيرة هنا وهناك ونجاحات اخرى تتمثل فى توسيع نطاق التفاهم العالمي الكبير ، وتقريب المجموعات الدولية بعضها من بعض ، وتحقيق انجازات عملية على اساس كل ذلك .. هذه الانجازات التي تبدو بعض مظاهرها بارزة فى عملية السد العالي بمصر مثلا ، كما تبدو لها كذلك مظاهر اخرى لا تقل اهمية سواء بالهند او افغانستان او الجمهورية اليمنية او غير هذه الاقطار كثير .

لكن ما الذي حدث بعد توافر كل هذه الظواهر الايجابية فى افق العلائق بين العالم الشيوعي واقطار العالم الثالث ؟

انه لا سبيل الى الانكار بان الكثير من هذه الظواهر ما يزال لحد الان ماثلا امام العيان ، دالا فى نفس الوقت على قوة الاستمرار الذي تتميز به السياسة السوفياتية فى كثير من المواطن ، ومدى اهمية الاسس المبدئية والتخطيطية التي تنهض عليها بهذا الشان ، فقد استطاعت الديبلوماسية الروسية ، ان تضع — فى عديد من الحالات — خطوطا عريضة بين مصالح ارتباطها الدولي باقطار العالم الثالث ، وبين وجود الصلات الروحية والعقائدية بينها وبين الجماعات التي تنتسب للماركسية اللينينية ، والتي تنشط داخل بعض هذه الاقطار ، واذا ما وضعنا فى الاعتبار، واقع العلائق بين الكريملين والقاهرة منذ سنة 1955 سواء فيما يتصل بالجانب الديبلوماسي الدولي ، او فيما يتعلق بالنواحي الاقتصادية والمالية وغيرها ، ثم اذا قارنا كل ذلك بما عليه السياسة المصرية العامة نحو الشيوعيين ، ونظرة النظام القائم هناك الى طبيعة التبعية الماركسية وانصارها والدعاة اليها ، اذا وازنا بين كل هذه الحقائق والاخرى نكون قد اشرفنا على مظهر مهم من مظاهر العلاقات السوفياتية الدولية ونكون كذلك قد الممنا بجانب اساسي من جوانب السلوك الواقعي الموضوعي الذي تقوم عليه هذه العلاقات ، وخاصة مع الدول المتخلفة وغير المتحازة ، ومن آخر الظواهر التي يمكن ان تلاحظ فى هذا الشان موقف الجزائر وتونس من نشاط الخلايا الشيوعية فيهما ، واتخاذهما سلوكا حذرا وصارما فى هذا المجال ثم عدم تاثير العلاقات بينهما، وبين الاتحاد السوفياتي نتيجة لذلك — على الرغم من بعض الهمسات التي وقع ترديدها احيانا علىٰ هامش هذا الموضوع ، وهناك امثلة اخرى يمكن الاستشهاد بها من هذا القبيل ، على ان كل هذا لا يعني بالطبع ان سياسة الدولة الشيوعية الكبرى وخطة (الكومينفورم) على وجه العموم ، قد اصبحت قليلة الاكتراث بمصير الحركات الشيوعية العالمية ، ضئيلة الحرص على رعاية هذه الحركات ومراقبة تطورها الذاتي ، واشعاعها المذهبي على مختلف الاوجه والمستويات . ان اي انقلاب جذري من هذا النوع لم يحدث حقيقة على صعيد السياسة السوفياتية وسياسة الاقطار الشيوعية الاخرى التي ترتبط بالسوفيات ارتباط العقيدة والاتجاه ، غير ان ذلك لم يحل — كما اوضحنا — بين الكريملين ، وبين

اتباع سبل اكثر موضوعية واعتدالا في موضوع علاقاته مع الدول المتخلفة والمحايدة ، على الرغم مما تتخذه اكثرية هذه الدول من مواقف غير ملائمة للشيوعية المحلية والمنظمات التابعة لها في مختلف القطاعات والميادين .

على ان الظاهرة المثيرة للاهتمام ، والتي تتصل ببعض جوانب السلوك الشيوعي نحو الدول (القومية) وتجاه الاقطار التي تلتزم بفكرة الحياد وعدم الانحياز، هذه الظاهرة هي التي طرأت على جو العلاقات بين روسيا ، وبعض الدول العربية في الشرق الاوسط سنة 1959 وذلك بسبب الوضع (الشيوعي) في العراق والتي امتدت لها الان ذيول اشد وطأة وابعد اثرا ، اما الذيول هذه فهي التي تتمثل في وجود الازمة الحالية بين بغداد ، والعواصم الشيوعية في العالم ، واما مظهر الشدة في هذه الذيول ، فهو ما يتجلى في حدة اللهجة الانتقادية المتبادلة ، ثم ما ظهر في بعض التجمعات الاحتجاجية الشيوعية التي نظمت أخيرا في بعض العواصم ، وصاحبتها مظاهر عنف اتخذت احيانا اتجاها مثيرا جدا .

ولا يبدو أكيدا — لحد الان — ان مثل هذه المظاهر التوترية لابد ان تتطور بالعلاقات العراقية السوفياتية، الى درجة اشد خطورة وسوءا ، وتؤدي بالتالي الى اصابة هذه العلاقات اصابة بالغة وفي الصميم فقد الف المعتادون على تطورات السياسة الدولية السوفياتية ، ان هذه السياسة لا تسير دائما في خط التصلب والصرامة المطلقة ، بل انها تتصف عوض ذلك بمرونة ملوحظة تتيح لها قدرا كبيرا من التلاؤم مع الاحوال الطارئة ، والسير على خط مطاط ، يمكن من اجتناب التصادم الحاسم مع هذه الاحوال ، والتباين عنها الى درجة لا تقبل المراجعة والمداورة،لكن هل يجوز — من جانب آخر — ان تطوي الاحزاب الشيوعية الاخرى ، وخاصة الاحزاب غير الحاكمة ، صفحة العراق هذه وتسلم بنتيجة التصادم الحتمي والدائم بين التقدمية العربية والعناصر الشيوعية المتشيعة ، وتهضم بالتالي حقائق هذا التصادم ، كما تتجلى الان في الجو اللاشيوعي الذي يسود عراق الثورة اليوم ؟ ليس من اليسير حقا الرد على مثل هذا التساؤل بجواب بات وحاسم ، الا ان الذي يمكننا ملاحظته مع ذلك ، انه — وان كان جائزا جدا ان يخفف السوفيات من حدة موقفهم من العراق ، الا ان الدول الشيوعية الصغيرة والاحزاب الشيوعية غير الحاكمة تستبيح لنفسها عادة — وفي مثل هذه الاحوال — متابعة الجدل القائم ولو بشكل مصغر ، وذلك من اجل اعطاء النزاع الواقع صورة مستمرة ، وضمان وجوده مطروحا على الصعيد العام ولو من الناحية المبدئية على الاقل كذلك الشأن ايضا في سوريا والعربية المتحدة وفي مختلف البلدان العربية التي تم فيها التصادم العقائدي والاتجاهي بين التقدمية العربية والدولية الشيوعية ، وكان ذلك التصادم يقضي بطبيعة الاشياء الى نتيجته الحتمية المعتادة اي الى انغمار المذهبية الدخيلة في خضم التيار التقدمي العربي الاسلامي وانجرافها تحت وطأة هذا التيار ، الى نهايات حاسمة وسواء بالنسبة الى هذا القطر او الآخر ، فان مصير النزعات الشيوعية — غداة اصطدامها بالحركات التقدمية العربية — لا يزال يشكل في اعتبار البعض من الشيوعيين الاجانب مشكلة قائمة، ولا يزال هؤلاء الشيوعيون يستمدون من هذه المشكلة المفترضة وسيلتهم الى احياء الجدل القديم ، ومتابعته على التوالي بين الفينة والاخرى ، واعطائه احيانا صبغة حادة وبادية الشدة والعنف ، وكما هو ملحوظ دائما في احوال من هذا النوع ، فان الذي يتولى مواصلة الجدل في نهاية المطاف وذلك بعد ان يستنفذ حدته الاولى واثارته الابتدائية — الذي يتولى ذلك هي الدول الشيوعية الصغيرة والاحزاب الشيوعية غير المسؤولة ، سواء في اوربا او امريكا اللاتينية او آسيا او غيرها ، وقد تتصدى في بعض الحالات — دول شيوعية كبرى اذا كانت تسودها النزعة المذهبية المتحجرة (الدوكاتية) تتصدى لمواضيع الجدل هذه وتحاول احياءها من جديد ، بل وتوسع من نطاقها اذا اقتضى الحال ذلك ، وخاصة اذا كانت تستهدف من وراء كل هذا ، لا مجرد الدفاع عن الاقليات الحزبية الشيوعية في البلدان المتخلفة — كما تلوح به في الظاهر — بل التعريض كذلك باخصامها من الشيوعيين التعديليين ، وخوض المعارك الايديولوجية معهم على اوسع نطاق ممكن .

وللمرء ان يتساءل بهذا الصدد : ما علاقة الواقع الثوري العربي بكل هذه الاحوال النزاعة المعقدة التي تسود عالم الشيوعيين ؟ ولماذا تقحم القضايا التقدمية العربية ، والاتجاهات التطورية الذاتية بالعالم العربي في خضم هذا الجدل القائم بين الدوكاتيين والتعديليين ولا شيء يقحم في نطاق ذلك ايضا حتى جانب العلاقات مع بعض الدول العربية التي تتخذ الاحوال العقائدية فيها اتجاها غير ملائم لصالح الشيوعيين ؟

اسئلة قد يطرحها البعض على انفسهم في العراق ، وقد يلقيها آخرون امام انظارهم في غير العراق من الاقطار العربية او غير العربية ، اما اذا حاولنا تعليل احوال وظواهر من هذا القبيل ، واستخلاص النتائج المترتبة على ذلك ، فاننا سوف لا نجد هذا في مجرد التعريض بالشيوعيين والتشكيك في نواياهم نحو الاخرين من رواد الحركات التقدمية غير الشيوعية ، وانما نجده اوسع من ذلك في التعرف على خصائص المذهبية الماركسية من جهة ، ومميزات الفكرة التقدمية العربية من جهة اخرى ، ولاشك ان التباين الملحوظ بين الفكرتين في كثير من المعطيات والجوانب والتناقض المبدئي الحاصل بينهما بطبيعة الظروف والاشياء هو ما يمكن ان يفسر ظواهر الانفصام البات بين اتجاهيهما وحدة الاصطدام الذي يقع بين هذين الاتجاهين ، على مختلف الابعاد والمستويات ، فالشيوعية الدولية سواء في صورها التعديلية او الدوكاتية ـ تعد نفسها عقيدة مطلقة لها صفة الكلية والشمول ، وهي لا تنحصر (بسبب ذلك) في موضوعات التنظيم الاقتصادي والاجتماعي مما يتصل بحياة الافراد والجماعات وما يتناول الاوضاع الطبقية والانتاجية والتوزيعية والاستهلاكية وما هو بسبيل ذلك على وجه او آخر ، بل انها تتعدى ذلك لتحاول فرض أوجه معينة من النظر في مختلف المناحي الفكرية والعقائدية والسياسية والاخلاقية والذوقية وغير هذا او ذاك ، مما له ارتباط بالحياة الفردية الخاصة ، ومظاهر العلاقات الانسانية بوجه عام ، والصلات التعاونية الدولية بصورة اعم ؟ اما التقدمية العربية فهي في اساسها ظاهرة عربية،ذات آفاق متفتحة ، وتمتد ابعادها على مختلف المناحي من حضارية وسياسية واقتصادية واجتماعية وغير ذلك ، وترتبط في نفس الوقت شديد الارتباط بمعطيات تاريخية واخلاقية وحضارية واسعة ، ولها استمدادها الغني من صميم الواقع العربي الاسلامي ، ومن جملة الصلات التي تشد العرب الى الجماعة الاسلامية العالمية ، والى القيم والمثاليات التي كانت اساسا لوجود هذه الجماعة ونموها ، منذ ان كان لها وجود ، ان التقدمية العربية وان لم تكن لها صفة الكلية والاطلاقية ، فان ارتباطها بالمعطيات الاسلامية المنحدرة من اعماق التاريخ والمتأصلة في صميم الوجدان العربي المعاصر ـ من شأنه ان يضفي عليها صبغة كلية شاملة، ويمنحها اطارها الواسع من حيث الناحية الفكرية والمبدئية ، او باعتبار الجوانب التطبيقية ايضا .

ولا يعني كل هذا ، ان محور التناقض بين الفكرة العربية والمذهبية الشيوعية ، يتركز حول قضايا الروح والعقائديات الروحية ، وما يترتب عليها ، مما هو من هذا القبيل ، انه اذا كان التناقض موجودا بالطبع في مثل هذه الموضوعات فانه موجود كذلك بصورة اعم في صفة الكلية والشمول التي تنتحلها الفكرة الشيوعية ، وتنطلق منها الى تفسير جميع الظواهر الانسانية والتاريخية في العالم على اساس مقاييس ومعطيات معينة ثم تحاول اقحام النتائج المنبثقة عن هذه التفسيرات على مختلف الاوضاع والاحوال الموجودة هنا وهناك في مختلف القارات والجزر ، وعلى امتداد المسافات والابعاد واختلاف الظروف والوقائع والاعتبارات والحيثيات واذا كانت هناك صور عديدة امكن فيها للقيم والمعطيات الفكرية الشيوعية ، ان تغمر حيوية القيم والمثل التي كانت تسود هنا وهناك ، في نقط مختلفة من العالم، وتخلفها في مجال التاثير والوحي والتوجيه وعلى صعيد القيادة والتسيير ايضا ، فقد يكون ذلك راجعا الى ضعف هذه القيم وتفاهة المحتوى المبدئي والعملي الذي تعبر عنه ، وقد يكون ذلك ناشئا فقط عن توارد ظروف وطوارىء معينة ، لم يعد فيها مجال للاختيار الارادي والمبادرة التلقائية الواعية ، وقد يكون غير هذا وذاك ، انما الاساسي في الامر ان الفكرة العربية بما يتوافر لها من موارد فكرية خصبة ، وما يتهيأ لها من امدادات غنية وافرة ، سواء من حيث ارتباطها بمآتي الماضي ، او اتصالها بمعطيات الحاضر، هذه الفكرة ليست في الواقع ذات استعداد لان تنغمر ـ بدورها ـ تحت تيارية ايديولوجية اخرى ، ترد عليها من خارج المجتمع العربي الاسلامي وذلك لسبب بسيط وهو انها تشكل هي بذاتها قوة فكرية وعقائدية لها استعدادها الوافر لاستيعاب المشاكل الاجتماعية والحضارية والاتجاهية العربية واصطناع حلول ايجابية عربية تمكن في الاساس من مواجهة هذه المشاكل ، وتساعد على تجريدها من عناصرها السلبية المضرة ، وليس مفهوم هذا بالطبع ان الحركة العربية ـ كما قدمنا ـ قد تكون على درجة من روح العزلة والانطواء عن العالم ، او قد تنطوي في معطياتها المبدئية على نوع من (الشوفينية) والذاتية المغالية ، ان ذلك لا يمكن ان يفهم ـ بحق ـ من خلال اتجاهات الفكرة العربية ، والسبيل الذي ما برحت تقتفيه منذ ان اتخذت صورتها القوية الفعالية طوال السنوات القليلة الماضية، فالفكرة العربية ـ كما نلم به جميعا ـ هي فكرة

انسانية متفتحة ، ولهذا فهي تتناقض (والشوفينية والانطوائية على خط مستقيم) ؛ الا ان هذه الفكرة العربية ايضا — وان كانت ذات استعدادات للتعاطي مع شعوب العالم ، والتفاعل مع الاتجاهات الانسانية الخيرة بين ربوعه — فهي من جهة اخرى تقوم في جملة ما تقوم به على مثل اساسية لا يمكن التسليم فيها على اية صورة ممكنة ، انها تقوم على اساس الحياد الايجابي وعدم الانحياز ، او قدر لها — على الاقل — ان ترتبط بهذا المبدا ارتباطا سلوكيا حتمته عليها ظروف نشوئها وتطورها واتجاهاتها المرحلية والمصيرية ، والحياد الذي تلتزمه الفكرة التقدمية العربية يختلف في مظهره وجوهره عن انواع الحياد المجبر عليه دوليا والمضمون بحسب اتفاقيات واملاءات دولية مفروضة ، كما ان هذا الحياد يتناقض تماما مع مقتضيات الاستعداد لـ (الثورة العالمية) ومتطلبات (الاممية البروليتارية) التكافلية الدفاعية الاشتراكية وغير هذا وذاك من انواع الشعارات والمبدئيات لتي لا تروج كثيرا في آفاق المحيط العربي ، ولا تلاقي هوى كبيرا في واقع الوجدان العربي ، كما هو في ثورته الجذرية الراهنة ، والحياد هذا الذي تشمله الفكرة العربية ، لا ينحصر فقط في نطاق الاعتبارات الدولية والعالمية بل يتصل كذلك بموقف الدولة من مختلف العناصر الانسانية التي تتشكل منها ، فهي لا تتحزب ضد فئة او فئات لصالح الاخرى، وهي لا تنحاز لطبقة معينة على اساس التحديد من الحقوق العادية للطبقات الاخرى ، بل انها تلتزم في مثل هذه المجالات موقفا لا طبقيا ولا تحزبيا ، موقفا لا يقوم على مبدا الصراع الطبقي بل على قاعدة التوازن والتكافل ؛ وما تستلزمه هذه القاعدة من مراجعات راديكالية لمختلف الاسس والمعطيات التقليدية ؛ وليس من شك ان حالة التوازن والتكافل هذه ليس من اليسير تحقيقها بمجرد الاعتماد على مباديء ونظريات مجردة او الاستناد الى جملة من مشروعات التنمية والتطوير على صورة من الصور ، ان مثل هذه المشاريع ، او ما يمكن ان يرتبط بها من نظريات وافكار ، لا تؤدي بالضرورة وبحتمية الاشياء الى احوال التوازن المنشود ، لكن المهم في هذا المجال هو الوسائل الموصلة لذلك ، والتقدمية العربية لا ترى انه من المتحتم اساسا ربط هذه الوسائل بفكرة الصراع الطبقي ، وانتهاؤها بعد ذلك — الى اقرار هيمنة طبقية معينة على حساب طبقات اخرى بل ان الذي يبدو مجديا وايجابيا اكثر من ذلك ، هو سبيل العمل على اختزال المسافات الشاسعة بين العناصر الاجتماعية واعتماد ذلك من حيث المبدا كاداة لاستقرار الاحوال بين هذه العناصر ، على اسس اكثر عقلانية وموضوعية ، وادعى الى تحقيق مقتضيات التوازن والتكافل ضمن مجتمع حي تام ومتطور وتلك مبدئيات — ولو انها لا تقترن بفكرة الصراع الاجتماعي والتصادم الطبقي واشياء من هذا القبيل — الا انها ترتبط عضويا بالفكرة العربية وتشكل جانبا من محتوياتها الاجتماعية التقدمية التي تستهدف في الاساس تطوير المجتمع العربي والاتجاه به الى اوضاع فردية ومجتمعية افضل.

واذا ما اغضينا عن جوانب اخرى من التناقض بين المذهبية الشيوعية من جهة ، والفكرة العربية من جهة اخرى وذلك في مواضيع مهمة حساسة كقضية الحرية والديموقراطية وحدودهما ومفاهيم تطبيقهما سواء بالنسبة الفرد او الجماعة ، وكذلك الامر فيما يتصل بالتنظيم السياسي والتوجيه الفكري الداخلي ، هذا الى موضوع العلاقات فيما بين الدول والمجموعات الدولية والمثل التي تتحكم في تحديد كل ذلك على اختلاف الصور والمعطيات وتعدد الحقائق والاعتبارات — اننا اذا ما غضضنا النظر عن كل ذلك ، ولم نعرف اهمية في هذا الباب فاننا نجد في غير ذلك مجالات اخرى يشتد فيها التناقض بين الفكرتين العربية والشيوعية ويتخذ صورا وحالات لها نصيب بالغ من الاهمية وخطورة الشأن ، ومن ذلك نظرة الشيوعيين بما فيهم الشيوعيون المحليون ، الى قضية اسرائيل ، والوجود الاسرائيلي في فلسطين المحتلة وموقفهم من التطورات العربية المختلفة ، التي ما فتئت تتعاقب منذ ان انتصب النظام الصهيوني في الشرق الاوسط ، والتي تعتبر في مجموعها كرد فعل ضد هذا النظام ، وضد عوامل استمراره وبقائه ، وهكذا الى قضايا وشؤون مختلفة من مثل هذه الانواع ؛ وليس معنى هذا اننا نسوق هذه الامثلة والصور لتبرير عمليات اضطهاد او مطاردة قد تقع ضد العناصر المتشيعة في مكان او اخر وانما هي اعتبارات عامة ، لا ترتبط بزمان او مكان معين ، استعرضناها بايجاز مخل حقا ، وذلك في مجال الحديث فقط عن

العلاقة بين عموم الحركة التقدمية من جهة والدولية الشيوعية من جهة اخرى ، وعن بعض جوانب الاختلاف في هذه العلاقة ، وتطوراتها على وجه العموم ، وقد داب بعض ذوي الراي والتوجيه في العراق ، على تاكيد القول بوجود التميز الحاصل بالفعل بين العقائدية الشيوعية كمجرد اتجاه حزبي معين ، وكاسلوب من اساليب النظر والتقدير ، وبين اشياء خاصة اخرى يتحدث عنها كثيرا وتعتبر كداع حقيقي لتطورات الاحوال الراهنة . وليس من شك ان بعض الاصداء الاجنبية التي تتردد حول هذه الاحوال ، لابد ان تستنفد حدتها وتصل فيما بعد الى نهايتها العادية ، وعلى كل، فليس المهم في هذا الشأن هو فقط جانب العلاقات الدولية واستقرارها بمنطقة الشرق الاوسط ، وانما المهم اكثر من ذلك هو قيمة المحتوى التعاوني الذي تشمله هذه العلاقات وضرورة استمراره غنيا ومليئا بالمبادرات الايجابية التي ما فتىء يسجلها تاريخ السنوات السبع الماضية .. تاريخ العلاقات بين دول الكومينفورم وبعض اقطار الشرق العربي بوجه اخص ؛ ولاشك انه على الرغم مما اخذ يجتاح بعض هذه العلاقات من عوامل سلبية في خلال الفترة الراهنة ، فانه سيبقى من الطبيعي ان يؤول امر المناوشات الناجمة عن ذلك ، الى ما آل اليه امر خلاف سنة 1959 حيث ما لبث الجدل – بعد فترة قصيرة – ان انكسرت حدته ، وتضاءلت اثارته وامكن للعلاقات الدولية بسبب ذلك ان تسترد حيويتها وفاعليتها قوية كاملة .

سلا المهدي البرجالي



مقدمات النهضة في لبنان
ونتائجها الاجتماعية

للأستاذ : محمد جميل بيهم

أتيح للبنان في غضون التمدن الحديث ان يدرك تقدما ، في الشؤون المالية والاجتماعية والثقافية ، لم يدركه قطر عربي آخر . فما هي الاسباب ؟

هذه دراسة لا يستوعبها مقال في مجلة ، ولذلك فاني ساقتصر على الناحية الثقافية منها ، والتزم مع الاقتصار الاختصار .

على ان تقدم لبنان في هذه الناحية لا يعود الى سبب واحد ، بل هو نتيجة لعوامل كثيرة هاكم اهميتها:

ما كان للعوامل الدينية من أثر في نهضة لبنان

كان ساحل الشام مجازا لحجاج بيت المقدس ، فكان هذا المجاز وسيلة لاختلاط سكانه باهل التمدن الحديث وذلك في قدومهم وعودتهم ولاقتباسهم افكار هذا التمدن بالاضافة الى تلقف اخلاقه وتقاليده .

وكان الاوربيون ، ولاسيما الفرنسيون ، لا يفتاون يذكرون اخوانا لهم في الدين بلبنان امتزجوا بهم ابان الحروب الصليبية ، وظلوا بعد ذلك يوالونهم ، ويراسلون عواهلم ، فبدلوهم الود بالود ، وبعث هؤلاء العواهل الوفود اليهم لتفقد احوالهم .

ولما انتهت المرحلة الاولى من الصراع بين الدول الاوروبية وبين السلطنة العثمانية وذلك بانتصار السلطان سليمان القانوني (1520 – 1566) تسابقت هذه الدول الى عقد المعاهدات معه لتامين مصالحها السياسية والاقتصادية ، وتقربت اليه فرنسا ونالت منه حق الاعتراف لها بحماية البطريك الماروني ، وسائر نصارى الشرق العثماني .

وكان الموارنة بلبنان قد اعترفوا في القرن الخامس عشر بسلطة البابا ، فافضى هذا الاعتراف الى عنايته بهم عناية الراعي برعيته . فاذا بالآباء اليسوعيين يبادرون الى انشاء مدرسة في رومـا ، اواخر القرن السادس عشر ، تعني بتعليم اللغتين العربية والعبرانية واذا بالبابا غريغوريوس الثالث يأمر ، بعد ذلك ، بانشاء المدرسة المارونية (1584) ويسلم ادارتها لليسوعيين فكانت هذه المدرسة نواة نهضة لبنان الثقافية الحديثة: فعدا اولئك الذين انتشروا في باريس وفلورنسة وفينا وبادوا وغيرها من خريجيها ، وأشهرهم الحقلاني والسمعاني وعريضة ، وعدا الذين شغلوا وظائف في اوروبا كالقس مخائيل الغزيري الترجمان في بلاط كيرولوس الثالث ملك اسبانيا ، فعدا هؤلاء وهؤلاء فان فريقا منهم عادوا الى لبنان وتولوا فيه ارفع المناصب الكهنوتية ، وكان منهم المطارنة ، وكان منهم البطاركة . وكان هذا الفريق المثقف قد تنشق في اجواء اروبا روح النهضة الحديثة فبثها في اوساط ملته بالاضافة الى نشره العلم والمعرفة .

وكانت باكورة اعماله مدرسة حوقه عام 1632 ، ثم مدرسة عين ورقة (1789) وسواهما . على ان النهضة المارونية بلبنان كانت حافزة سائر الطوائف لليقظة ولا سيما الكاثوليك اتباع روما ، فانشا غريغوريوس الاول راعي الارض الكاثوليك مدرسة بزمار (1788) ، كما وضع مخائيل جروه بطريرك السريان الكاثوليك الاسس لمدرسة الشرفة ، وفتح اغابيوس مطر بطريرك الكاثوليك مدرسة عين تريز (1811) .

وفي غضون ذلك بالف الرهبنات الوطنية لـــدى الموارنة والروم الملكيين فساهمت في فتح المدارس وفي ترجمة بعض الكتب الدينية اللاتينية الى العربية ، وطبعتها على مطابع ايطاليا التي كانت قد اصدرت منذ اوائل القرن السادس عشر بعض النشرات الدينيـــة العربية والكتب العلمية وأشهرها جغرافية الادريـــسي والصالحي وقانون ابن سيناء . ولما لجا الامير فخـر الدين المعني الثاني الى توسكانا بايطاليا ، في غرة القرن السابع عشر ، شاهد هذه المطبوعات العربية هناك تباع باثمان معتدلة . على ان اللبنانيين كانوا ، قبل ذلـك ، قد حاولوا الاستغناء عن مطابع اوروبا بانشاء مثلها في وطنهم لاصدار النشرات الدينية والكتب . وكانـــت اولى المطابع مطبعة دير قزحيـا (1610) . وكانـت احرفها باللغة الكرشونية أي كتابة العربيـــة بالاحـرف السريانية ، ثم كانت أولى المطابع بالاحرف العربيـــة بلبنان تلك التي صنعها الشماس عبد الله زاخر الحلبي في دير مار يوحنا الطشيه بقرية الخنشارة وذلـك في اواسط القرن الثامن عشر .

فهذه المدارس والمطبوعات ، وكذلك الارساليات الاجنبية الدينية ، التي سنتكلم عنهـا ، كانـت نـواة النهضة الحديثة . وهي وان كانت ذات لون ديـني الا انها لم تلبث ان تطورت مع الزمن ، واصطبغت بالصبغة العلمانيــــة .

وهنا مجال للتنويه بما كان لامراء لبنان الاقطاعيين من اثر في تنشيط النهضة الحديثة . فهم كانوا يحرصون على محاكاة الملوك في تقريب المثقفين ومكافأتهم .

فكانت رعايتهم لهؤلاء في عداد الحوافز للاقبـال على العلم والادب ، وحسبنا الاشارة الى مـا كـان بين حاشية الاميرين يوسف الشهابـي وبشيـر الشهابـي الكبير من ادباء وشعراء . هـذا فضـلا عن الموظفيـن المثقفين كـسعد الخوري وجرجس باز وفارس جدعون وجدعون الباحوط وغير هؤلاء من أدباء سوريا .

ما كان للسياسة من أثر في النهضة اللبنانية .

شبت الثورة الفرنسية في اواخر القـرن الثامـن عشر فهزت اروبا ، ثم انتقلت شظاياها الى الشـرق الادنى مع نابليون بونابرت حينما احتل القطر المصري وحاول ان يحتل بلاد الشام . وكان نابليـون يرصد ان يتخذ من البلاد العربية مطية له لادراك الهند بالاتفاق مع امرائها ، ولكن انجلترا كانت له بالمرصاد فردته على اعقابه ، غير أنه لم ينسحب من مصر الا بعد أن القـى فيها بذور النهضة ، تلك البذور التي نمت وربيت في جيـــل لاحـــق .

على ان فرنسـا لم تتخل ، في اعقاب هذا الاندحار عن اهدافها التوسعية البعيدة المدى ، ولم تتخل ايضا عن فكرة الثار من لندن ، فاختارت بيروت وجبل لبنان مركزا استراتيجيا لتحقيق هذه الاماني ، وراحـت تتقرب من محمد علي عزيز مصـر ، والاميـر بشيـر الشهابي الكبير امير لبنان ، وتعمل لتوثيق الصـلات بينها وبينهما . وكانت خطوتها الثانية اغراء الخديوي بالحملة على بلاد الشام (1831) للانطـلاق منهـا الى عاصمة آل عثمان . غير ان فرنسا فشلت مرة ثانية حينما ردت تركيا ابراهيم باشـا الى مصـر (1840) وذلك بمؤازرة انجلترا وحلفائها .

وهذا الصراع بين فرنسـا وانجلتـرا بالشـرق الادنى كانت له نتائج اخرى . ذلك بان العالم الغربي لم يلبث ان راى هذا الشرق مشرع الابواب امامه بعد ان كان موصدا . ومرد ذلك يعود الى احتلال نابليـون مصر بالقوة ، وخروجه منها بالقوة ، وانما يرجـع الـى ترحيب الشرق الادنى نفسه بصداقة الغرب ، في أعقاب ما كانت تركيا تخفض جناح الذل للندن وحلفائها الذين حرروها من الغزو المصري ، وتصغـي لنصائحهم . وحيال هذه البادرة الجديدة التي عرضت وقربت بين الشرق والغرب تحفز هذا الاخير للعمل . وكان الغرب لا يزال يتحسس كثيرا بالمشاعر الملية فاذا به يجعـل مدار عمله ايفاد البعثات الدينية للتبشير . وقد وصل اول مرسل امريكـي الى لبنـان في 10 شبـاط 1821 واسمه لاوي بارسـس . ثم لمـا راى الامريكـان ان الظروف اصبحت سانحة في اعقـاب اخـراج انجلتـرا الجيش المصري من بلاد الشام ، وفي ابان النفوذ الذي اصبحت تتمتع به لندن في الاستانـة خفـوا لارسـال البعثات الى بيروت وجبل لبنان ، وقد اختـاروا اول الامر الاوساط الدرزية للتبشير ، وفتحوا مدرسـة لهم في عبيه سنة 1846 ، فكانـت طليعـة المـدارس الكثيرة التي فتحوها بعدئذ في كل مكان بالشـام وسائر الامصار العثمانية .

وقد نشرت احدى صحف الاستانة في عام 1894 خبرا مفاده : « ان عدد مدارس الامريكان في السلطنـة بلغ وقتئذ 812 واحدة تضم 43037 تلميذا عشـرون الفا منهم من الاناث . »

والارجح عندي أن الانجليز هم الذين اثاروا الامريكان في عزلتهم باسم الدين ، وشجعوهم لايفاد هذه البعثات الى الشرق الادنى في غضون الحرب الباردة التي كانت تنشب بينهم وبين الافرنسيين حول هذه البلاد ، وذلك بغية ان تكون تلك البعثات ظهيرة لهم ضد اللاتين .
وكانت تركيا توصف وتنعت بالرجل المريض حسب تعريف نقولا قيصر روسيا ، وكان المستعمرون يترقبون موتها واقتسام ارثها . وكانت فرنسا ترى ان بلاد الشام ، وفي مقدمتها لبنان ، حق طبيعي لها في هذا الارث ، فشق عليها نشاط الارساليات الاميركية التي لا تختلف في نظرها عن البعثات الانجليزية فوثبت الى العمل ، واستعانت برجال الدين ، رغم انها لم تكن تواليهم ، وعززتهم بالمال فاذا بالآباء العازاريين يفتحون مدرسة لهم في قرية عينطورا بلبنان (1843) واذا باليسوعيين يفتحون مدرسة اخرى في قرية غزير (1844) . وهكذا دواليك حتى امتلأ لبنان بمدارس الرهبان والرهبات من الاجانب .

وكانت الدول الباقية التي تراقب هذا الصراع بين لندن وباريس ، وتمني مثلهما انفسها بأن تنال نصيبا من الارث تعلم بان فتح القلوب من شأنه ان يسهل فتح المعاقل ، وان ليس أفضل لفتح القلوب من امثال هذه المدارس ، فاذا بالروس والالمان والايطاليين فضلا عن الانجليز ، يبادرون الى ايفاد مرسليهم للشرق الادنى في منتصف القرن التاسع عشر ؛ واذا بهؤلاء ينشئون المدارس في كل مكان ولا سيما بالقدس وبيروت وجبل لبنان . وسرعان ما اشتدت المنافسة بين البعثات الدينية ، ولكن اشدها هو ما كان بين الاميركان والافرنسيين . فلما نقل المرسلون الاميركيون مطبعتهم من مالطة الى بيروت سنة 1846 سارع اليسوعيون الى انشاء مطبعتهم الكاثوليكية ، ولما نقل الاميركان مدرستهم من عبيه الى بيروت ورفعوها الى كلية (الانجيلية 1896) خف اليسوعيون الى نقل مدرستهم من غزير الى بيروت وجعلوها كلية . ولما فتح الاميركان في هذه المدينة مدرسة للبنات سنة 1841 بادر الافرنسيون الى انشاء اثنتين : مدرسة راهبات القديس يوسف ، فمدرسة أخوية ابنة الاحسان (1843) . وظلت حدة هذا التنافس تتزايد حتى امتلأت البلاد بالمدارس ، وارتفع شأن الكليتين الى ان اصبحتا جامعتين ، او مدينتين عالميتين حافلتين بكل وسائل التربية والتعليم .

وكان لابد لهذه الارساليات من نشرات ومجلات تستعين بها على التبشير فظهرت نشرة مجموع فوائد (1851) ومجلة اعمال الجمعية السورية (1853) ، ومجلة مجموع العلوم (1868) ، واخبار انتشار الانجيل (1863) ، ومجلة النشرة الشهرية (1866) ، ومجلة اعمال شركة مار منصور دي بول (1868) ، فضلا عن مجلة المشرق وغيرها .

وهكذا اصبحت بيروت وجبل لبنان ميدان معركة ثقافية بين الدول حولتها في النتيجة الى مركز اشعاع بالشرق الادنى ، خصوصا وان المعركة اثارت نشاط الطوائف الوطنية المختلفة ودفعتها لفتح المدارس حفاظا على كيانها ومذاهبها ، أو حفاظا على مبادئها السياسية . .

مساهمة تركيا في نشر المعارف في بيروت وجبل لبنان :

كانت ولاية بيروت وامارة جبل لبنان حافلتين في القرن التاسع عشر ، بالعلماء والادباء . اشتهر بين المسلمين احمد البربير (توفي 1811) واحمد عمر دبوس ، وعمر اليافي (ت 1818) وابراهيم الحر العاملي ، والامير حيدر احمد الشهابي (ت 1834) والحاج حسين بيهم (ت 1809) والامير محمد ارسلان (ت 1364) ، واحمد فارس الشدياق (ت 1817) وغيرهم . واشتهر بين المسيحيين عدد من آل اليازجي وآل البستاني ، وآل النقاش وعلى رأسهم الشيخ خليل اليازجي ، والمعلم بطرس البستاني ، ومارون النقاش . هذا فضلا عن رشيد الدحداح (ت 1879) وكثيرين غيرهم . وأما بين النساء المسيحيات فعدا السيدات السبع التي كن باكورات المعلمات في المدارس وهن راحيل زوجة بطرس البستاني ، وسلامة وجنة وخزما ولولو وكفا وسوسان ، فبعد هؤلاء لمع اسم هند نوفل ، ووردة اليازجي ومريم نحاس .

غير ان الثقافة كانت على وجه عام محصورة بطبقة خاصة من الناس . واما عامة الشعب ، ولا سيما عند المسلمين فكانت تغلب عليها الامية حتى ان بعض تجار ذلك العصر كانوا يستعينون بكتاب يدورون عليهم باقلامهم ومحابرهم لقراءة الرسائل التي ترد اليهم والاجابة عليها . واما السلطنة العثمانية ، التي كانت في صدر ايامها منصرفة للفتح ، والتي أمست في اواخر عهدها منهمكة بالدفاع عن نفسها ، ومشغولة باخماد الثورات في بلادها فهي لم تعن بنشر المعارف الا في

عاصمتها ، وكانت تعلق انشاء المطابع على رخصة مسبقة منها ولكن الثورة الفرنسية وما خلفت من احداث،واهمها فتح باب المسألة الشرقية على مصراعيه فانها كانت حافزا للسلطان سليم (1789 – 1808) على التفكير بالمصير فوطد العزم على اصلاح الجيش ونشر المعارف على غرار اوروبا . ولقد كبر هذا العزم على طغمة المحافظين فثاروا الانكشارية على السلطان وخلعوه وقتلوه بتهمة الكفر ، وكان وراءهم بعض الدول المستعمرة التي ارادت دفن كل اصلاح في تركيا بدفن من يفكر فيه كيلا يؤخر الاصلاح ادراكها نصيبها من تركة الرجل المريض .

ولما استوى محمود الثاني على عرش السلطنة (1808 – 1839) ثار للسلطان سليم بالقضاء على الانكشارية ، وتبنى برنامجه الاصلاحي . وعلاوة على انشائه الجيش الحديث فقد اقام في العاصمة المدارس الابتدائية والمعهد الطبي ، واوفد البعثات الى المعاهد العلمية الاوروبية .

ثم لما امسى الباب العالي بالاستانة واطئا حبال الدونبينغ ستريت بلندن وسائر الدول التي انقذت السلطان عبد المجيد (1839 – 1861) من الغزو المصري لم يسع هذا السلطان الا الامتثال لنصائح حلفائه فنشر « التنظيمات » وغيرها من اللوائح الاصلاحية . واستهل عمله بانشاء المدارس المعروفة بالرشدية والاعدادية في بعض الولايات . ثم ما ان صار العرش للسلطان عبد العزيز (1861 – 1876) المعاصر للخديو اسماعيل بمصر . وكان كلاهما متجددا وعمرانيا حتى تبدل الجو ، واصبحت العناية بنشر العلم وتنشيط الادب هواية لهما . وكم لهما من اياد بيضاء على الادباء والعلماء بما بذلا لهم من المال والتنشيط ! وكان بطرس البستاني ، واحمد فارس الشدياق ، ومارون النقاش وسليم الخوري في طليعة الذين ادركوا رعاية هذين العاهلين . على ان السلطان عبد الحميد الثاني (1876 – 1909) ، الذي كان معروفا بالتضييق على الحريات ، لم يسعه مع ذلك الا مجاراة تيار التقدم العالمي . فاستهل حكمه بانشاء المدارس الرشدية والاعدادية والعسكرية في ولاية بيروت وغيرها .

والواقع ان هذه المدارس انما كانت تعنى باخراج الموظفين من مدنيين وعسكريين . فلم يقبل عليها الا الراغبون في هذه الوظائف ، وهم قلة في ولاية بيروت ، خلافا للبلاد العربية الاخرى . ومن هنا ظل المجال مفتوحا امام المدارس والمعاهد الاجنبية لتتولى تربية النشء الجديد على هوى كل منها حتى لم يبق في هذا البلد رأي عام ، ولم يبق فيه أثر للوحدة الوطنية .

ما كان للمنافسة الغربية من فضل في بعث النهضة العلمية الوطنية :

دولة اجنبية كانت تحكم بيروت ولبنان في القرن التاسع عشر ، ومدارس اجنبية كانت تستأثر بتربية الناشئة وتعليمها . فكانت العاقبة ان البلدين فقدا القيم الوطنية ، واختلفا عليها ، واعتمدا في تقرير المصير على ما توحيه المشاعر الدينية وروحها ، وبهذه المشاعر ادرك اولو الالباب من البلدين ما سوف تكون العاقبة اذا استمر اولادهم يتربون ويتعلمون في مدارس اجنبية لكل منها طابع مذهبي خاص ، وهدف سياسي . وفي غمرة هذا الاشفاق على المصير فكرت كل طائفة من طوائف لبنان في الاعتماد على نفسها . فاذا بنا نرى هذه الطوائف تبادر الى فتح المدارس ، وكانت كلها ما عدا المدرسة الوطنية التي انشأها بطرس البستاني (1863) مدارس ذوات صبغة مذهبية وملية : فقد انشأ الروم الارثوذكس مدرسة الثلاثة اقمار في سوق الغرب (1852) التي انتقلت من بعد الى بيروت ، والدروز المدرسة الداودية في عبيه (1862) . والكاثوليك المدرسة البطريكية (1866) ، والموارنة مدرسة الحكمة (1875) . واليهود مدرسة الاتحاد الاسرائيلي (1884) وفي هذا الاسم دلالة على ان اماتيهم المعروفة كانت قديمة وشاملة ، واما المسلمون فقد الفوا جمعية المقاصد الخيرية (1295 هـ=1878) التي تولت مهمة فتح المدارس الابتدائية للذكور والاناث . حتى اذا دخلت سنة 1895 نهض الشيخ احمد عباس وفتح المدرسة العثمانية التي تحولت بعد ستين قلائل الى كلية نشأ في احضانها رواد الحركة العربية .

وهنا مجال لان يذكر بالخير محمد عبد الله بيهم الذي كانت له ايادي بيضاء على المؤسسات العلمية والذي كان في طليعة اعيان بيروت حثا للمسلمين على التزود بالمعرفة . وقد ملأ جدران بيروت وغيرها من المدن بشعارات تدعو الى الاقبال على العلم من امثال : (تعلم يا فتى فالجهل عار) .

فهذه المدارس الوطنية كلها اخرجت شبابا كان لهم في خدمة هذا البلد ورفع اسمه نصيب كبير ، ولكن العيب فيها انها كانت تخلق نهضة طائفية لا اثر للجامعة الوطنية فيها .

اما وان خريجي هذه المدارس لم يجدوا في وطنهم الجو الملائم للاعراب عن افكارهم ، او لتامين معاشهم فقد اضطر كثيرون منهم للهجرة ؛ وكانت مصر ، في عهد الخديو اسماعيل ، اقرب البلاد اليهم ، وارحبها صدرا لاستقبالهم فامها فريق منهم ، واقاموا فيها نهضة صحافية جبارة كانت تتمثل بمجلتي المقتطف والهلال ، وبجريدتي الاهرام والمقطم ، ثم هاجر آخرون الى مصر في مستهل عهد الاحتلال الانجليزي ومنهم من تولوا اكبر الوظائف فيها وبالسودان ، ومنهم من اصبحوا هناك في عداد اقطاب التجارة . وفضلا عن هؤلاء وهؤلاء فان فئة من المثقفين انتشروا في اوربا والاميركيتين ، ورفعوا راية لبنان والعروبة عالية حيث حلوا سواء اكان في الثقافة ام في التجارة أم السياسة على أن المتخلفين من المثقفين لم يهنوا ولم يستكينوا امام الضغط التركي الحميدي ، بل راحوا يستفيدون ايضا من ثقافتهم . وعلاوة على انشائهم المدارس والمطابع فقد اصدر خليل الخوري جريدة الاخبار (1857) وبطرس البستاني نفيد سوريا (1860) وبطرس البستاني وولده سهم مجلة الجنان (1870) وجريدة الجنة ؛ ثم تدفق سيل الصحف تباعا ؛ ولا سيما عقب اعلان الدستور الثاني سنة 1908 . وما زال يتدفق حتى اصبحت بيروت بالنسبة لعدد السكان اكثر بلاد العالم صحافة .

وفي تلك الحقبة التمعت في بيروت اسماء كثيرين من الادباء نساء ورجالا نذكر منهم ، بالاضافة الى اصحاب الصحف ، ابراهيم الحوراني والامير شكيب ارسلان ومصباح رمضان ، وابراهيم اليازجي ، وفضل القصار وحسن بيهم ، وزينب فواز ، وهنا كوراني ، واستير مويال .

ما كان لوضع لبنان الاقتصادي من أثر في النهضة الثقافية .

لما تفاقمت المزاحمة بين الدول الصناعية على تصريف مصنوعاتها اتخذ كل منها في سواحل الشرق الادنى مراكز تجارية لتكون نقطة الانطلاق لنشر هذه السلع في الشرقين الادنى والاوسط . وكان اهمها موانىء ازمير والاسكندرية وبيروت .

وكانت بيروت في العهد العثماني صلة الوصل بين الغرب من جهة وبين سوريا الكبرى والاناضول والعراق وايران من جهة ثانية ، فازدهرت وتزايد عدد سكانها ، ولا سيما بعد ثورة لبنان المعروفة بثورة 1860 وقامت فيها الشركات ذوات الامتياز كشركات الماء والغاز والخطوط الحديدية D. H. P. والترامواي والبنك العثماني ، وحصر الدخان . وناهيك بالشركات الاخرى والمؤسسات من اجنبية ووطنية .

وهذا الازدهار المطرد في الناحية الاقتصادية رافقه بصورة طبيعية اقبال الشباب على المدارس والمعاهد العلمية بغية الاستعداد للاستخدام في هذه الشركات والمؤسسات ، فضلا عن الوظائف الحكومية التي كانت تتعدد ، وتتزايد تبعا لتوسع الجهاز الحكومي والى هذا سنحت وتسنح فرصة اخرى ملائمة وتنشد للمثقفين اللبنانيين وذلك في البلاد العربية التي تطورت ولم يكن عندها من ابنائها ما يملأ الفراغ ابان هذا التطور .

كذلك لما شرع تجار بيروت يبنون اقتصادياتهم على اسس جديدة متوكلين على انفسهم دون الاجانب ازدادت الحاجة الى الشباب المثقف . ثم برزت حاجة ماسة الى الاخصائيين والفنيين عندما اقبل اولئك التجار على انشاء المصانع ؛ وعند ما اقبلت الحكومة على تعمير المرافق . وتجاوبا مع هذه الحاجات المختلفة خف كثيرون من متخرجي المعاهد العلمية في

بيروت الى اروبا فاميركا الالتحاق بجامعاتها الكبرى من اجل التخصص ، او من اجل استكمال دروسهم العاليـــة .

وقد رافق كل ذلك عامل آخر كان له اثر بالغ في النهضة والتجدد ، واعني به الاختلاط الشديد بين اللبنانيين عامة ، والبيروتيين خاصة ، وبين اصحاب التمدن الحديث . فكما حفلت بيروت بالعلماء والادباء الذين جاءوا اليها للتعليم ولادارة المعاهد العلميـة الاجنبية ، فضلا عن الارساليات فقد امتلأت ايضا برجال الاعمال الاقتصادية الاجانب وفي عدادهم اصحاب المهن والفنون .

ومن جهة ثانية فان تجار بيروت ، واصحاب المصانع وطلاب المدارس العلمية وغيرهم كانوا يؤمون بلاد الغرب دون انقطاع فيتأثرون بها سواء ارادوا او لم يريدوا ، ذلك لان في جو كل جماعة من الناس ذرات من ارواحهم تتهادى فوقه فتجعل ذلك الجو متفقا مع مستواهم الاجتماعي . وما اشد ما يتأثر المقيم بين طبقات الناس من روحهم واخلاقهم صالحة كانت أم فاســـــــدة .

فهذا الاختلاط الدائم بين الغرب واللبنانيين كان من حسناته تسرب روح النهضة الحديثة اليهم ، ومدارها الاعتماد على النفس والتوثب للعمل المجدي فكان ذلك مما ادى الى ارتفاع المستوى الاجتماعي في لبنـــــان .

هذه العوامل منفردة ومتحدة هي مصدر النهضة الفكرية والاجتماعية بلبنان ، ثم ما ان ازدادت في عهد الاستقلال بالسياسة الحرة الحكيمة حتى نعم هذا البلد الصغير باسم كبير وحتى اصبحت صحف العالم تتحدث عنه،واذا تحدثت فلا تقتصر على وصف محاسنه الطبيعية فقط وانما تتناول عمرانه وازدهاره ونشاط اهله وثقافتهم . ولا شك ان ذلك يسر سائر البلاد الشقيقة لان لبنان بلد عربي ، واذا اثنى عليه احد فانما يعود الثناء الى العالم العربي قاطبة .

بيروت : محمد جميل بيهم



السياسة الدولية بين سنتي ١٩٠١ و ١٩٠٧

ترجمة الأستاذ عبد الحميد بنيس

- 2 -

الا ان هذه الهيمنة التي صارت لاوروبا في الحياة العامة للعالم قد اصابها الان ما اصابها من تهديد ناتج عن التطور الطارىء في التوسع الاستعماري لكل من الولايات المتحدة والدولة الناشئة : اليابان .

ففي امريكا الوسطى تطور توسع الولايات المتحدة في هذه الفترة على نسق سريع . اذ كانت حكومة واشنطن تشجع على حساب كولومبيا انفصال سكان الباناما ، وما لبثت ان ابرمت مع هذه في 18 نونبر 1903، معاهدة اصبحت الولايات المتحدة بموجبها تتمتع بامتياز شق قناة تصل بين المحيطين (1) ، في شريط بري عبر المضيق . ((ولتغطية)) الاماكن المجاورة للقناة استولت بواسطة ديبلوماسية الدولار على جزء من جزيرة هايتي وجمهورية الدومنيك حيث بسطت عليهما شبه حماية ، وفي سنة 1906 قامت بتدخل عسكري في كوبا وكان من نتائجه ان جعل هذه الجزيرة داخلة في ((الجهاز السياسي)) للولايات المتحدة . اذن فالطريق الواصلة بين المحيطين وما جاورها اصبح في قبضة الاتحاد الامريكي . الا ان السياسة الامريكية لم تقف عند هذا الحد : اذ في هذا الوقت صرح الرئيس تيودور روزفيلت ان للولايات المتحدة دون سواها الحق في ممارسة ((سلطة الشرطة الدولية)) على الدول الامريكية .

واخيرا فبواسطة المؤتمرات التي كانت تعقدها الدول الامريكية فيما بينها لدراسة القضايا الاقتصادية والمالية كانت ترتسم في الافق معالم سياسة كانت ترمي الى تعويد جميع حكومات القارة على دراسة شؤونها المشتركة تحت رعاية حكومة واشنطن .

وامام هذا التطور الحاصل في التوسع الاستعماري الامريكي لم تستطع بريطانيا العظمى التي تخلت منذ سنة 1901 على مواقفها في امريكا الوسطى ، ولا فرنسا التي لم يعد لها منذ زمن طويل اي عمل سياسي فعال في القارة الامريكية ، لم تستطع هذه ولا تلك ان تحرك ادنى ساكن .

اما المانيا ، فلانها ارادت ان تظهر قوتها في سائر انحاء العالم ، حاولت ان تقوم برد فعل : ماذا فعلت ؟ استغلت فرصة وقوع حادث بين حكومة فينزويلا وبين اصحاب الدين الاوروبيين ثم قررت بالاتفاق مع بريطانيا العظمى ضرب حصار على الشواطىء الفينزويلية ، لكن في الوقت الذي ظلت فيه بريطانيا العظمى ملتزمة جانب الحذر قامت باخرة حربية المانية واطلقت النار سنة 1903 على حصن منيع . وقد تبين للرئيس تيودور روزفيلت ان المانيا تنوي احتلال الضفة الجنوبية لبحر الانتيل ، فما كان منه الا ان اعطى الامر للقوات البحرية بان تكون على اهبة الاستعداد ، لحماية فينزويلا من نزول الماني محتمل الوقوع . ولم تثبت المانيا في موقفها اذ انها قبلت بتحكيم في الموضوع . وقد ابى روزفيلت في حديث له مع السفير الالماني الا ان يبرز اهمية هذا الحادث فقال : « ان من الممكن جدا ان تتواجه السفن الحربية الالمانية مع اسطول الامبرال ديوي Dewey

---

1) المحيط الاطلسي والمحيط الهادي (المترجم)

ويكون هو خصمها ، ومن الممكن كذلك ان يصوب رجال ديوي مدافعهم نحو السفن الحربية الالمانية)) . اذن فقد احبطت الولايات المتحدة مشاريع المانيا وقبلها بريطانيا العظمى، واظهرت بكل ما اوتيت من قوة ارادتها في معارضة كل عمل جماعي قد تقوم به دول اوروبية في المنطقة التي تغطي الاماكن المجاورة للقناة الواصلة بين المحيطين .

وفي آسيا الشرقية اي في منشوريا وكوريا نجد ان روسيا اصطدمت بمقاومة اليابان . فاثناء حرب البوكسير (1) استطاعت روسيا سنة 1900 ان تحصل على ضمانات وان توطد دعائم هيمنتها بحيث استمرت في انشاء السكك الحديدية واقامت قاعدة بحرية في بور ارثر . ثم ان جيوشها التي ساهمت بها في الحملة العسكرية الدولية احتلت ((موقتا)) المقاطعات الثلاث المنشورية . وحاولت حكومة القيصر عبثا ان تحصل من الحكومة الصينية على اتفاق يسبغ على الاحتلال صفة الدوام .

وبعد ان اخفقت روسيا في مسعاها ، أبرمت مع الصين ، ابريل 1902 ، ما يسميه الكونت ويت Witte بمعاهدة الجلاء التدريجي. ويرجع هذا التراجع بالاخص الى نشاط رجل اعمال اسمه بيزوبرازوف Bezobrazof كان هذا يملك في الارض الكورية امتياز استغلال الغابة في رقعة شاسعة الاطراف تقع على الضفة اليسرى من نهر يالو Yalou ولما كلفه العاهل الروسي نفسه بمهمة القيام بدراسات في الشرق الاقصى ، قام بربط صلات مع قائد القوات الروسية في بور ارثر ، الاميرال الكسايف Alexeïef ، ثم عمل بعد اشهر من الصراع المكشوف على احباط سياسة ويت . Witte

وقد خشيت اليابان من ان تصبح هيمنتها في كوريا مهددة من جراء هذا التوسع الروسي ، وفكرت بكل جد في امكانية التوسع بمنشوريا الجنوبية حيث الاراضي القابلة للزراعة ، الصالحة لايواء مهاجريها ، وحيث المواد الغذائية الكفيلة بتغطية العجز الحاصل في انتاجها الاهلي ، وحيث الحديد والفحم اللازمان لصناعتها ، ولكي ترغم روسيا على تقسيم منشوريا على الجلاء من « رأس الجسر » الكوري ، لم تترد في القيام بالحرب . وكانت ورقتها الرابحة هي ذلك التفوق الذي سيمتاز به الجيش الياباني في مسرح العمليات اذ سيكون قريبا جدا في قواعده ، في حين ان الجيوش الروسية ، اذا ارادت ان تنقل قواتها وعتادها، سوف لا تجد سوى الخط الحديدي العابر لسيبيريا ، وطول هذه الخط 7000 كم ، الا انه مفصول ببحيرة بايكال Baïkal . بيد ان هذا التفوق البري سوف لا يكون ذا فائدة الا اذا كان معززا بالسيطرة البحرية على مضيق كوريا. فهل هذه السيطرة متوفرة ؟ وبالاحرى هل سيكون في استطاعة الاسطول الياباني ان يحافظ عليها اذا ما دخل الحلف الفرنسي الروسي في حيز التطبيق ؟ (1) وتلافيا لهذا الاحتمال طلبت الحكومة اليابانية ان تتحالف مع بريطانيا العظمى وهذا ما حصلت عليه في يناير 1902 : ان الحكومة الانكليزية لم تعط وعدها بتقديم العون المسلح في حالة محاربة روسيا وحدها بل تعهدت امام الملا بالتدخل اذا اتت ((دولة اخرى)) وتعني بذلك فرنسا ، وساندت روسيا .

وبعد ثمانية اشهر من المفاوضات العقيمة مع روسيا بدات اليابان في 8 فبراير 1904 اعمالها العدائية بضربة مفاجئة ـ هجمت على الاسطول الروسي في ميناء بور ارثر كان من شأنها ان امنت لها السيطرة على البحر لعدة اشهر .

وبالنسبة للعمليات العسكرية في البر المنشوري حصل الجيش الياباني على نتائج ايجابية في الحين ، لان هذا الجيش كان متفوقا من الناحية العددية طيلة الاشهر الستة الاولى من القتال . ولم تتعادل قوات الطرفين الا في اكتوبر 1904 . ومع ذلك فقد نجح اليابانيون بعد ان حطموا هجوما روسيا مضادا في ابعاد الخصم من المواقع التي كان يحتلها وكانت معركة موكدن Moukden هي الحاسمة (دامت من 23 فبراير الى 11 مارس 1905).

---

1) اسم شهير لجمعية سرية صينية تأسست سنة 1899 تحت شعار ((معاداة كل من هو اجنبي)) ولما استفحل امرها اخذت الحكومة المركزية الصينية تتعاون معها لصد كل محاولة احتلال اجنبي . ولئن اصبح الاجانب في سنة 1900 سادة الموقف بواسطة ارسال حملة عسكرية دولية الا ان ظهور جمعيات من هذا القبيل كان له اثره في عدول الدول العظمى عن فتح الصين . (المترجم)

1) أي هل تستطيع البوارج اليابانية ان تقف في وجه البواخر الحربية الفرنسية ان وفت فرنسا بتعهداتها ازاء روسيا ؟ (المترجم)

وعبثا حاولت القيادة الروسية رأب ما تصدع : اما البارجة التي اتت من اوروبا بعد ان قطعت مسافة طويلة ومملة ، وكلفت بقطع خطوط المواصلات الحربية للجيش الياباني فانها سحقت من قبل الاسطول الياباني في 27 مايو 1905 داخل مضيق كوريا بمكان يدعى تسوشيما .

لا شك ان منشوريا ظلت بعيدة من الغزو الكلي وان الجيش الروسي ظل يمدد مقاومته ، الا ان حكومة القيصر كان مشتبكة في هذه الاونة مع الحركة الثورية التي نشبت في روسيا ، مما جعل الحكومة تنشد السلام في الشرق الاقصى .

وكان عرض الوساطة الذي تقدم به رئيس الولايات المتحدة وقد اوجس خيفةمن الانتصارات اليابانية واراد ان يضع حدا لها ، كان هذا العرض في صالح روسيا . وقد اذعنت الحكومة اليابانية وقبلت الدخول في المفاوضات لانها كانت على بصيرة من الصعوبات الاقتصادية والمالية التي قد تترتب عن الاستمرار في القتال ، واكتفت بجني ثمار جزئية . وهكذا خولت معاهدة بورتسموث Portsmouth (29 غشت 1905) لليابان ميناء بور آرثر مع السكة الحديدية الواقعة في الجنوب المنشوري . يضاف الى ذلك الجزء الجنوبي من جزيرة ساخالين Sakhaline ، ثم سمحت لها هذه المعاهدة بسط حمايتها على كوريا . وهكذا تحمل التوسع الروسي ((ضربة توقف)) حاسمة .

انه اول نصر يحققه الصفر على البيض منذ التوسع الاوروبي . وهو الانتصار الذي ساعد اليابان على التمركز في القارة الاسيوية ، وهو الذي غير معطيات السياسة الدولية في الشرق الاقصى ، وهو الذي شجع قيام الحركة الوطنية سنة 1905 بالهند ضد السيطرة الانكليزية وفي الهند الصينية سنة 1908 ضد الاستعمار الفرنسي . واخيرا فان الفوضى اصبحت تسود الجيش الروسي اذ اضحى مدة من الزمان غير قادر على ان يلعب دورا بارزا في نزاع اوروبي .

تلكم كانت النتائج المباشرة ، اما النتائج البعيدة فهي التي عبر عنها بول كامبون Paul Cambon بقوله : « لم يكن اليابانيون يشكون مطلقا في انهم سيحصلون على رقعة في الارض الكورية ، انما كانوا يتأرجحون بين السير وراء روسيا وامريكا ، وبعد خمسين سنة سيصبحون موضع رهان في الصراع العظيم الذي سيدور بين الروسيين والامريكيين في الشرق الاقصى . الا ان كل ذلك انما هو من اجل المستقبل)) .

والمهم ان عدة خلافات كان لبعضها شان عظيم ، لم تؤد في نهاية المطاف الى نشوب نزاع مسلح بين الدول الاوروبية ، اليس في هذا دليل على ان الحكومات والشعوب المعنية بالامر كانت تتردد في السعي وراء شرور ((استعمال القوة)) ؟

ثانيا : الاتفاقات الجديدة بين الدول الاوروبية .

في الوقت الذي تطورت فيه هذه الخلافات اي في الفترة المتراوحة من 1901 الى 1907 ، في هذا الوقت تميزت التعهدات الدبلوماسية والعسكرية التي ابرمتها الدول الاوروبية فيما بينها بطابع جديد . فايطاليا عندما امضت مع فرنسا اتفاقا سياسيا سريا في العاشر من يوليوز 1902 ، كانت قد تعهدت بان تلتزم جانب الحياد في حالة حدوث حرب فرنسية المانية ، بل وحتى اذا اتخذت فرنسا ((على اثر استفزاز مباشر)) مبادرة اعلان الحرب ، الا ان الحكومة الايطالية هي التي ستظل محتفظة بتأويل ((حالة الاستفزاز المباشر)) . ثم ان الاتفاقات الانكليزية الفرنسية التي ابرمت في الاساس من اجل ((تبادل مصر بالمغرب الاقصى)) (8 ابريل1904) قد ذللت جميع الخلافات الاستعمارية بين البلدين ؛ فقد نصت على ان بريطانيا العظمى ستقدم سندها الى فرنسا في القضية المغربية ولكن بواسطة العمل الدبلوماسي لا غير . واخير فان روسيا في غشت 1907 وفي نفس الوقت الذي عقدت فيه مع بريطانيا العظمى الاتفاق الخاص بفارس ، قامت وسوت الخلافات المتعلقة بافغانستان والتيبت . وبينما تضعضع الحلف الثلاثي (1) تقوى جانب الحلف الفرنسي – الروسي الذي تعرض لاهتزازة بسبب الازمة الثورية الروسية التي حدثت سنة 1905 وكذا من جراء الهزيمة في منشوريا ، قلت : تقوى جانب الحلف الفرنسي – الروسي ((بالاتفاق الودي)) الفرنسي – الانكليزي ، ثم بالتقارب الانكليزي – الروسي .

تلكم هي الخطوط العريضة لهذه اللوحة المعروفة . والاهم هو دراسة الدوافع التي حملت الحكومات على اتخاذ القرارات .

ترجمة عبد الحق بنيس

... (يتبع)

(1) يضم المانيا والنمسا – هونغاريا وايطاليا . (المترجم)



أرض البطولة

للشاعر: ادريس الجاي

ارض البطولة ، جل الامر والشان   كذا يذود عن الاوطان شجعان
يا ثورة شنها الاحرار عارمة   فقوضت ما بنى ظلم وعدوان
ما جلجل الرعد يوما مثلما قصفت   بنادق الحق ، والنيران نيران
والياس ليل يهيم الافق محتدم   بالشر ، اذ انتمو فى الليل شهبان
القمتوا الدهر فى بهتانه حجرا   اذ قال ذي ارضهم دوما ، فما كانوا
بل جاش فى الصدر ايمان فاججه   لهيبه ، فهو يوم البعث بركان

*

ارض الجزائر ، ابناء الجزائر ، ما   من بينهم من رضوا ذلا ، ولا هانوا
ولا استكانوا لجبار ، بل انطلقوا   كما يزمجر من (أوراس) طوفان
يسير دونهموا كل الذي ملكوا :   مال ، واهل وارواح ، وابدان
فما اقاد العدى ارباع ساعاتهم   ولا سنين ، ولا بطش وطغيان
ولا ضراوة سفاحين ما خجلوا   مما اتوه ودمع الوحش هتان
ما بزهم فى المخازي حينما همجوا   (جنكيز خان) و (كيستابو) و (قمصان)
كانما انتقموا من بعد ما خذلوا   منا ، وليث الفدا للكبش قربان
لكم حميناهمو لما تخطفهم   مثل العصافير فى الهيجاء عقبان
لكنهم ذبحونا حينما انتصروا   بفضلنا ، والجبان الوغد خوان
كانت اهلتنا تحمي قلولهمو   لما غزاهم من الجرمان صلبان
لا ضير ان قال محصي الخالدين : هنا ،   مليون قبر ، وما فى الدار عبدان

*

المجد : للشهداء الطاهرين بهم   نعتز ، ان فاخر الاوطان او طان
وبابن بلة ، والاحرار اخوته   وفوا بعهدهمو لله ما خانوا

صانوا الامانة، ما استخذوا، ولاهنوا   نعم الوفاء ، ونعم الناس من صانوا :
قد اطردوا دخلاء الشؤم فانتصروا   كذاك من دابه صبر وايمان
فالضاد : ضاد ، بحمد الله   والعلم المجيد يخفق، والقرءان قرءان
تيهوا على هذه الدنيا وما وسعت ؛   بمثلكم غرة التاريخ تزدان

*

الله اكبر لا تحصى له نعم ...   ولا يحد له فى الفضل احسان
جئنا الى الوطن الثاني مع الحـ   ـسن الثاني، نزوركمو، والروح جذلان
والقلب مبتهج ، والصدر منشرح   والشمل مجتمع ، والله منان
لم تختطفنا شياطين الفضاء، ولا ..   اعتدى علينا من الاعداء قرصان
بل ساقنا الشوق ، والانسام حاملة   جناح طائرنا ، واليمن ربان
وعاهل المغرب الاقصى ، وقادة (اورا   س) الاشاوس ، احباب واخوان
قد عاهدوا الله ان يبنوا (لمغربنا الكـ   ـبير) صرحا له الامجاد اركان
والشعب من حوله حر يساندده   والعدل للكل : قسطاس وميزان
تبارك الله : هذا موقف جلل   حمدا له انه بالعرب رحمان
وما علينا ، اذا مات العدى كمدا   (من سره زمن ، ساءته أزمان)

*

بني الجزائر : آخانا الجهاد ، وذا   يوم البناء ، فجل الامر والشان
لينصر البعض منا البعض متحدا   ومن تعاضد لا يعروه خذلان
هيا لنجمع شملا طالما عصفت   به النوائب ، والاهوال الوان
هيا لنشحذ عزم الخائرين فما   بغير عزم وحزم قام بنيان
كانت حدود من الطغيان عاتية   اقامها فى بلاد العرب سجان
واليوم قد حرر العربان ساحتهم   فالكل (مراكش) والكل (سودان)
من الخليج الى اليم المحيط هنا   شعب عظيم أمازيغ وعربان
آباؤنا عقبة الفرسان عززه   اعقابه ، نعم من صالوا ومن صانوا
مضوا ، اقول ، وما ماتوا ، ولا اندثروا   لا تنخر الشرف المقبور ديدان

*

الدين وحدنا ، والدم خلدنا   ياليت لو شهد الافراح (حسان)
لئن فرحنا ، فما فى الامر من عجب   لكم بكينا ولص الدار فرحان
فليسلم الدهر ما دامت (جزائرنا)   فى عزة ، ولها الامجاد تيجان

الرباط : ادريس الجائي

رحلة في الفضاء

للشاعر: عبد المالك البلغيتي

يا اخي رحلة لهذا الفضاء　　هي امنيتي واقصى رجائي
ومرادي الطواف من حول ارض　　لا اختراق المجرة البيضاء
فيه اطفاء غلتي وشفائي　　ومتاع ، وعبرة الرائي
في الكتاب العزيز كم آية تدعو　　لعرفان ما يرى في السماء
ليكون الايمان اقوى برب　　خالق الكون ، مبدع الاشياء

*

مذ درست النجوم، والنفس تشتاق لسر ، لم يبد في الغبراء
اتمنى تفهما واتصالا　　بالخفايا لكل تلك المرائي
عن طريق الحياة بالذات ، لا عن　　مهيع الموت ، وهو محض فناء
ان شوقي ، والله ، شوق عليم　　لشهود الموجود في الاجواء
شوق من ينظر الحياة بمنظار منير حدوس ما في الخفاء

*

يا اخي ، هل يحق لي اتمنى　　والاماني مطية العظماء
اتمنى : لو يشا الله في عمري ، فامشي في موكب العلماء
امخر الجو املا العين والفكر غريق ، فيما ارى من بهاء
تارة انظر العوالم بحرا　　من ظلام ، ومرة من ضياء
وقطيع الالوان يزجيه نور　　يتبدى في فتنة وصفاء
لا شعاع يعشى العيون ، ولا حر ، ولا زمهرير صعب اللقاء

*

كيف بي، ان مشيت في مركب العلم ، كعضو بمجمع الادباء
وانا فوق مركبي ارمق الارض ، فتبدو كنقطة دكناء
عجبا للبحار كفت عن الهرق ، كما كفكفت عن الاهواء

تارة فوقها اراني ، واخـــرى   تحتها ، والضياء غير الضيـــاء
حيث لاتحت ـ في الحقيقة ـ يلفى   لا ، ولا فوق ، في سواء الســواء
وعساني ارى الطبيعـــة في زي   منـــاف لهـــذه الازيــــاء
واذا طفت حولها وهي فوقـــي   دائمــا في ابتدائنـا وانتهــاء
فهو من اعجب العجائب للمنـــ   ـهوم مثلي ، في رحلة الاجـــواء
وهنا تبتـــدي تعاليـــل علـم   تقتضـــي جاذبيـــة للهـــواء
واعتقادي : ان لا يحيطون بالعلـ   ـم ، سوى ما يشاء من اشيـاء

*

يا اخي ما اريد ان اتحـــدى   لا اريد الوصول للجـــوزاء
ان مرمى مداه جـد سحيـــق   ذو اثيـر ممـزق الاشـــلاء
وسحيق السحيق، قالوا ـ قديما   : انـه اطلس ومكفـوف مـــاء
والتي زينت بزينـــة اقمـــا   ر ، يقول الاله : دنيـــا السمـاء
كل من يعبر الفضاء ولو اســـ   ـر ـ كالشمس ـ دائما في ابتداء
كم يود البلوغ عنـــد انتهـــاء   وانتهاء المسير نفس الفضـــاء
ما بدا من ظواهر الجو للعلـوم ،   كلا شيء في امتداد الخفـــاء
ليس للعلم ان يجـــادل في علـــ   ـم عليم ، وخالـــق العلمـــاء

*

آه ، لو تسعف المقادير يـــوما   فازور الفضـــاء في الاحيــــاء
واروي غليل شوقي، واشفي النفـ   ـس ، اني بذا لفـــي برحـــاء
واذا ذبت في الفضـــاء فخيـــر   لي من موتتي علـى الغبـــراء
انهـــا لـذة التشـــوف للعلـــ   ـــم ، بها للارواح خير شفـــاء
كـــل هذا ، يريـــد الله ايما   نا ، ويوحي بالشعر للشعـــراء

*

رب : هل للسماء حد محيـــط   كحدود الاطـراف والانـــاء
قد عرفنا بان للشيء حـــدا   وانتهاء ، فاين حد الفضـــاء ؟
قد عرفنا بانك الواحـد القهـــ   ـــار ، ذو الحول والبقا اللانهائي
اتمنى الطواف من حـــول ارض   ورجائي ، ان لا يضيع رجائـــي

عبد المالك البلغيثي



الى روح المناضل الافريقي الكبير (باتريس لومومبا) والى كل المناضلين من اجل غد افضل ...

كاتما شهقة تشق حنايا صدره ؛ ضمت قبضتاه جراحه
وهوى يحضن التراب وفى العين جلال وبالشفاه سماحه
غام فى عينيه الغد الرحب واسودت رؤاه فما استبان صباحه
وتلوى لعل بعض تلويه به من حرارة النزع راحه
ثائر ضجت فى حناياه طلقات اياد اثيمة سفاحة
اخمدت شعلة الكفاح ودفقات العلا ملء نفسه الطماحة
بطل انجبته ارض الجباه السمر غذت اباءه وجماحه
عرف البؤس فى صباه فلم يرض لصبيان شعبه اتراحه
هاله ان غدوا بآفاقه اطياف جنس الانسان او اشباحه
وراى الشعب فى المجاهل يسعى ؛ فغدا فى افاقها ملاحه
وراى دولة الجهالة قد قامت بأفق النهى فرام صلاحه
وراى امة من البشر اقتيد الى ظلمة فرام سراحه
امة تعصر الكروم لجلاد بنيها فاترعت اقداحه
ورمت بالغلال فى جوفه النتن فما ارتاح جوفه او اراحه

*

لقد افضل وفجر جديد قد قضى عمره وامضى سلاحه
فقضى فى ريعان ايامه والنفس تشوى قريرة مرتاحة

غيـر محتـاج ان يضمـه قبـر كـل هـذا التراب للشلو ساحـه
قد كفاه ان البراعم قبـل الفجـر عبـت دمـاءه وجراحـه
وكفاه ان البذور الجبالي قد تغذت مـن قبلـه فى سماحـه
منتهـى البـذل ان نعيـش طريـقا للـورى او منـارة وضاحـة

*

ليس (لومومبا) ءاخر الموكب الدامي وبالافق الليل مد جناحـه
لا ولا اول الالى قد قضوا رواد فجر ومـا استبانـوا وشاحـه
قتلـوا قبلـه النبيئيـن .. قـد كانـوا ينابيـع رحمة وسماحـة
والالى قدسوا التـراب فما باعـوه يومـا لغاصـب فاستباحـه
ملئـت دنيانـا دمـاء والامـا فكـل الرحـاب للقتـل ساحـه
مـا علـى الارض تربة لم يخضبـها شهيـد أسـال فيها جراحـه
فاحضـن الترب قبلنـه فكـم ثـاو بـه مات لم يعانق صباحـه
وشهيـد لـولا اباؤه لـولا انه القـم الطغاة كفاحـه
كنـت انت القتيـل او انت من سخـر باغ غدوه ورواحـه

*

ءاه مـن عالـم دمـاء النبيئيـن به والاحرار دوما مباحـه
تقتـل الانـس البريئـة فيـه ولجلاديـها العـلا والصباحـه
زمـرة مـن بنيه طـاب لها العيـش فعبـت من الشراب قراحـه
والوف العـراة ارقهـا البـؤس وارخـى علـى رؤاها جناحـه
كم توارى الهـم الثقيـل وتخفيـه ولكـن عيونـها فضاحـه
الـف مأساة بعضـها لو بكينـاه اقمـنا مدى الزمان مناحـه
بشـر احمـق ودنيـا تجاريـه فتطغـى اهواءه ورياحه
قام يغزو الفضاء والغزو اجدى لو اسـا قبـل داءه وجراحـه
غيـر مجـد سلامـه وعهـود يدعيها وان يزيل سلاحـه
قـد تزيـل القـرون عـن كـل نطاح ولكـن تـراه ينـمى نطاحـه

القاهرة ـ محمد الخمار

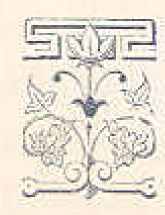


للشاعر: ابن دفعة محمد

قصيدي .. مـا قصيدي سوى دموع
غشت عيني في لـون .. النجيـع
قصيدي .. ما قصيدي غير تيـه
ضللت به ، على ظمـا وجـوع
قصيدي .. ما قصيدي غير بلـوى
اذوب بهما ذوب الشمـوع
قصيدي .. ما قصيـدي غيـر شكـوى
يحدث في اسى عن اسى فظيع
قصيـدي .. قصة عن كـل حـر ..
يسام الـذل من عبـد وضيـع
قصيدي انـة الصدر المعنـى
قصيدي خفقة القلب الصديـع
قصيدي .. آهـة تشكو ليـال
سهرت بها وظالمي في هجـوع
قصيدي ، ان نظمته ، لي شقـاء
ويشقيني ان كتمته في ضلوعـي
قصيدي دمع محروم وحيـد ..
تـرى عينـاه افـراح الجمـوع ..
يضيـع شبابـه في حفظ عهـد ..
ويخلـص في هـوى الف مضيـع
ويصبر في الجفا .. والقلب منـه

من الاوجاع ، في حال النزوع
قصيدي دمـع مظلوم يعانـي
من الناس كل ايـلام شنيـع
ابوح بكربتـي ، وشكـاة نفسـي
وظلم أحبتي ، في اسـى مريـع
فاعذل في شكاتي من حيـاة ..
تحاصرنـي لحصـن جرى منيع
وكيف يطيب لـي عيش ؟ وعمـن
يفطر فلذتـي بجفـا فظيـع
انا البستانـي .. الاشواك حظـي
اذا غيـري جنى زهر الربيـع
ابث قصائدي اشجـان نفسـي
وارسلها انينـا مـن صريـع
فيطرب غيـري ، ان يسمعها ، لا مـن
بديـع السحر او سحـر البديـع
ولكن من همومـي ، وذوب قلبـي ،
وكربـة مهجتـي ، واسـى دموعـي
قصيدي ، ما قصيدي سوى نـواح
يعيش مع الدجى ومع السطـوع

القنيطـرة ـ ابن دفعة محمـد



معرض الكتب

مع الأستاذ المختار السوسي في رحلاته
من خلال جزولة

للأستاذ: عبد القادر زمامة

كانت طبيعة البلاد المغربية في التاريخ هي العامل الثاني في تكوين الاتجاهات السياسية والثقافية والاجتماعية عبر القرون الغابرة في هذه البلاد ...

فهذا التنوع في البيئة الجغرافية . من جبال متفاوتة في الارتفاع . متوازية في الاتجاه . من الغرب الى الشرق ومن الشمال الى الجنوب . وهذه السهول والنجود والهضاب المتداخلة ، والصحاري الشاسعة الاطراف ، والانهار المنحدرة من قمم الجبال وسفوحها في سائر الاتجاهات ... هي في الحقيقة التفسير العملي لاحداث التاريخ المغربي قبل ان يرتبط بتاريخ الاسلام وبعد ارتباطه ...

لهذا كان تاريخ المغرب مفتقرا اشد الافتقار الى جمع عدة معلومات عن الاقاليم المغربية في الشمال والجنوب وتنسيقها حسب اهميتها ليتاتى للمؤرخ ان يدرسها ثم يفسر الاحداث على ضوئها ...

فكل اقليم في المغرب لا فرق بين قمم الجبال . وسواحل البحار ، ومجاهل الصحراء ، والمدن الكبرى والصغرى . شاهد في التاريخ المغربي القريب والبعيد ميلاد عدة احداث وقضايا سياسية ودينية واجتماعية .. علمنا منها شيئا وغابت عنا عدة اشياء ؛ بسبب اهمال المؤرخين واستهانتهم بها ، مع انها في الغالب لا تخلو من فوائد ، ان لم تفد المؤرخ السياسي افادت المؤرخ الادبي او الاجتماعي ..

ولا نحتاج الى شرح هذه الحقيقة باكثر من هذا وانما نريد ان نضيء بها الطريق للحديث عن كتاب جديد سار مؤلفه في هذا الاتجاه وآمن اصدق الايمان بهذه الحقيقة فكتب هذا الكتاب القيم المفيد ...

والكتاب يحمل عنوان « من خلال جزولة » جمع فيه المؤلف مشاهداته في رحلاته الاربع التي قام بها لاقليم سوس : جباله وقراه ومدنه ومعالمه التاريخية ومدارسه العلمية .. وقد قسم كتابه الى اربعة أجزاء جعل كل واحد منها خاصا برحلة لناحية في ظرف خاص

وقد سلك المؤلف في اسلوب الكتاب مسلكه المعهود في جمع المعلومات كما هي . وكيفما اتفق . فنجده في الجزء الاول يستعمل اسلوب اليوميات . طيلة رحلته الاولى . ففي كل يوم يدون ما قام به من زيارات وما شاهده وما سمعه وما لفت نظره في اقتضاب حينا . وتطويل احيانا . وفي الاجزاء الاخرى يستعمل اسلوب الحديث عن المدن والقرى والنواحي والشخصيات فحدثنا عن اكادير وتارودانت واليغ وايجلي وتامدولت وغيرها .

وكان المؤلف ـ حفظه الله ـ انتقم للاهمال الذي كان يسيطر على رجال العلم والادب فدون كل ما وجده من اسماء المخطوطات والمكاتب واعلام القضاة والفقهاء والشعراء والقواد ورجال الحرب والسياسة . يربط ذلك كله بما طرا على البلاد من احداث تاريخية وسياسية .. في القديم والحديث .

والمؤلف مسجل ومحاضر وشاعر ومؤرخ ينتقل بقرائه من شعر قديم الى شعر حديث ومن شعر الفقهاء ونظم القضاة الى شعر الادباء ونكتهم وطرفهم ... ومن الفوائد الفقهية الى الشوارد اللغوية .. ومن المعالم التاريخية الى نوادر المخطوطات في سائر الموضوعات ..

وهذا الاسلوب يمثل طريقة خاصة ، التزمها المؤلف واقتنع بصلاحيتها للموضوعات التي يعالجها . ولها (اعني الطريقة) من المبررات ما لا يقتنع به الذين يخوضون هذه الغمرات ويجمعون هذه السلسلة من المعلومات الموسوعية ، وهم في الوقت نفسه يحرصون اشد الحرص على تدوينها كيفما امكنهم التدوين ... ولو لجأوا الى غير هذه الطريقة لاحتاجوا الى احقاب من الدهر لا يجود بها الزمان ... ولا يتسع لها عمر الانسان ..

وقد تفطن المؤلف لما سوف ترمي به هذه الطريقة من سهام للنقد فصارح قراءه بالحقيقة في شجاعة وتواضع نادرين حيث قال في مقدمة الرحلة الثانية والثالثة والرابعة :

(... وقد حرصت على ان اودعها كل ما يلفت نظر المولعين بمعرفة الكتب . وبتراجم الرجال النابهين علماء كانوا او رؤساء ، مما اجد اسمه حديثا . ومما اقع عليه من الآثار الادبية من نثر ونظم ما دام مقبولا .. وان لم يدرك الشأو العالي من البلاغة ... وبوصف المجالس الادبية التي اراها ، فاسوق ما يروق من الفوائد والانشاءات والانشادات ، ولا قصد عندي الا ان انشر حسب ما في طاقتي من تاريخ هذه الجهة التي اصطلحت بان اطلق عليها « جزولة » ما اؤدي به لعشاق التاريخ المغربي العام والخاص ما يقر به الطرف ويبتهج بمعرفته الفؤاد .

وكل من لم يكن له الولوع المؤسس على كل ما اعتني بذكره . فالاولى له ان لايشغل نفسه بمراجعة هذا الكتاب ...)

هكذا في صراحة وشجاعة وتواضع يتحدث المؤلف عن رحلاته من خلال جزولة . مع اننا اذا تركنا هذا التواضع وقرانا الكتاب نفسه نجد الواقع فوق ذلك وابعد من ذلك ...

فالباحث في تاريخ المغرب السياسي والادبي والعلمي يستفيد من المعلومات التي في الكتاب فائدة عظيمة الاهمية ، فهناك من المعلومات الجغرافية والتاريخية عن اقليم سوس مالا يمكن ان يؤخذ الا من هذا الكتاب .

ولنضرب لذلك امثلة توضح لنا قيمة الكتاب من هذه الناحية التي تهم كثيرا من الباحثين والمثقفين بنوع خاص .

فالمعلومات التاريخية والجغرافية التي يقدمها لنا المؤلف عن :

مدينة تامدولت تلك المدينة التاريخية التي اسسها في سوس عبد الله بن ادريس منذ عهد الادارسة في المغرب .

ومدينة ايجلي مسقط رأس محمد بن تومرت المهدي ، مؤسس دولة الموحدين في المغرب .

ومدينة الغ مركز دولة ابي حسون السملالي المعروف في كتب التاريخ المغربي بلقب (بودميعة) والذي لعب ادوارا خطيرة في اواخر الدولة السعدية واوائل الدولة العلوية وامتد نفوذه من سوس الى تفيلالت وغيرها .

كل ذلك يعد بحق شيئا عظيم الاهمية للباحثين في تاريخ المغرب الذين يريدون ان يطلعوا على تفسير حوادث التاريخ وبيان غوامضه .

هذا عن المدن اما عن المدارس العلمية في سوس ورسالتها في نشر اللغة العربية والادب العربي والعلوم الاسلامية فالكتاب ريان باغرب الاخبار وادق المعلومات التي جمعها المؤلف من افواه الرجال . ومن نوادر المخطوطات وهو الناقد الخبير وابن سوس البار الذي ابى الا ان يعرفنا بها ويعرف الاجيال المقبلة ...

والى جانب هذا نجد المؤلف يتصدى لنشأة المهدي بن تومرت ويتحفنا بمعلومات مدققة عن هذا النابغة العبقري الذي هدم عرش المرابطين بين عشية وضحاها واقام دولة الموحدين التي كانت ثمرة كفاحه وفلسفته وتربيته وتدبيره ...

وهذه المعلومات هي ارقى واعمق ما كتب عن نابغة سوس .. ولعلها تكون كلمة الفصل التي ترفع كثيرا من الغموض وتقضي على كل الاوهام والشكوك التي كان المؤرخون يرجمون فيها بالغيب من غير تحقيق ولا تمحيص .. المغاربة منهم والمشارقة .. والاوربيون ...

فاذا تخطينا هذه المعلومات الجغرافية والفوائد التاريخية الى الاسلوب اللغوي وجدنا المؤلف حريصا على ان يتخير الالفاظ والتعابير الفصيحة مع التنبيه على معانيها ان كانت في حاجة الى تفسير او تعليق ..

والكتاب بعد هذه المظاهر الشكلية مكتوب بروح تفيض غيرة اسلامية ووطنية مغربية .. وقومية عربية تربط الحاضر بالماضي وتتطلع الى آفاق المستقبل المشرق للغة الضاد في هذه البلاد ..

وليس من الانصاف للحقيقة في شيء ان نعرض عن دراسة مثل هذا الكتاب بدعوى انه مكتوب بطريقة غير عصرية ... فان الثقافة في هذا العصر متنوعة ذات اشكال واساليب وذات الوان وافانين .. بل اننا احيانا في سبيل الوصول الى الحقيقة نطالع عدة فصول في المراجع لنظفر بما نريده ...

وليس من الانصاف للحقيقة ايضا ان نزعم ان هذا هو الاسلوب المختار في كتابة التاريخ المغربي بل يجب ان نكون واقعيين في الاستفادة من كل ما نجده مفيدا في تاريخ هذه البلاد التي طوى الزمان وما زال يطوي كثيرا من صحائفها المجيدة في الحضارة والتاريخ.

واذا كان للباحث الغيور ان يتمنى شيئا وهو يقدم اثرا من آثار المؤلفين المغاربة ... فليتمن ان يخرج الناس من صمتهم الى الحديث .. ومن اضرابهم عن التاليف الى الكتابة في الموضوعات التي لهم فيها باع كما فعل صاحب هذا الكتاب الذي رفع به راس بلاده عاليا ....

فاس — عبد القادر زمامة



القصة

الثأر

بقلم: الاستاذ ياسين رفاعية

انها الريح (*) ما زالت تعصف تلك الريح ، منذ عشر سنوات ما زالت تعصف .. ما زالت تمزق كبريائي يوما اثر يوم وساعة بعد ساعة ، انها ريح شرسة قاسية تصفع احساسي في الاعماق وانا أدور في دوامة هائلة ، انتظر هذا اليوم الذي اصبح فيه حرا طليقا .

لقد جاء ، جاء هذا اليوم ، وساعات ، ارتاح من صورة اخي التي تلح على ذهني رغم مرور عشرة اعوام .

كنت آنذاك فتى يافعا ، اهيىء نفسي لمستقبل حلو كان يمكن ان يتحقق ، كان اخي الرجل الذي انشأني بعد وفاة ابي الذي لم اتذكر ملامحه قط ، ولقد ارادني ان اكون شيئا هاما في الحياة : طبيبا او محاميا ، فان التجارة التي كان يزاولها عمل صعب يحتاج الى اعصاب متينة .

ولما عرفت « سلمى » السمراء الدافئة ، جئت اخي بخجل وحنين ، وحدثته عن حبي العميق لها ، فربت على كتفي وقال لي بصوته الهادىء : ستكون لك يا اخي .. المهم ان تهيىء لنفسك المستقبل الذي احبه لك .

وفي الحديقة الواقعة في ظاهر المدينة ، ضممت يد سلمى بين يدي بحنان ، كان ثمة اشجار تظللنا وتعاهدنا على أن نكون لبعضنا ، وقالت سلمى : سأنتظرك يا عزيزي .. وسأشمر بلذة في انتظارك .. سأنتظرك .. تأكد من ذلك ..

قبلت باطن كف سلمى بحنان ، وما ان مالت الشمس الى المغيب ، حتى قالت : يجب أن اذهب ، ان اخوتي يقتلونني لو رأوني معك ، فقد تأخر الوقت .

ذهبت سلمى ، وبعد قليل هرولت طربا وانا اصفر لحنا جميلا الى البيت ، كانت صورة سلمى الحزينة السمراء ترسم لي مستقبلا جميلا حلوا فيه بيت واطفال وفيه خصامات صغيرة تنتهي دائما بقبلات ناعمة ، آه كم كان المستقبل الذي كنت احلم به آنذاك جميلا .

وصلت البيت ، وقبل ان ادخل ، لمحت سلمى تقف بالقرب من النافذة وابتسامتها العذبة ترتسم على شفتيها ، كأنها تقول : كل شيء على ما يرام .

استقبلتني زوجة اخي قائلة وعلى يدها خالد ابنها : لقد تأخر اخوك عن ميعاده ؟ قلت : لا تقلقي .. لابد ان يأتي بعد قليل .

ولم اهتم للامر ، ذهبت الى غرفتي ، وجلست افكر في الوجه الاسمر الدافىء الذي فارقته منذ حين ، وهتفت : يا لروعة سلمى .. كم ساكون سعيدا معها ، وكم سننجب من الاطفال .. لا بأس ساوصيها على عشرة ، سبعة صبية ، وثلاث فتيات .

ذلك اليوم ، مرت ساعات طويلة ، قبل ان تدخل علي زوجة اخي مرة اخرى لتقول : تأخر أخوك دون سبب .. قم .. يجب ان تعرف اين هو ، فقلت : دعيني الآن ، واين يجب ان يكون اذا لم يكن في السينما او عند صديق آخر .

---

* احدى قصص بعنوان (العالم يغرق) مجموعة تصدر قريبا للكاتب .

في تلك اللحظة ، قرع بابنا بشدة غريبة ، واسرعت زوجة اخي ، ثم امي وجدتي بعدها بقليل .. ودقائق .. ترامى الى مسمعي صراخ رهيب .

قفزت من السرير ، وفتحت باب الغرفة لاجد المنزل وقد امتلا برجال الشرطة وبممرضين وبعض الاشخاص الآخرين .

هبطت الدرج مسرعا لاجد النسوة الثلاث قد انكببن على المقعد الطويل في صدر الغرفة الوحيدة التي تتصدر صحن الدار .

اسرعت ، فاذا بي امام جثة مسجاة .. يا الله .. جثة اخي .

تقدمت كمجنون منها ، ورحت اهزها صارخا : اخي .. اخي .. من فعل ذلك .. قل .. اخي ..

وراحت دموعي تنحدر بحرارة وانا اهز الجسد الصامت واصيح : يا الله .. اخي مقتول .. اخي مقتول .

ورحت اهذي باشياء لا اذكرها ، لكن تلك الكلمة ما زالت معلقة باحساسي وانا اصرخ والريح من حولي تقول : اخي مقتول .

ابعدوني عن الجثة ، وسرعان ما حضر اقاربي ووالد زوجة اخي وراحوا في نوبة من التفجع والبكاء .

وفي اليوم التالي ، علمت باسباب الوفاة المفجعة .

.. اصطدم اخي برجل اخر يريد منه مبلغا من المال .. وبعد ان شتم كل منهما الآخر ، اطلق الرجل على اخي ثلاث رصاصات من مسدس ضخم ارداه قتيلا .. والقي القبض على القاتل الذي استسلم فورا

لم احتمل ابدا ذلك المنظر المخيف الذي صلب عيني ، فكنت اغيب عن الوعي بين الفينة والفينة فلا اذكر ما كان .

وبعد ايام قليلة ، وجدت نفسي مسؤولا عن عائلة وانا بعد في العشرين ، ونسيت كل شيء ، سوى انني اريد ان ارى الرجل الذي قتل اخي ..

اما صورة قاعة المحكمة التي حوكم فيها فما زالت ماثلة امام عيني بوضوح .. القاضي ذو الفودين الابيضين ، والمحامون والنائب العام ، والشرطة والشاب القصير الممتلىء القامة وهو يصرخ : محكمة . والرجل القاتل في القفص وهو خائف مضطرب ووجهه الاصفر الباهت يتلفت بذعر يمنة ويسرة ، وما ان تلتقي عيناي بعينيه حتى يبدو وجهه مغرقا في رعب هائل ، وكنت بالفعل ارمقه بنظرات قاسية كلما التفت نحوي.

وفي الطرف الآخر ، كانت تجلس امرأة متشحة بملاءة سوداء وعيناها تسجان بالدموع ، بينما كانت تسند الى كتفها طفلا صغيرا اشقر تقارب سنه سن خالد ابن اخي .

وتبين من خلال المحاكمة : ان اخي قسا على الرجل بشكل مهين ، فقد كان الشهود جميعهم الى جانب الرجل الخائف الذي كان يتمسك بقضبان القفص وعيناه مصلوبتان الى الشهود الذين اكدوا ان اخي كان شرسا وقاسيا .

وبعد ايام صدر الحكم عليه بالسجن مع الاشغال الشاقة عشر سنوات .

وصرخت في قاعة المحكمة : هذا ليس عدلا .. يجب ان تبشروا القاتل بالقتل .. انكم لستم عادلين ولكن شرطيا وضع يده على فمي واخرجني من القاعة.

ومنذ ذلك اليوم ، بدا حقدي ينمو في اعماقي ، ورحت احاول اعادة محاكمته لكن المحامين كانوا يقنعونني بانني لن استطيع ذلك .. فالحكم قد صدر بناء على اقوال الشهود الذين اكدوا ان اخي كان مغاليا في القسوة على الرجل .

كنت اعرف اخي جيدا ، فلم اصدق هذه الاقوال ، لابد ان احدا قد لقن اولئك الشهود لينطقوا

وها هو اليوم قد جاء الآن ، وما زالت صورة اخي تلح على ذاكرتي بعنف وضراوة ، كان يريدني طبيبا او محاميا .. وكانت لي جارتي السمراء سلمى وكنت ساطالبها بعشرة اطفال ، سبعة صبية وثلاث بنات وكانت ستلبي رغبتي فانها تحبني حبا عميقا ، كان بالامكان ان تتحقق كل هذه الاحلام لو لم يصوب ذلك المجرم ثلاث رصاصات الى صدر اخي .

ان صورته وهو مسجى مطبق العينين والشفتين وحوله امي وزوجته قد انكببن عليه ينتحبن بصوت عال .. كانت تلح علي منذ عشرة اعوام .

لم أستطع ان افعل شيئا لسلمى ، حتى ان الحقد الذي ترسب في اعماقي انساني ابتسامتها الدافئة وحنو يدها الصغيرة ، وكل ما فعلته سلمى ان تزوجت ضابطا شابا انجبت منه حتى الان ثلاث صبية .

ومنذ اسبوع خرج قاتل اخي من السجن ، ومنذ اسبوع لم يغمض لي جفن ،وراحت صورة اخي تلح علي بشكل عنيف ، وكان خياله يقول لي : انت لم ترض بالحكم يا اخي ، انك انتظرت عشرة اعوام كي تحكم انت في مقتلي ، عشرة اعوام طويلة ، اعددت نفسك لكي تحاكمه من جديد ، عشرة اعوام عشرة اعوام .. عشرة اعوام ..

كنت اقفز من السرير مذعورا ، واشعل الضوء الكهربائي الذي كان يهتز امام عيني صارخا : احكم .. احكم انت ، لقد انتظرت عشرة اعوام لتحكم بالعدل .. عشرة اعوام .

مر هذا الاسبوع وانا على هذه الحال ، لم انم ، ولم اهدا ، بل انني نسيت كل شيء الا اخي والرجل الذي قتله ، كان اخي يطالبني في كل لحظة : ماذا انت فاعل ، كيف ستحكم ، لقد انتظرت عشرة اعوام لتحكم .. اثار لاخيك .. انني ما زلت انتظر ان لا يذهب دمي هدرا ، اقتله يا اخي ، اقتله ، اقتله .

و ... قررت ان اقتله ، اجل يا اخي .. ساقتله

اذ ذاك ، بدت صورة اخي تبتسم برضى واطمئنان ، وها انا اليوم قد حصلت على مسدس فيه تسع رصاصات لا ثلاث .. اجل .. سأثقب جسده تسعة ثقوب يا اخي ..

انتظرت الليل ليرخي سباطه ، فقد استدللت على بيت الرجل الذي عاد الى اهله ، الى زوجته وابنه الذي لم يحرم منه .

خالد ، ابن اخي اصبح يتيما ، كم كان الحقد يقتات اعصابي عند ما كنت المح في عينيه ذل اليتم لما كانت امه ترسله ليزورنا بعد ان تزوجت رجلا آخر .

كان يسألني بسذاجة : لم لا تزورنا يا عم ، لماذا انت عمي .. واصدقائي لهم آباء ، احمد ، يأتي ابوه كل يوم ويأخذه من المدرسة .. لماذا ليس لي اب يا عمي لماذا .. ؟

وكنت اقول له : سيأتي يوم وتعرف طفلا آخر لن يجد له ابا ، سيمزقون صدره بالرصاص .. كما مزقوا صدر ابيك يا ابن اخي .

كانت كلمات خالد تجرح كبريائي ، فقد كانت عيناه تبدوان لي وكأنهما عينا اخي اللتان تشيران لي

غدا او بعد غد ، سألمح في عينيه الرضا والاطمئنان : ان طفلا آخر قد اصبح بلا اب .

واخيرا خرجت من المنزل قاصدا بيت الرجل بعد ان اطمأننت الى المسدس بطلقاته التسع ، وكنت كلما اقتربت خطوة يزداد وجيب قلبي .. والريح ما زالت تعصف ، ما تزال منذ عشرة اعوام تعصف .

ولما امتدت يدي اليسرى الى الباب لتدقه كانت يدي اليمنى قابضة على المسدس باصرار وعنف واصبعي على الزناد .

وفتح الباب ، وبدا لي طفل اشقر على ضوء مصباح الزقاق باهت النظرات يقارب الثانية عشرة من عمره وهو يتثاءب ببراءة وقال : نعم .. قلت له بصوت غليظ النبرة : اين ابوك ؟ قال وقد تبدلت ملامح وجهه : ابي .. انه نائم .. لقد جاء تعبا جدا هذا اليوم .. فنام باكرا .. قلت له : ايقظه .. وقل له انني اريده لامر ضروري .

فهرول الطفل يقرع البلاط بحذائه الخشبي .. كنت ما أزال مضطربا .. عندما عاد الطفل بعد لحظات يتقدم اباه .

وقال لي الرجل بصوت واهن وهو يفرك عينيه : نعم .. ما ذا تريد .. ؟ قلت له : لا شيء .. سوى انني احب ان اذكرك من انا .. فقال بنفس الصوت الضعيف : من تكون ؟ قلت له بصوت قاس وشرس : انني شقيق من ثقبت صدره منذ عشر سنوات .

وهنا اضطرب الرجل ، وبدا الرعب على وجهه مخيفا عندما لمح يدي ترتفع الى صدره وفيها مسدس ضخم ، وصرخ : لا .. لا تقتلني ارجوك .. دعني لطفلي ..

وكان الطفل قد لمح خوف ابيه ، فالتصق به وعانق ساقيه وراح يصرخ : بابا .. بابا .. وكان الرجل يهتف في نفس الوقت : لا تفعل .. ارجوك يا سيدي .. لا تفعل .. لم يبق لي سوى خطوات.. لقد كبرت يا سيدي .. لقد كبرت . دعني اعيش لطفلي ، لاجله دعني .. انظر . انظر اليه انه بريء . انظر يا سيدي . انظر ارجوك . انظر .. الا ترى شعره الاشقر الناعم .

وهبطت عيناي دون ارادتي الى الطفل الصغير وهو متمسك بقدمي ابيه يصرخ : بابا .. بابا ، كانت عيناه ممتلئتين بالدموع ، وكان خائفا ، خائفا .. وفجاة تخيلته (خالد) ، كان يهتف بي : لاجلي لا تفعل يا عمي ، لا تحرمه اباه ، دعه له ، هل تريد أن يتألم كما أتألم أنا .. وما ذنبه هو ، دعه يا عمي .. دعه .

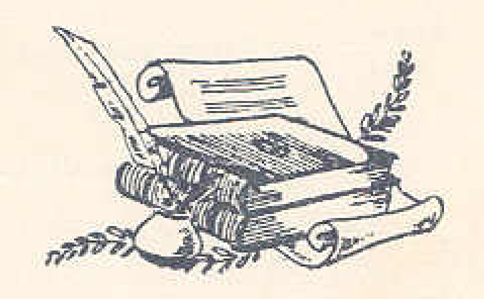
وفجاة ، هبطت يدي الى جانبي كانها شلت ، كان الرجل قد انحدرت دموعه ايضا ، بينما التفت الطفل نحوي ورمقني بحنان آسر ، وسرعان ما حملته ومسحت دموعه ، ثم تركته وهرولت خارج الزقاق .

لما ضمني زقاق آخر لوحدي ، لمحت صورة اخي ترافق ظلي ، كانت تربت على ظهري وهي تقول لقد كنت عادلا .. لقد كنت عادلا . .

وغابت عني صورة اخي لتبرز صورة سلمى سمراني الدافئة ، فهتفت لها وعيناي دامعتان : كم احببتك يا سلمى .. كم احببتك .

دمشق : ياسين رفاعية

من جمعية الادباء



في أرض العنف

بقلم: الأستاذ بنعيسى صنوبي

لا يزال ولدي الصغير مريضا ، ولا يزال العرق يتصبب من جبينه .

لا تخف يا ولدي ، فان امك بجانبك ، تسهر عليك وترعاك . لا تخف يا ولدي ، فانني لن ابرح هذا المكان حتى ترجع اليك الصحة ، وحتى يتورد خداك كما كانا في السابق ، وحتى اسمع صوتك من جديد يرن في ارجاء الدار ، يملأها بالفرح والبهجة .

وخارج البيت تتعالى اصوات وترتفع صيحات ، واسمع ضجيجا لا اكاد ابين منه شيئا . لا تخف يا ولدي ، فان الوادي الساحر الجميل الذي ولدت فيه يحيط بك من جميع الجوانب : فالنهر يسير رقراقا صافي الاديم ، والريح تهب لينة رفيقة ، والحيوانات تعود من المرعى الخصيب .

وهي الان تهبط الى الوادي ، تحت الاشجار الوارفة .

يا الهي ، أتضرع اليك ان تعيد الصحة الى طفلي الصغير .

*

كانت واقفة امام بيتها ، وكانت تتقي اشعة الشمس بيدها ، وكانت تحس ان هذه الاشعة الرقيقة تغمرها وتنفذ الى اعماق جسدها .

— يا سيدي الا تعلم اين استطيع ان اجد طبيبا؟

— يا سيدتي ، ان الطبيب ياتي الى القرية مرة كل اسبوع ، لذلك فانا لا اعتقد انه سيحضر قبل مرور اربعة ايام .

كانت تضم الى صدرها طفلها الرضيع الذي لفته في خرق بالية ، وكان الطفل يمتص الحليب من ثديها الناصع البياض الذي ابرزته من خلال فتحة ثوبها الرمادي . ونظرت الى الطفل نظرة اشفاق ، ثم قالت :

— ولكن اذا لم يحضر الطبيب في هذا اليوم ، فسيموت طفلي الصغير . انظر الى وجهه الشاحب وعينيه الذابلتين ..

— ما عليك يا سيدتي الا ان تصبري ...

— ولكن الا تستطيع ان تذهب الى عيادته او الى منزله ، وان تطلب منه ان ياتي لوجه الله ، وان تتوسل اليه باسم الانسانية ؟ الا تستطيع يا سيدي ان تجد في المدينة طبيبا يعطف على هذا الطفل البرىء؟.

— ساحاول يا سيدتي ، ساحاول ..

— اشكرك يا سيدي ، اشكرك جدا .

*

الليل مقمر ، والريح تحمل نسمات منعشة . وخارج البيت تحت الزيتونة ، اجتمع الرجال ، رجال قريتنا . انهم ينشدون نشيدا تعلمته في صباي الاول عندما كنت تلميذة في المدرسة الابتدائية . ولكنه ليس كجميع الاناشيد الاخرى ، فهو مقدس عند شباب القرية .. انهم ينشدونه في كثير من القوة والعنف ، وكان كل نغمة من نغماته تعبر عن شبابهم الفائر وثورتهم العارمة . لقد قال لي مصطفى بأن الحاكم الفرنسي هدد بالسجن كل من يتجرأ على انشاده . اما رجال قريتنا ، فلم يكترثوا للتهديد

والوعيد ، ولم يقيموا وزنا لما قالته السلطات العسكرية؛ فقد ظلوا طوال الليل المقمر يرددون باصواتهم القوية .. نعم ظلوا طوال الليل يرددون :

قسما بالنازلات الماحقات
والدماء الزكيات الطاهرات

والبنود اللامعات الخافقات
في الجبال الشامخات الشاهقات

نحن خضناها حياة او ممات
وعقدنا العزم ان تحيا الجزائر

فاشهدوا ، فاشهدوا ، فاشهدوا

*

حينما عاد مصطفى من الاجتماع وجد زوجته تنتظره . وكان الطفل الصغير موضوعا في احدى زوايا الغرفة ، وكان نشيجه يتمالى بين الحين والاخر لكي يذكر والديه بانه يجب ان يكون موضع عنايتهما. وكان المصباح ينفث في ارجاء الغرفة دخانه المحمل برائحة الغاز ، وكان ينشر نوره الباهت الذي يسقط على الجدران البيضاء المرشوشة بالكلس ظلالا سوداء غريبة الاشكال . ونام الطفل بعد قليل وانقطع نشيجه، وشمل الغرفة سكون عميق ، ثم قال مصطفى :

— لقد قررت ان اغادر هذه القرية ، قررت يا عزيزتي ان التحق باخواني ، فلم اعد اطيق ان ارى كرامة وطني تداس ، ولم اعد اتحمل ان اراهم يفدون بين الحين والاخر الى قريتنا ، ليقوموا فيها بما يشاءون من المناكر والمظالم .

— والى اين تريد ان تذهب ؟

— لا ادري .. الى اي مكان .. المهم ان لا ابقى في هذه القرية ؛ في الوقت الذي يستشهد فيه اخواني ..

— وكيف تتركني ، وهذا ولدنا الصغير مشرف على الموت ؟

— ان مئات من الاطفال يموتون يا عزيزتي ولن يكون ولدنا الا واحدا منهم . ومن يدري ، فلعله لن يموت ؛ ولعلي ساجده حينما ارجع قد نما وصح جسمه . الوداع يا عزيزتي ، الوداع .

وقام من مكانه ، واخرج من احد مخابىء الغرفة رشاشا صغيرا ، ثم اتجه الى الباب وهو يلتفت الى الوراء ويقول :

— الوداع يا عزيزتي ، الوداع .

لم اعد احتاج الى طبيب ، ولا يهمني ان ياتي اليوم أو غدا او لا ياتي ابدا . لقد وقع ما كنت اخشاه : فمات الطفل الصغير في نهاية الليل قبل شروق الشمس . غفا اغفاءة هادئة حتى حسبت انه قد شفي ، وعندما تلمست جسده ، وجدته باردا .

يا ولدي ، كم كنت سعيدة عندما كنت اضمك الى صدري واشم في شعرك رائحة الحياة ، واقبل وجنتيك الورديتين . كم كنت سعيدة عندما احس بيدك الناعمة في يدي ، واسمع صوتك الجميل يناديني .. اما الآن فقد انتهى كل شيء .. فارقتني بعد ابيك .. وتركتني وحيدة في هذا البيت ..

*

لقد تعودت ان اراهم يفدون الى قريتنا .. انهم يجيئون بين الحين والاخر ليأخذوا عنا صورا ينشرونها في مجلاتهم كاننا حيوانات متوحشة لا تعيش كما يعيش سائر الناس . وقد تعودنا ان نراهم يحدقون فينا في شيء من الدهشة والاستغراب ، ولعلهم يتساءلون كيف يعيش هؤلاء في هذه الاكواخ البائسة ، وكيف لا يقضي عليهم البرد ، وماذا يفعلون عندما تصب الامطار والثلوج ، وتهب رياح الشتاء ؟

لقد سمعت الناس يتحدثون عن بعض المشاريع التي ستحققها السلطات الفرنسية في قريتنا ..

ومن جملة ما قيل انهم سيبنون لنا مساكن شعبية ومستشفى ومدرسة ..

ولكن ها هم الان يعودون . يعودون لا ليبنوا لنا دورا جديدة ومساكن شعبية ، بل ليدمروا اكواخنا البائسة ، ويشردونا في الفيافي والقفار .

لقد غضبوا علينا ، لا ادري لماذا . ولكنني اعلم انهم جمعوا رجال قريتنا واطفالها ، وساقوهم لا ادري الى ايـن . . .

يا الهي اتضرع اليك ان ترحم قريتنا وتحفظ رجالها واطفالها من كل سوء . .

ذاك الصباح ، اقبل الي اخي ثقيل الخطو ، كئيب الوجه ، يمسك في يده جريدة . وادركت للحال انه يحمل الي انباء مزعجة وانتابني شعور غريب : شعور انسان يعرف تمام المعرفة انه مقبل على كارثة . وتملكتني رعدة باردة وخيل الي انني سانهار عما قليل . وساد السكون بعض الوقت ثم سمعته يقول :

ـ هل قرات الخبر في الجريدة يا زهرة ؟

ـ لا والله . . ماذا حدث ؟

ونظر الي نظرة ملؤها العطف والحنان ، واطرق برأسه لحظة ، ثم رفع وجهه ، فرأيت شفتيه تتحركان ، ولكن لم يستطع أن ينطق ولو حرفا واحدا

ـ فهمت كل شيء . . قتلوه . . قل لي يا اخي هل قتلوه ؟

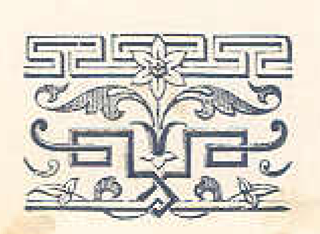
ـ قتلوه . نعم قتلوه مع جماعة اخرى من «الخارجين عن القانون» كما تسميهم السلطات العسكرية الفرنسية . ولكن اقسم لك يا زهرة ، يا اختي الصغيرة زهرة ، انني سانتقم له شر انتقام .

وضرب برجله الارض ، وقطب جبينه ، ثم استدار راكضا يصيح :

ـ سوف انتقم ، سوف انتقم .

وبلغني صوته الغضوب وهو يتناقص في البعيد ، وتبعته ببصري مدة من الوقت حتى اختفى تحت الاشجار . .

الجزائر ـ حنفي بن عيسى



جذور الفن التجريدي وتطوره

ترجمة وتعليق الأستاذ محمد السرغيني

ان الفن التجريدي عندي ، هو كل ما لا يحتوي على اي تذكر او استحضار للواقع الملاحظ ، وسواء لدى اكان هذا الواقع نقطة انطلاق للرسام أم لم يكن ..

« ميشيل سوفور »

انني احببت الرسم لكي اقنعه بالشيء . فالرسم التشخيصي لابد ان يرتكز على محتوى مادي في قليل او كثير ، لان الشيء الاكثر تواضعا وصمتا فيه ، يتحرك بجانب ما هو رسم محض .

« كاندينسكي »

من الواضح اليوم ، ان الناس كلهم يعرفون ماهية الفن التجريدي ، وعما قليل ، لن يكون هناك انسان يجهله ، ولكننا رغم هذا ، نجد السيد «ليونيلو فانتوري» في سنة 1950 تقول عنه : (*)

« اننا اليوم حينما نتحدث عن الفن التجريدي ، فاننا لا ننسى الحديث عن التكعيبة وعن منحرفاتها » . ولكنه يعود فيحكم بالاعدام بعد اربعين سنة من اكتشاف الفن اللاتشخيصي Non figuratif على هذه القيمة الجمالية الجديدة في سطرين ، حيث يمزجها باحتقار مع التكعيبة التي تعتبر خصمها الحقيقي .

وانه ليكفي ان نتذكر ان التكعيبيين قد استسلموا الى تجزئة دقيقة وحقيقية (للشيء) ، بينما كان التجريديون يجتازون مرحلة هذا (الشيء) Objet لكي يعرفوا الى اي مدى كان هذا التقارب لا معنى له .

واكثر من هذا ، فان التكعيبية بقيت محدودة الزمن ، في حين ان الفن التجريدي الذي ولد في نفس الوقت الذي ولدت فيه ، لم يفتا ينمو ويتغير ويخصب ، والتكعيبية ايضا ، لم تكن غير مدرسة ، بينما كان الفن التجريدي حركة قوبلت بترحاب غير عادي ، يقارن في الماضي ، بتلك الثورة الجمالية التي سميت باسم « عصر النهضة » .

على انه في حظيرة حركة الفن التجريدي (*) وجد مذهب محدود ، انتهى اليوم ، ولم يعد له ابدا انصار . هذا المذهب ، هو البلاستيكية الجديدة ، التي عرفت

(*) هذا فصل من كتاب : Michel Ragon - L'aventure de l'art abstrait

(*) كاندينسكي والفن التجريدي الغنائي ، انبثقا من Van Gogh والوحشيين Fauvistes من جهة ، ومن جهة اخرى ، ف Delounay استوحى من الانطباعية الجديدة للرسام Seurat واخيرا فاذا دفع كل من Mondrian والبلاستيكية الجديدة مذهب التكعيبية الى المجالات الاكثر تطرفا فانهما سرعان ما تجاوزاها ليكشفا جمالية كلها جديدة (المؤلف) .

تفتحها مع اعمال Mondrian ويظهر انه استوحى اصوله من التكعيبية ، أي من أكابر الرسامين الهولانديين الخالصين Puristes وفي هذا الاتجاه ، تنبأ Apollinaire بموت التكعيبية ، حينما كتب عنها سنة 1913 قائلا (✻) :

« اننا نسير نحو فن كله جديد ، اذ انه سيكون بالنسبة الى الرسم ـ كما توقعناه الى الآن ـ ما هي عليه الموسيقى بالنسبة الى الادب .

سيكون هذا الفن رسما خالصا ، كما هو الشأن في الادب والموسيقى الخالصين ، والرساسون الجدد ، سيبعثون في نفوس المعجبين بهم ابداعات فنية ، يرجع الفضل فيها فقط الى الاضواء الغير المزدوجة »

واذا كان بعض الرسامين قد انتحل لنفسه اسم « التجريد » ولم يعط للوحاته الا اسم « رسم » فان Apollinaire قد اكد ايضا :

« ان رسم هؤلاء فن بلاستيكي كله جديد ، وليس هو الآن الا في البداية ، اذ انه لا زال لم يصل الى ان يكون تجريديا كما يجب ان يكون »

ويحكي Apollinaire في كتابه عن الرسامين التكعيبيين تاريخ انشاء اللوحات التجريدية ، معيدا كتابة ما وجد قبله عند Pline (✻) كان Apelle يجتاز جزيرة « رودس » لكي يطلع على رسوم (✻) Protogène الذي كان يسكن فيها ، وكان هذا الاخير غائبا عن مرسمه اثناء زيارة الاول له . وكانت هناك عجوز تحرس لوحة توشك على الانتهاء ، وعوضا عن ان يترك Apelle اسمه ، فانه خط على اللوحة سطرا غير واضح ، لدرجة انه لا يمكن معرفة صاحبه .

« وحينما عاد Protogène ولاحظ هذا الخط عرفه فيه Apelle وخط على هذا الخط اخر بلون مغاير ، لكن بدقة كثيرة ، وعلى هذا ، بدا ان هناك خطوطا ثلاثة .

« ورجع Apelle في الغد من غير ان يجد الرسام ، ولكن دقة الخط الذي رسمه في هذا اليوم ، ايأست Protogène وكان ان اثارت هذه اللوحة الاعجاب زمنا طويلا ، اذ ان الناس كانوا ينظرون اليها بلذة زائدة ، لدرجة انهم بدلا من ان يروا فيها خطوطا تكاد تكون لا مرئية ، فانهم راوا انها تشخص الآلهة » .

وعلى هذا ، فالفن التجريدي كما راينا ، ليس فنا جديدا (✻) ، اذ ان المؤرخين المختصين في فترة ما قبل

(✻) Les peintres cubistes (Genève, 1950) (المؤلف)

(✻) Apelle رسام اغريقي ولد في Ephèse وعاش في بلاط الاسكندر الاكبر في القرن الرابع قبل الميلاد ، ولعله اول من عرض رسومه على الجمهور . (المترجم)

(✻) رسام اغريقي ، عاش في عصر الاسكندر الاكبر (المترجم) .

(✻) فهناك أسطورة صينية نجد فيها ان امبراطورا طلب من اكبر رسامي الامبراطورية السماوية ان يرسم له احسن واعظم « تنين » لم يرسم مثله قط . فانكب الرسام على عمله في سرية مطلقة واستمر أعواما ، واخيرا اتى الامبراطور ليظهر اعجابه بعمل الرسام ولكنه بهت عند ما لم يجد غير خطوط زخرفية Arabesque فصاح فيه : « كيف تجعلني انتظر سنين طوالا واخيرا لا تريني غير هذا ؟ فالقى اكبر رسامي الصين في السجن لانه خدع الملك .

لكن الامبراطور بعد تفتيشه لمرسوم الرسام؛ وجد مئات الرسوم التي تمثل « التنين » من اشكال واقعية له ، الى تصميمات فقط وكان الامبراطور ذكيا (وهذا شيء يحدث) ، فعرف ان ابحاث الرسام انتهت في الاخير الى نوع من التجريد لصورة « التنين » فخرج من السجن ، واغدقت عليه مظاهر الشرف .

ثم ان بعض شخوص القصص يظهر انهم غير واضحين حتى في مخيلة الكتاب الذين جعلوا منهم ابطالا لقصصهم كبطل قصة اميلا زولا : « العمل» اليس هو الرسام الفاشل الذي تخيله الكاتب اذ كان يقصد الرسام Garonne (رسام انطباعي فرنسي 1906 / 1839) حينما تحدث عن « كلود » .

وكذلك Frenhofer بطل « بالزاك » الذي بسبب عبقريته استطاع ان يرسم لوحة لم يستطع بالزاك ان يعطيها اسما حيث اعتقد انها فاشلة غير لوحة Kandinsky وليست هي حتى قبل تجريدية ، اذ يذكر على لسان « كلود » هذا :

« انني لا ارى في هذه اللوحة ، غير الوان متراكمة بغموض ومضمومة الى آلاف من الخطوط العجيبة التي تكون سياجا من الرسم »(المؤلف) .

التاريخ ، يؤكدون بانه في نهاية عصر Magdalénien و Azilien, اندثر الرسم الواقعي من الكهوف ، ليحل محله رسم علامات وعروش ومجموعة من النقط فقد عثر على احجار متوجة برسوم بالطين الاحمر لا تمثل شيئا ، وعلى الخصوص في فرنسا ، في كهوف : Mas-d'Azil و Marsoula, وفي اماكن مختلفة من L'Aude ومن Cézanne العليا ، ومن L'Ariège

وهكذا يكون من الاجدى ان نبرهن على ان الفن التجريدي موجود دائما وهو متطور منذ ما قبل التاريخ الى ايامنا هذه مارينا في بحثنا هذا على الفنون الهندسية الاسلامية والتشعبات الباروكية (*) عند كل من Gaétiques و Vikings وعلى الفنون Mérovingiens, Précolombiens والفنون الزنجية : Les Tapas وعلى الفن الشعبي ولا سيما في بريطانيا ، الخ .

ولكن مراجع الفنون القديمة ليست مقنعة ابدا ، فلقد رأينا مؤخرا بعض التجريديين يضعون الفن الغالي Gaulois في صف اعمالهم كما لو كان هناك فن (غالي) ؟ او كأن المسكوكات القديمة (الصلتية Celte على جمالها كافية بان تمثل لنا بمفردها ذلك التعبير البلاستيكي لحضارة او لجنس ، وفي آخر الانباء ان السيد André Breton قد اكتشف فنا عربيا فيكنكيا Arabo-Viking ولا شك ايضا انه هو الذي وضع اسس الجمالية السوريالية ولماذا لا ؟ ان كل هذه الاكتشافات لا يمكن بحال ان تكون جدية اذ اننا سنرى ان اسماء الفنانين الاكثر دويا في سماء الفن المعاصر تكون دائما محاطة بمزيفين وبمرضى العظمة الذين يكونون في قليل او كثير ليصموا بالشك بل بالتحطيم جميع المحاولات الطليعية الصريحة .

واذا ظهر ان الفن التجريدي جديد فليس الا لان حركته الجمالية تأخر ظهورها مدى ثلاثين سنة في فرنسا او بالاحرى ان قبول مدرسة باريس لهذه الحركة او ان ارساء قواعدها قد تأخرت مدة ثلاثين عاما .

وبما ان باريس عادة تعتبر مركزا فنيا للعالم فانها لم تمر غير اذن ذاهلة لكل تلك الاحداث الفنية في روسيا والمانيا وهولاندة ، اذ انه في نفس الوقت الذي كان فيه رسامو مدرسة باريس يبدعون التكعيبية اي حوالي سنة 1910 كان فنانون روسيون قد اكتشفوا الفن التجريدي .

ان قصة كاندينسكي معروفة حيث انه حينما كان داخلا الى مرسمه قبل سنة 1955 بقليل ، اكتشف فيه لوحة فائقة الروعة ذات اشعاع ضوئي داخلي ، اذ لم ير على قماشها غير « اشكال والوان كان محتواها غير مفهوم بالنسبة اليه » وبعد ما انتهت فترة التعجب اعترف بان هذه اللوحة بنت ريشته ، ولكنه اهملها وفي الغد كان ذلك الاشعاع قد خمد ورغم انه وضع اللوحة وضعا مقلوبا الا انه اعترف بهذا الشيء المعروض امامه لكنه امتنع عليه ان يجد نفس المتعة الجمالية التي شعر بها في المرة السابقة وهكذا وصل اخيرا الى ان (الشيء Objet انعدم من اعماله ، ولكنه لم ينتقل الى اللاتشخيصية الا بعد عشرة اعوام من هذا الاكتشاف .

كان « كاندينسكي » في هذا الوقت في سن الرابعة والاربعين ، ومن هنا لم تكن رسومه نتيجة باعث شبابي بل كانت خلاصة نهاية ابحاث رسام تأثري وصل الى قمة نضجه ' رسام احترف مهنة علمية جديدة الى ان صار في سن الثلاثين .

(*) Gaétiques شعب عاش في شواطيء المتوسط في ايطاليا و Vikings ملاحون سكندنافيون هاجموا اوروبا الغربية في القرن السادس والسابع للميلاد Mérovingiens دولة سادت على بلاد (الغال) و Précolombiens هذه الكلمة تطلق على امريكا في الفترة السابقة لمجيء « كريستوف كولمب » (المترجم) .

وهكذا فمن العادي جعل كاندينسكي ابا للرسم التجريدي ولكن بعض النقاد اذ يعترفون له بهذه الابوة يذكرون رسامين روسيين آخرين الى جانبه ، غير انهما ليسا معروفين في فرنسا وهما : Tchurlianis و Mansouraf, اللذان كانا قد رسما لوحات تجريدية قبل كاندينسكي والحقيقة ان هذه الخلافات ليست لها اهمية اذ هي تشير فقط الى ان خطوات كاندينسكي لم تكن خطوات انسان وحيد وتبرهن على ان اكتشافه (او بالاصح اكتشافه المعاد اذا فكرنا في قصة Apelle و Protogène, انما عبر عن رغبة جماعيـــــــــة .

وفي سنة 1913 رسم الروسي Malévitch مربعه الاسود الجميل على سطح ابيض وعرض مواطنه Tatlin اوائل رسومه الناشئة ، وفي نفس السنة صار الرسام الهولندي Piet Mondrian رساما تجريديا وتبعه بعد عامين من هذا التاريخ Van Doesburg وفي سنة 1913 ايضا انتقل الرسامان الالمانيان August Mack, Franz Marc الى حظيرة الفن التجريدي

وفي العام التالي عرض (ابولينير) في باريس الاعمال التجريدية لكل من الرسامين الروسيين . Larionov و Gontcharova, هاته الاعمال التي رسمت فيما بين سنتي 1909 و 1911 تحت اسم الاشعاعية واعتبر انه حصل على اكتشاف جمالي رائع . وفي سنة 1916 التقت الرسامة Sophie Tourber بالرسام Arpe في « زريخ » في معرض لهما تحت عنوان (الدادية) ، ثم اعتنقا مبدا الجمالية التجريدية بعد ذلك بقليل .

ولقد رسم الفرنسي Delounay ابتداء من سنة 1912 ايقاعاته المتحركة الاولى وفي السنة التي تلت هاته وضعت زوجته Lonia رسوما ذات ايقاع تجريدي لكتاب : « نثر الترانسيبيريان » (*) ثم دشن (ابولينير) الذي يسعى دائما لوضع البطاقات على كل ما هو جديد ــ اولى البحوث التجريدية التي قام بها الرسامون الفرنسيون تحت اسم: «الاورفية» (*) ووضع كذلك تحت هذا العنوان رسوم Kupka

التركيبية ، تلك التي استعارت « الاسلوب العصري » الذي يبحث عن انسجام بين الرسم والموسيقى ، بين الاصوات والالوان .

* * *

وعلى كل حال فالفن التجريدي وجد اذن قبل سنة 1918 اعلامه وقوانينه الخاصة ، بل حتى استمراريته في بعض الوجوه حيث كان Van Doesburg قد وضح بمهارة كيف وصل التجريد الى اشكال خالصة حين رسم بقرة رسما تجريديا منهاجيا ، ثم ان (موندريان) بلور فنه في الصليب كما فعل النحات Braucusi حين بلور منحوتاته في اشكال بيضاوية ولقد نشرت مجلة « الاسلوب » التي كانت تصدر تحت اشراف كل من Van Doesburg و «موندريان» كل النظريات الجمالية لهذه المدرسة الجديدة ولم تنقطع عن الظهور الا بعد موت « فان دويسبرغ » سنة 1931 .

اذن فكيف امكن لحركة خصبة مثل هذه ان تبقى مجهولة عند اكثر الناس حوالي نصف قرن ؟ ؟

الحق ان الفن التجريدي كان ناقصا بالنسبة الى الفن التكعيبي الذي عاصره حيث انه كان حركة متفرقة غير مجتمعة .

فبعد الثورة الروسية ابتدع الروس التجريد كما كان لهم الفضل في ابتداع جميع الحركات الطلائعية ولهذا اعتبر الغرب ابداعهم فنا بلشفيا ، فلم يقبل عليه وايضا فبما ان تكعيبية «براك» (*) وبيكاسو قد انتصرت في باريس فان الفن التجريدي لم يجد فيها مكانا فتنحى عنها .

ولكن الاتحاد السوفياتي اطرى بعد هذا بقليل فنا حكائيا Anecdotique لسهولة قبوله من لدن الجماهير ولصلاحيته للدعاية وهكذا سكت بعض الرسامين او هاجروا روسيا اما لاريونوف وكوتشاروفا فقد استمرا يرسمان المناظر « لباليه » Diaghilev

---

(*) مذهب في الرسم والادب يعتبر منبعا للسوريالية نسبة الى مبتدعه Dada في سويسرا . (المترجم).
(*) تطلق هذه الكلمة على مناطق ما وراء «سيبريا» (المترجم) .
(*) نسبة الى Orphée وهي اسطورة قديمة ، نسج عليها كثير من الكتاب المعاصرين قصصا معرفة فاورفي (جان كوكتو) . (المترجم)
(*) جورج براك رسام تكعيبي فرنسي ، ولد سنة 1882 (المترجم)

وصار كل من «تاتلان» و «ماليفيتش» مغمورين في روسيا حيث لانعرف عنهما اكثر من ان هذا الاخير مات سنة 1935 واوصى بان يدفن على الارض مباشرة ويداه متمددتان على شكل صليب ، اما كاندينسكي فذهب الى المانيا .

وباستثناء «فرانزمارك» و «اوغيت ماك» اللذين قتلا في الحرب فان المانيا صارت بعد روسيا مركزا للابحاث الجمالية التجريدية فبين سنة 1920 و 1930 صار كل من المهندس المعماري Walter Gropius والرسامين Feininger و Klee وكاندينسكي و Moholy-Nugy اساتذة لجيل متحمس من الرسامين والمناظر بين Décorateurs والنحاتين .

والحق ان جميع اقتباسات الفن التجريدي من تقنية الحضارة العصرية كانت قد نضجت في مدرسة Bauhaus على يد هؤلاء الاساتذة فقد رسمت فيها رسوم زجاجية تجريدية تحت ارادة « كلي » ورسوم تجريدية على الثياب تحت اشراف Much كما استعمل «موهولي ناجي» الشفافية الزجاجية لمنحوتاته بل ان هناك بعض اشرطة تجريدية (*) وبعض رقصات (للباليه) ايضا بل حتى النجوم الصناعية كانت تجريدية مستوحاة من عادات صينية قديمة .

ومع الاسف فالحركة التجريدية التي وجدت نفسها للمرة الثانية في تفتح كامل اعتبرت ايضا حركة خطيرة وهكذا شرد الرسامون الطليعيون في المانيا وعلى الخصوص حين انتصرت النازية فيها فاغلقت ابواب بوهوس وتشردت العناصر العاملة فيه موزعة على بلاد اخرى : اذ ذهب كل من « فينانجر » و « كروبيوس » و « موهولي ناجي» الى امريكا حيث كان «مكدونال رايت» و « مورغان روسل » اللذان تاثرا في باريس بـ «دولوناي» سنة 1913 فادخلوا اليها الفن التجريدي ثم التجأ « كلي » الى سويسرا وذهب « كاندينسكي » الى باريس في بداية سنة 1933 واستقر وحيدا في شارع Nouilly

وهكذا كان هذا التوزيع اللامنظم لاعلام التجريد في البلدان المختلفة عاملا تسبب مرة اخرى في تاخير انتصار هذه الحركة الجمالية او على الاقل في تاخير انتصارها في باريس لان الفن التجريدي كان قد عرف انتصارين اولهما في روسيا وثانيهما في المانيا ولم يصل الى باريس الا كفن اجنبي مطارد خصوصا وانها استفادت من هذا اللجوء ولولا الاضطهادات النازية لكان من المؤكد تقريبا ان يكون مركز الخلق الفني اليوم في المانيا .

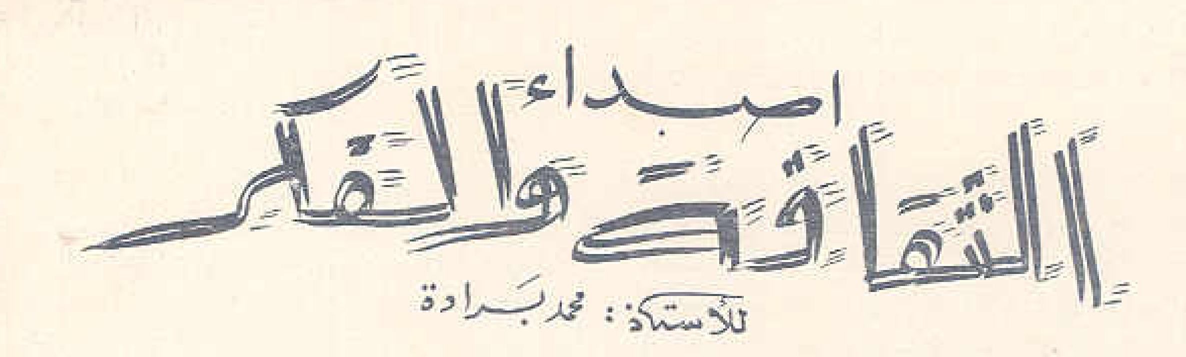
واخيرا ظهرت في باريس مجلة : « دائرة ومربع » سنة 1930 ونظمت معرضا للفن التجريدي تحت نفس الاسم ومن سنة 1931 الى سنة 1937 اسس جميع الرسامين التجريديين جمعية « الابداع التجريدي » حيث نشروا لهم سجلا سنويا يضم اعمالهم ولقد وصل عدد الاعضاء الى اربعمائة كان نصفهم يعيش في باريس وكان كل من « اوميلا » و « هربان » و « شارشون » وغيرهم يعدون من بين الرسامين التجريديين الاكثر دلالة على الجيل الجديد .

ومرة اخرى أيضا توقف نشاط هذه الحركة من سنة 1939 الى سنة 1944 وهكذا شردت للمرة الثانية اضطهادات جديدة هذه المدرسة التي اخذت تنمو في باريس .

فاس : محمد السرغيني

(*) انتج Survage سنة 1913 و 1914 ايقاعات ملونة للسينما ، وانتج Richter اشرطة تجريدية سنة 1920 واستفاد «والت ديزني» من هذه التجارب لاخراج بعض اللقطات من شريط « فانتازيا » وتبعه بعد ذلك كثير من منتجي الاشرطة الدعائية . (المؤلف)





موجة اللامعقول والأدب الغربي

حتم على الحركة الادبية فى أي قطر من الاقطار ان تتماس بباقي التيارات الادبية والفكرية فى الخارج .. فالكاتب الذي قال منذ امد طويل ان « العالم اصبح ضيقا » محق الى ابعد حد .. ذلك ان توفر الاتصالات الوثيقة بين مختلف الامم قد ضمن « التصادي » بينها سواء فى مجالات السياسة او الاقتصاد او الفن ، ومن ثم اصبحت عملية التأثر والتأثير عنصرا اساسيا في تطوير النتاج الفني ، وبلورة الحضارة الحديثة واذا كانت أروبا من قبل تلعب دائما دور الاستاذ ، وتنشر أفكارها وآدابها موقنة بتقدمها فان التطورات الاخيرة قد عدلت الوضع ، وأفسحت المجال أمام جميع الشعوب على قدم المساواة ، كما لاحظ ذلك « جان دوفينيو » اذ قال :

« ان التقاء ثقافتنا بثقافات الشعوب الاجنبية ، والشعوب المسماة « متخلفة » يفرض اختفاء « مراكز الثقافة » فلن تعود اثينا ، وبيزنطة ، وباريس ، هي مراكز تكوين القيم التعبيرية ، بل سيصبح ذلك ممكنا فى جميع نقط التيار العالمي » .

على هذا الاساس يمكن ان نعتبر « موجة ادب اللا معقول » التي هبت على الادب العربي الحديث « معقولة » لها ما يبررها ..

فمنذ بضعة شهور قدم المسرح القومي بالقاهرة مجموعة مسرحيات لكل من اونيسكو وبكيت ، وكتبت عدة مقالات عن مسرح اللا معقول .. ثم اخرج توفيق الحكيم « يا طالع الشجرة » فجاءت نغما متناسقا مع الحان هذه الجوقة .. وفى المقدمة التي صدر بها الحكيم مسرحيته قال : فقد اتجه هذا الفن الحديث الى تعميق منطقة هذا الشيء الخفي ، وكانت وسيلته التجرد اولا من المعنى والمنطق ، فاصبح التصوير مجرد بقع لونية ، والنحت بقع كتلية ، والموسيقى بقع صوتية ، والشعر بقع لفظية .. » (*)

وطبعا فان هذا التصنيف التعميمي بعيدا جدا عن حقيقة نشوء هذه الاتجاهات واصولها . وانا متفق هنا مع الدكتور لويس عوض فى ان المقدمة التي كتبها الحكيم لا تتوفر على قيمة معينة ، لانها تعرضت « فى خفة وربما فى سذاجة لاخطر الاتجاهات » (*) .

وفى رايي ان المقالة التي كتبها الدكتور عبد الرحمن بدوي عن « كارثة اللامعقول » (*) تفتقر ايضا الى العمق وتتصف بالعجلة والتعميم فى الاحكام .. فهو يقول فى مطلع مقاله :

« من العجب أن فرنسا ـ بلد العقل الواضح المتميز ـ قد صارت الآن موطن اللا معقول فى المسرح على اقل تقدير . لكن هذا العجب يزول ، وتظل فرنسا مخلصة حقا لروح فيلسوفها الاكبر ديكارت ، اذا ما عرفنا ان دعاة اللامعقول كلهم من الطارئين على فرنسا وليسوا فرنسيين حقيقيين ... »

ويمضي فى مقاله معتمدا على ما كتبه لوباسكو معتبرا اياه فيلسوف اللامعقول ، وعلى مسرحيات

(*) Jean Duvignaud - Pour entrer dans le XXe siècle - Grasset

(*) يا طالع الشجرة ص 9 .

(*) الاهرام ـ عدد الجمعة . د . لويس عوض .

(*) المجلة ـ مارس 1963 ـ ص 8 .

اونيسكو . وبدون مغالاة فان ما كتبه عبد الرحمن بدوي مليء بالاخطاء والمغالطات ، وهو ما لم نعهده من بحاثة قدير مثله .

وموضوع ادب « اللامعقول » او « الرواية الجديدة » او « الادب الموضوعي » تيار صاعد في اوروبا ، له نفس الامكانيات والآفاق التي كانت للرومانسية او السريالية او الواقعية من قبل .. ومن ثمة يتحتم على نقادنا الذين يريدون التعريف بهذا المذهب الجديدودراسته ان يفعلوا ذلك في كثير من الدقة واليقظة ، مدركين لمسؤولياتهم في التطعيم والتشذيب والتوجيه .. ومن التعسف مصادرة اتجاه ما بعد تشويهه .. بل يجب ان نكون اولا امناء مخلصين في التعريف به ثم تبقى بعد ذلك حرية المناقشة والرفض او القبول .

ومن الافكار التي جاءت في مقال الدكتور بدوي والتي نريد ان نجعل من مناقشاتها مدخلا لتلخيص بعض اسس هذه المدرسة الادبية ، قوله :

« من العجب ان فرنسا ـ بلد العقل المتميز ـ قد صارت الآن موطن اللامعقول » ..

ان اطلاق « صفة غالبة » على امة ما لم يعد امرا مقبولا يتناسب مع التطورات والتعقيدات الحضارية التي ارتادتها جميع الشعوب في القرن العشرين .. وفرنسا بالذات لا يجوز وصفها بالعقل الواضح لانها كانت سباقة في حركات التجديد الفكري ، تقلبت في اكثر من طقس ، وارتدت اكثر من زي .. وكان الحد الفاصل لها عن اطمئنانها « العقلي الواضح » هو انهيار المذهب « الانساني الغربي » L'humanisme occidental بعد الحرب العالمية الثانية .. ولعل جان بول سارتر كان اول من احسن استغلال نضوج « الاستياء العام » ضد الفكر البورجوازي .. ذلك التمرد الذي مهد له جيل اندريه جيد ، وفاليري ، وجان غيهنو ، واضرابهم .. فاتى سارتر ليفلسف هذا الرفض ، وليسجل التناقضات التي تعوق عن ادراك حقيقي للعالم استنادا على الوسائل الايديولوجية التقليدية .. واستطاع ألبير كامو ان يعكس بحساسيته العبثية ، سديمية المجتمع ومفارقاته ، وان يمزج النهيلية بالامل ..

من اجل ذلك فان حكم الدكتور بدوي بعيد عن الحقيقة ، واصح منه حكم ناقدين فرنسيين : (*)

« ان رفض الواقع هو ـ فيما يخيل الينا الميزة الاساسية للثقافة الفرنسية المعاصرة ، وطبيعي ان هذا الرفض ملتصق بحركة ايديولوجية عامة تظهر ذات دلالة قوية خصوصا في الرسم والادب ، ثم تغدو آخر الامر طابعة لكل مجالات الثقافة »

ودون اتباع المنهج التاريخي ، فاننا سنكتفي بابراز اهم سمات ادب اللامعقول متغاضين عن تمهيدات كافكا وجويس ، وفرجينيا وولف .. ولكن لابد من الاشارة الى المحاولة الرائدة التي قامت بها ناتالي ساروت وبلا نشو وهنري توماس عند ما شعروا باستحالة استخدام « اللغة » للتعبير عن « الحقيقة » .. وبذلك اضافوا البعد الجديد « اللا روائي » Anti-romanesque وتتابعت الروايات المستلهمة من نفس النبع ، فكتب الان روب كرييه Les gommes وكلود سيمون « الغشاش » Le tricheur ثم روايات بيكيت واونيسكو . الا ان هذا الاتجاه الموضوعي او اللا معقولي في الادب لم يفرض نفسه خلال مدة قصيرة بل استمر من الحرب الثانية الى سنة 1954 قبل ان يلفت اليه الانظار ويفرض نفسه على الجمهور الذي كان متعودا على روايات ومسرحيات « الارضاء » Assouvissement ففي سنة 1954 كتب الناقد رولاند بارت مقالا طويلا بعنوان « ادب موضوعي » ضمنه اسس هذه المدرسة الادبية ، وابان عن آفاقها ومطامحها .. وبعد ذلك تتابعت الدراسات ، راهتمت الاوساط الادبية برواد الرواية الجديدة فخصصت لهم مجلة Esprit عدد يوليو 1958 ، وناقشت معظم المجلات هذا الاتجاه على نطاق واسع ..

واعتمادا على هذه الدراسات سنحاول فيما يلي تلخيص اهم اسس مدرسة « الرواية الجديدة » او اللامعقول ، متوخين الاختصار بقدر ما يسمح المجال :

1) العنصر الاول عند مدرسة الرواية الجديدة هو التمرد على « المواضعات » الشكلية والمضمونية لحصيلة التجربة الروائية والمسرحية .. فالعالم لم يعد كما كان بعد ما لفته موجات التغير والتخلخل في كل المجالات ، ومن ثم فان التكنيك البلزاكي مثلا اصبح عاجزا عن رسم صورة مطابقة التعقيدات الحياتية الطارئة .. ذلك ان التحليل النفساني البلزاكي يعطي شخصية « ثابتة » بينما لم يعد بالامكان العثور على صورة مزيفة للاشخاص ، لانه يحرص على نسج خيوط

* Partisans - Février 1962 - Le nouveau roman et le refus du réel - Claude Burgelin, Georges Pérel

شخصية « جامدة » متمسكة حتى النهاية بمبادئها الاولية .. واذن فان العالم الروائي المثقل بالاوصاف الجاهزة ، والعبارات التقليدية ، يجب ان ينزع عنه تلك الغشاوات ليتمكن من ادراك الحقائق الجديدة (*)

2) مهمة الروائي الجديد هي « رؤية العالم » دون محاولة جعله ذا معنى .. أي الاقتصار على تشريحه في برودة تامة دون الاضفاء عليه من الخيال افكارا لا ينطق بها . وفي هذا الصدد يقول كلود سيمون : «يخيل الي ان هذا العالم اذا كان يعني شيئا فهو يعني لا شــــيء » ..

3) تسوية الانسان بالاشياء .. فالحرص على تصوير « الواقع » يفرض ان نضع الكائنات البشرية في مستوى واحد مع الاشياء ، واعتبار الانسان حضورا محضا ، « متشيئا » نستطيع فقط ان نصف مظهره غير المفهوم .. وقد عبرت ناتالي ساروت عن هذه الفكرة في مناقشة ادبية قائلة : « يبدو لي ان في الرواية الجديدة نوعا من التحويل لمركز الثقل فان الاشخاص والحبكة تهمنا اقل من ذي قبل .. » (*)

ووراء كل هذه العناصر ، هناك ارضية اساسية يصدر عنها جميع الروائيين الجدد قوامها رؤية قلقة للعالم .. الكون سديمي جامد ، وشرطنا : العبث الميتافيزيقي « نحن غاطسون في خلود من العدم .. نحن فقاقيع تتلاشى بعضها اثر البعض على سطح مستنقع وحل ، وفي ضجيج رخو ندعوه الوجود .. »(*)

فهل ادب اللا معقول مجرد محاولة « لبعث نظرية الفن للفن التي كان الجيل الماضي من الادباء يظن انه قد دفنها الى الابد » (*) ؟ ام انه اتجاه اصيل نابع من وضع حضاري خاص ، اسهم في ايجاد حل لازمة الرواية التي بدات ترزح تحت تزييفات « اللفظية » والمبالغة ؟

الواقع اننا لا نستطيع الوصول الى جواب حاسم عن هذه الاسئلة .. ولكن ما ذهبت اليه السيدة عايدة مطرجي خال من كل انصاف ودقة .. لان كتاب الرواية الجديدة يؤدون رسالتهم باصرار وادراك تام للشهادة التي يسجلونها عن مجتمعهم .. ورغم ان ادب اللامعقول يتغذى بالعبث ، وينغمس في القلق ، ويضع العالم بين قوسين محاولا اخراجه عن « الزمانية » .. فان اسمه « الرفضية » التي قام عليها تبعث على الاعتقاد بان « العبثية » مرحلة اولى ستتلوها مرحلة الايجابية .. ويقوي هذا الاعتقاد ان معظم الروائيين الجدد قد شاركوا في توقيع بيان 121 اديبا .. وهو موقف سياسي جريء ينم عن تجاوبهم مع اتجاه التاريخ ..

والادب — قبل كل شيء — حقل للتجارب والابداع شريطة ان يقترن بالصدق وبالاخلاص ...

الرباط : محمد برادة

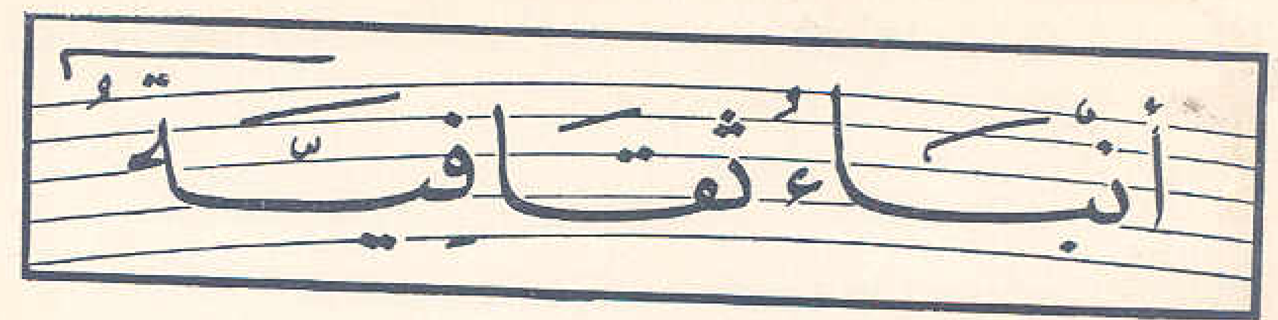
(*) لايمكن ان ننسى في هذا المجال رواية « الغثيان » لجان بول سارتر .. فهي تمثل ثورة على التكنيك الروائي المالوف .. وان كانت مدرسة الرواية الجديدة لا تعترف بانتساب سارتر اليها لانه يهتم بالمعنى ، ويحرص دوما على اعطاء العالم معنى .

(*) الآداب — مارس 1963 ص 92 .

(*) Partisans - Maurice Nadeau, p. 115

(*) عايدة مطرجي — الاداب مارس 1963 ص 66 .





* في منتصف الشهر الماضي اقامت كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط موسما ثقافيا ألقيت فيه عدة محاضرات في مختلف انواع المعرفة .

* نظم بمدينة تازة موسم ثقافي واجتماعي تحت شعار « النهوض بالثقافة الشعبية » وقد سجل الموسم نجاحا كبيرا .

* سيصدر للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله كتاب يبحث دور المرأة المغربية السياسي والعلمي والادبي في التاريخ .

* يستعد الاستاذ محمد الرغيني أحد كتاب مجلتنا لطبع اول قصة طويلة له بعنوان « ايها الضياع » ترجو المجلة للاخ كامل التوفيق والنجاح .

* عقد في الجزائر خلال هذا الشهر الدورة الثانية لمؤتمر اطباء العرب .

* سينعقد في الخريف المقبل في الجزائر المؤتمر الثقافي الذي نظمته الجامعة العربية طبقا للمقررات التي اتخذتها اللجنة الثقافية ، ومن بين المسائل المدرجة في جدول اعمال المؤتمر تنظيم برامج الامتحانات المدرسية وبناء مكتبة جامعية جديدة لتعويض المكتبة التي نوضتها منظمة الجيش السري الارهابية في الجزائر وتاسيس خمس مطابع عربية بها لطبع الكتب المدرسية وتكوين عمال المطابع الماهرين .

وقد دعت اللجنة الثقافية سائر البلدان العربية الى فتح الاعتمادات الضرورية لطبع الكتب المدرسية التي توجه الى المدارس الجزائرية التحضيرية والابتدائية خلال السنين الثلاث المقبلة في انتظار اعداد المطابع المذكورة ، وقد تم تشكيل لجنة لهذا الفرض برئاسة السيد عبد الخالق حسونة الامين العام للجامعة العربية ، وكانت اللجنة قد أوصت أيضا بانشاء مدارس ثانوية لترشيح المعلمين في الجزائر .

* عقد في اواخر الشهر الماضي بالجزائر مؤتمر الشبيبة العالمي ضد الاستعمار ، وقد تقرر تنظيم هذا المؤتمر اثناء مؤتمر باندونغ الذي انعقد في سنة 1955 ، ويعتبر هذا المهرجان أول مظاهرة دولية من هذا النوع في الجزائر واشتركت فيه ثمانون منظمة مثلها 120 الى 130 مندوبا من خمسين بلدا من بلدان افريقيا .

* تعرض في مسارح باريس مسرحية جديدة اسمها « المرأة المقدسة » للكاتب الجزائري كاتب ياسين تدور حوادثها عن الثورة الجزائرية .

* توفي في تونس العلامة الشيخ محمد المكي ابن الحسين وهو شقيق الفقيد شيخ جامع الازهر سابقا .

* صدر بتونس عن الشركة القومية للنشر والتوزيع كتاب « التقاليد والعادات الشعبية والفلكلور التونسي » لمؤلفه عثمان الكعاك .

* تعد وداد سكاكيني كتابا جديدا في الدراسات والنقد الادبي ، وتهيء للطبع مجموعة قصصية .

* تطبع دار المعارف بمصر كتاب الدكتور زكي المحاسني « ابو العلا ناقد المجتمع » .

* اصدر الاستاذ سامي الباقي الفلسطيني الاصل كتابا عن الحضارة الانسانية بين الشرق والغرب في عشرة قرون .

* وضع مجلس الفنون والآداب بالقاهرة كتابا عن الادوار التي قامت بها اشهر نساء مصر في التاريخ ، وهي : هدى شعراوي ، مي زيادة ، باحثة البادية ، ملك حفني ناصف ، المؤرخة زينب فواز ، عائشة التيمورية ، شجرة الدر .

* تعكف الدكتورة كوثر عبد السلام ، مترجمة كتاب « الطاعون » لكامو ، على كتابة رواية تاريخية وطنية عن شهداء « دبرمواس » في حادث القطار المعروف في ثورة 1919 .

* « شموع وظلال » كتاب لمؤلفه طاهر شريف صدر مؤخرا بالقاهرة .

* اقيم بالقاهرة مهرجان تأبين للمرحوم احمد لطفي السيد تكلم فيه الدكتور طه حسين ، وعباس العقاد ، وكامل حسين ، وابراهيم مدكور ، وعبد الحميد بدوي ، وعلي عبد الرزاق .

* اعد مجلس الفنون بالقاهرة معجم جديد لمصطلحات الفلسفة .

* صدر في القاهرة كتاب « بهجة المجالس » لابن عبد البر القرطبي بتحقيق محمد مرسي الخولي ومراجعة عبد القادر القط .

* الف عبد الحميد جودة السحار رواية « السهول البيض » تدور عن معركة بور سعيد .

* تقوم لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الاعلى للفنون بالقاهرة التي يرأسها المؤرخ عبد الرحمن الرافعي بوضع مؤلفين اولهما عن تاريخ الاستعمار الاوربي في افريقيا منذ الكشوف البرتغالية حتى الآن والآخر عن تطور القارة الافريقية ونهضتها الحديثة .

* صدر حديثا في السعودية كتاب « امراء المدينة وحكامها من عهد النبوة حتى اليوم » وكتاب « السر الموصول الى آثار الرسول عليه الصلاة والسلام » وهما من تاليف العالم الفقيد احمد ياسين الخياري الذي توفي بالمدينة المنورة منذ عامين وخلف عددا من المخطوطات الادبية والتاريخية القيمة .

* اجتمع اخيرا بالقاهرة وزراء التربية والتعليم للدولة الاتحادية باقطارها الثلاثة يبحث اسس الوحدة الثقافية وتوحيد برامج التعليم في الجمهورية المتحدة .

* صدرت اخيرا عن دار المعارف بالقاهرة الطبعة الثلاثون لكتاب « الايام » لطه حسين .

* ترجم الدكتور مجدي وهبه الى الانجليزية قصة « ابراهيم المازني » .

* « ابن عبد الحكيم : رائد المؤرخين العرب » كتاب صدر في القاهرة لمؤلفه ابراهيم العدوي .

* اقامت رابطة الادب الحديث بالقاهرة حفلة تابين للاديب المهجري عبد المسيح حداد ، اشترك فيها الدكتور محمد مندور ، وديع فلسطين ، ومصطفى السحرتي ، ومحمد عبد الغني حسن ، ومحمد الشرقاوي وكامل السوافري ، ومحمد عبد المنعم خفاجي ، واسعد حسن .

* تم طبع الجزء الخامس من « تجريد الاغاني » بتحقيق طه حسين وابراهيم الابياري .

* صدر في القاهرة كتاب « مصر وافريقيا في العصر الحديث » لعلي ابراهيم عبده .

* يقوم الاستاذ انور كامل بترجمة مسرحية « الايام السعيدة » لبيكت .

* توفي في لندن العالم القانوني المصري الدكتور السيد صبري بعد عملية جراحية اجريت له ، والفقيد استاذ لاجيال عديدة في مصر والوطن العربي من رجال القانون .

* عقد بالقاهرة في منتصف شهر ماي المؤتمر العربي الخامس للمواصلات اللاسلكية بحضور وفود عن مصر وسوريا والعراق ولبنان واليمن والكويت والاردن والعربية السعودية وليبيا والمغرب والجزائر وتونس . وبحث المؤتمر عدة قضايا من بينها تحسين طرق المواصلات بين الدول العربية ومعالجة الاتفاق المبرم سنة 1959 بين الاتحاد العربي للمواصلات السلكية واللاسلكية .

* ستقوم دار المعارف ببيروت بطبع كتاب « اساطير ملهمة » للدكتور زكي المحاسني وهو مقطوعات من شعر المحاسني في الاساطير الاغريقية وفلسفتها والتامل بها .

* ترجم الكاتب السوري حسيب الكيالي الى العربية كتاب « ارض الرجال » للكاتب الفرنسي انطوان دي سانت اكزوبيري وستصدره منشورات عويدات ببيروت .

* « تحت راية الحق » كتاب ادبي يتناول ادب المهجر عموما . سيصدر قريبا لمؤلفه راجي ظاهر .

* صدر في بيروت كتاب « التنشئة الوطنية الانسانية » الذي تتولى اعداده قيادة الجيش اللبناني مع لفيف من رجال الفكر والتعليم في لبنان .

* « غابة الزيتون » مجموعة للشاعر فؤاد الخشن صدرت في بيروت .

* اتفق احمد عويدات صاحب منشورات عويدات ببيروت مع فريد داغر وفؤاد ريحان على ترجمة الموسوعة التاريخية الكبرى « التاريخ العام للحضارات » من الفرنسية الى العربية ، ويصدر المجلد الاول بعد اربعة اشهر بعنوان : « المشرق وبلاد الاغريق » .

* « اصوات وراء الحدود » دراسات ادبية في الشعر والادب تاليف جورج غالم ، يصدر هذا الكتاب بيروت .

* « اللقمة الاخيرة » رواية جديدة ليوسف يونس ستظهر قريبا في بيروت .

* صدر في بيروت كتاب « رفة جناح » للفقيد اسكندر حريق ؛ قامت بجمعه السيدة قرينته بمناسبة الذكرى الاولى لوفاته .

* صدرت اخيرا ببيروت الترجمة العربية الكاملة لرائعة ديكنز الشهيرة « الفرتويست » عن دار العلم للملايين .

* صدر في بيروت كتاب « من ارض الفد في افريقيا السوداء » لمؤلفها عبد الله حشيمه .

* الكتب الآتية صدرت اخيرا في بيروت :
« فونتمارا » رواية للقاص الايطالي سيلوني ترجمة عيسى الناعوري « صلوات الربيع » ديوان لخليل خوري « رجال في الشمس » لغسان كنفاني « حين فقدنا الرضا » لسميرة عزام « شارع السردين المعلب » ترجمة منير البعلبكي « طريق التبغ » ترجمة منير البعلبكي « معذبو الارض » تاليف فرانز فانون ترجمة الدكتور سامي الدروبي .

* دفع الدكتور علي شلق الى المطبعة كتابه الضخم الذي يشتمل على دراسة شاملة عن ابي نواس بعنوان « ابو نواس بين التخطي والالتزام » ويقع في مجلدين .

* « الجماليات والانواع الادبية » اسم كتاب من تاليف ميشال عاصي صدر مؤخرا في بيروت .

* « القبلة في الشعر العربي قديما وحديثا » عنوان كتاب صدر في بيروت للدكتور علي شلق وهو حلقة من ثلاث يتبعه « العيون في الشعر العربي » ثم « القوام في الشعر العربي » .

* انتهى الدكتور كمال صليبا استاذ التاريخ في الجامعة الامريكية ببيروت من تاليف كتاب بعنوان « تاريخ لبنان الحديث » .

* « في ركاب السحر » كتاب عن الجمالية النظرية والتطبيقية اعده للطبع جان كميد رئيس تحرير مجلة « الرسالة البيروتية » .

* نعت الجامعة الامريكية في بيروت وجمعية متخرجيها اميل البستاني احد امناء الجامعة ، ورئيس جمعية المتخرجين .

* « قصائد مختارة » من شعر يوسف الخال جمعها وقدم له ادونيس ، صدرت عن دار مجلة « شعر » ببيروت .

* صدر للدكتور منذور الدقاق كتاب « قصة القرصنة » في اخراج انيق ولوحات ملونة .

* « المقامات » كتاب جديد صدر في دمشق للدكتور عبد السلام العجيلي وهو من ادب السخرية

* اعلنت جامعة بغداد عن افتتاح معهد الدراسات الاسلامية العليا الذي اسس لاعداد حملة الدبلوم والدكتوراه في الدراسات الاسلامية .

* صدر في السعودية كتاب « تاريخ الحركة الادبية في الخليج العربي » لمؤلفه محمد سعيد المسلم بمقدمة العلامة الشيخ محمد الجاسر عضو المجمع اللغوي .

* صدرت في الرياض مجموعة قصصية بعنوان « عرق وطين » لمؤلفها عبد الرحمن الشاعر .

* « بنت الجزيرة العربية » قصة من صميم الواقع السعودي صدرت حديثا في الرياض لمؤلفتها الكاتبة سميرة .

* سيفتتح في الكويت في اول السنة الدراسية اول معهد للتمثيل .

* قررت وزارة الحج والاوقاف السعودية افتتاح مكتب للاعلام والنشر يقوم بالترجمة لزائري المملكة من الحجيج وغيرهم .

* اصدر وزير العمل والشؤون الاجتماعية السعودية قرارا بانشاء ادارة عامة للفنون الشعبية تعنى بالتمثيل والموسيقى بانواعها .

* « حياة حالمة » مجموعة قصص تاليف عبد الله عبد الرحمن خفري ، قدم لها محمد عمر توفيق ، صدرت قريبا عن دار الاصفهاني بجدة .

* تم التوقيع في الرياض على الاتفاقية الثقافية والفنية بين المملكة السعودية وفرنسا .

* ستصدر الرابطة الاسلامية بمكة المكرمة مجلة شهرية تعنى بشؤون المسلمين وقضاياهم .

* اعدت الاديبة السعودية ثريا قابل مجموعة شعرية للطبع ستصدر قريبا .

* صدرت للقاص حامد دمنهوري قصة طويلة بعنوان « ومرت الايام » .

* طلبت دار النشر الاسبانية فى مدريد قائمة بأسماء الكتاب فى المملكة السعودية ممن لهم اطلاع صحيح على الحركة الادبية فى البلاد لمساعدة الدار فى تحرير فصل عن تاريخ الادب السعودي فى دائرة معارف الآداب العالمية الذي تزمع اصدارها .

* نقلت حكومة ايران عظام الشاعر عمر الخيام من مقبرته الى مقبرة جديدة اقامتها له قريته .

* سيصدر للشاعر السوري المعروف عمر ابو ريشة ديوان شعر باللغة الانجليزية بالهند .

* سيعقد فى نيودلهي مؤتمر المستشرقين الدولي ابتداء من 4 الى 10 يناير 1962 .

* سيقام معرض للفن الحديث الفرنسي فى الهند فى أواخر هذا العام .

* اشترك ممثلو 24 دولة فى مؤتمر لجنة برامج الاتحاد الاوربي الذي عقد مؤخرا ببلغراد .

* جاء من موسكو ان الاتحاد السوفييتي وجه الدعوة الى جميع دول العالم للاشتراك فى المهرجان الدولي الثالث للسينما الذي سيقام فى موسكو ما بين 7 و 31 يوليو المقبل .

* منحت الجائزة الكبرى للاكاديمية المناطق الفرنسية الى فليب كوتو .

* يقام حاليا فى متحف الفن الزيتي بباريس معرض مجوهرات براك .

* قدم السيد هنري رولان مذكرة لاكاديمية الآداب بباريس عن الحفريات فى سان بليز ، وقد تبين من دراسة الطبقات الارضية عن عدم صحة الاسطورة القائلة ان الفنيقيين او الذين قدموا من قرطاجة قد اقاموا على الشاطىء الجنوبي قبل تأسيس مدينة مرسيليا ، اما المنشآت التي أقامها هؤلاء فقد تمت فى القرن السابع قبل هذا العهد .

* اكتشفت آثار تعود الى الفي عام فى المدينة المعروفة باسم برادو سباتيوم بالقرب من بروتوى سورانوا بفرنسا .

* منحت الجائزة العلمية الكبرى لمدينة باريس هذا العام الى السيد الفريد كاستلر .

* ستشارك كوميديا الشرق للمسرح الفرنسي فى مهرجان بعلبك الذي سيقام فى هذه المدينة .

* منحت جمعية الشعراء والفنيين فى فرنسا الجائزة الكبرى الدولية للشعر الى الشاعر ليوبولد وسيدار سنغور مكافأة على مجموعته « ليليات » وقد اشترك فى هذه المسابقة 300 شاعر من مختلف الجنسيات .

* اكتشف احد المنقبين عن الآثار بالقرب من فالون بون دارك بفرنسا داخل مغارة لم يدخلها احد فى القرون الاخيرة ، اسم بقرة ذات قرون طويلة وهي مرسومة بالتراب الحديدي الاحمر ، وقد تبين من ذلك ان هذه الصورة تعود الى نحو عشرين الف سنة .

* انشئت فى بروكسيل « جمعية اندريه جيد » هدفها متابعة تخليد ذكرى هذا الاديب ونشر رسالته ومؤلفاته .

* فى هذا الشهر اقيم فى قرطبة مهرجان ادبي كبير بمناسبة الذكرى الالفية للاديب ابن حزم الاندلسي استدعى اليه طائفة كبيرة من ادباء العرب .

* احتفل فى برشلونة بوضع الحجر الاساسي لبناء الكلية الفرنسية الجديدة .

* افتتحت فى جامعة لشبونة مؤسسة ثقافية فرنسية .

* البرلمان الايطالي قرر اقامة نصب تذكاري تكريما للشاعر الايطالي الكبير جبريل دانونزيو بمناسبة الاحتفال بالذكرى المائوية لميلاد الشاعر الايطالي ، وسيقام النصب فى مدينة بيكارا مسقط رأسه .

* اقيم مهرجان كبير فى مدينة نيويورك بمناسبة مرور ثلاثة قرون على تأسيسها .

* احتفل المركز الاسلامي بواشنطن فى اواخر الشهر الماضي بمرور 25 سنة على وفاة الشاعر الفيلسوف الباكستاني محمد اقبال .

* افتتح فى نيويورك معرض تصوير دولي يضم احدث آلات التصوير والافلام ومجموعة صور ملونة .

* احتفل اخيرا فى بعض بلدان العالم باليوم العالمي للصحافة .

تصحيح بعض الاخطاء فى مقال
الحضارة المغربية بين الاصالة والاقتباس

وقعت بعض الاخطاء المطبعية فى هذا المقال الذي نشرناه بالعدد الماضي نرجو الا تغضب الكاتب الاخ الاستاذ محمد الحمداوي وتصويبها كما يلي :

فى **الصفحة 46** فى السطر الرابع عشر من العمود الثاني كلمة (تاريخنا) وتصويبها (**تاريخيا**) وقد تكررت ايضا فى السطر العشرين ، وفى السطر الثالث والثلاثين كلمتا (اصل ، فرع) وتصويبهما (**أصلا**) ، (**فرعا**) ، وفى السطر الثامن والثلاثين كلمة (البلاء) وتصويبها (**البلا**) ، وفى السطر الحادي والاربعين كلمة (اصلية) وتصويبها (**أصيلة**) .

فى **الصفحة 47** فى السطر الخامس عشر (الشمال) من العمود الاول وتصويبها (**فى الشمال**) وفى السطر السادس عشر كذلك كلمة (هيسبيريا) وتصويبها (**هيسبيريا**) ، و فى السطر السابع عشر من نفس العمود (احتويت) وتصويبها (**احتوت**) فى السطر الحادي عشر من العمود الثاني (ولكل) تصويبها (**ولكن**) .

فى **الصفحة 48** فى السطر الخامس من العمود الاول (اقتباسا) تصويبها (**او مقتبسا اقتباسا**) فى السطر السادس من العمود الثاني (للموضوع) وتصويبها (**للموضوع الذي**) ، وفى نفس العمود السطر الخامس عشر (اشباح) وتصويبها (**امشاج**) وفى السطر السابع عشر من نفس العمود (العلية) وتصويبها (**الغلبة**) وفى السطر الثالث والثلاثون من نفس العمود (الجادون) وتصويبها (**الجاحدون**) .

فى **الصفحة 49** فى السطر الاول من العمود الاول (العربي) وتصويبها (**الغربي**) ، فى السطر السابع عشر من نفس العمود (من المفروض) وتصويبها (**من المرفوض**) ، فى السطر السادس من العمود الثاني (الغوالي) وتصويبها (**الغزالي**) .

فى **الصفحة 50** فى السطر الخامس والثلاثين من العمود الاول (الحلول) وتصويبها (**الحول**)

فى **الصفحة 51** فى السطر الثالث عشر (التدخل) وتصويبها (**التداخل**) .

هذا وقد سقطت الفقرة الاخيرة من خاتمة المقال نثبتها فيما يلي :

فاننا فى الوقت نفسه نشمئز كل الاشمئزاز حين نرى فنجان البلور الذي كانت تتناول فيه أم حكيم زوجة الخليفة هشام الاموي جرعة الصباح نقلا عن حضارة الفرس والرومان الاولين ، اصبحت روحه محضرة في فناجين باريز الكريستالية نقلا عن حضارة احفاد الرومان الاخرين ، وان نرى الكاسيات العاريات يتبرجن تبرج المدنية الحاضرة ويكتسين لبسة المتفضل فى حفلات اللهو والترف باسم (الفولكلور) ذلك لاننا حينئذ نضطر ان ننشد مع شاعرنا الآخر قوله :

ليت الذي بجليل الفكر حققها يشاهد الآن فقد العز فى الحضر

نعتذر مرة اخرى للكاتب والقراء

فهرس العدد السابع - السنة السادسة

الصفحة